الإذاعة

لما كان و ما يكون بين يدي الساعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإذاعة

لما كان و ما يكون بين يدي الساعة

السيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري

عني به

الدكتور بديع السيد اللحام

دار المكتبي

الطبعة الأولى

2016 - 1437

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي.

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - الشارقة - القاهرة
دمشق هاتف: 00963112248433، فاكس: 00963112248432 ص.ب: 31426
الشارقة هاتف: 0097165512262، فاكس: 0097165512264 ص.ب: 3309
Email:almaktabi@gmail.com
www.almaktabi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد:

فقد كثُر سؤال الناس عن أشراط الساعة، وكثر لغط الكثيرين حول مسألة ظهور الإمام المهدي بخاصة، وتكلَّفوا القول في ذلك فمن مدَّعٍ بأنه على وشك الظهور، ومن مدعٍ بأن إرهاصات ظهوره قد تحققت واكتملت، بل بلغ الأمر ببعض الناس أن الإعلان عن ظهوره سيكون بين يوم وليلة، بل لقد سمعنا من يدعي المهدوية وله موقع على الشبكة العنكبوتية.

هذا وقد كنت أجيب كلما طرح هذا الموضوع على بساط البحث والمناقشة بين الناس ـ بأن من يحيط بأحاديث خروج المهدي وأشراط الساعة يتبين له بجلاء أن كثيراً من أشراط الساعة الصغرى والوسطى قد تحقق، ولكن الإرهاصات الدالة على أن الساعة أو ظهور المهدي بات قاب قوسين أو أدنى لم تظهر، وأننا بمقياسنا الزمني الذي نعيشه نستطيع القول بأن ذلك ما يزال بعيداً.

ومن ثم فقد رغب إلى عدد من الأخوة والأحبَّة أن أصنف كتاباً أضع فيه النقاط على الحروف في هذه القضية التي أصبحت الشغل الشاغل لشريحة واسعة من أبناء مجتمعنا وبخاصة بعد الفتنة التي تطاير شررها ـ نسأل الله تعالى العصمة والحفظ منها ـ فكنت أحجم عن ذلك متذرعاً بضيق الوقت

وكثرة المشاغل، ولما تكاثر الطلب عليَّ قلت في نفسي: «ما يترك كله لا يترك جلُّه» فعمدت إلى كتاب أظن أنه من أفضل ما صنف في بيان أشراط الساعة وعلاماتها، وهو كتاب «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة» للعلامة السيد صدِّيق حسن خان، فقد اعتمد في تصنيف كتابه على حديث النبي ﷺ وعرج على أحداث التاريخ، وحلل بعضها في سبيل جلاء الحقيقة في هذا الشأن.

قلت: عمدت إلى هذا الكتاب مصحِّحاً ومخرجاً ومعلقاً، سائلاً المولى ﷻ أن يكون فيه إجابة شافية لكثير من الأسئلة التي يطرحها الناس.

اللهم وفّقنا لاتباع دينك والسير على شريعة نبيك محمد ﷺ، والحمد لله رب العالمين

كتبه

بديع السيد اللحام

ترجمة المؤلف

نسبه:

هو السيد محمد صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي أبو الطيب، وسلسلة نسبه الشريف تتصل إلى زين العابدين علي بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

مولده ونشأته:

كان مولده في التاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين ومئتين وألف من الهجرة النبوية ـ على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ ببلدة «بريلي» موطن جده القريب من جهة الأم، ثم انتقلت أسرته الكريمة إلى بلدة «قِنَّوْج» موطن آبائه، ولما طعن في السنة السادسة انتقل والده إلى رحمته تعالى، وبقي في حجر أمه يتيماً، ونشأ عفيفاً طاهراً محباً للعلم والعلماء.

علمه وشيوخه:

سافر إلى دهلي ليتم تعليمه فيها، واجتهد في إتقان علوم القرآن والحديث وتدوين علومهما، وكانت له رغبة في اقتناء الكتب وفهم زائد في قراءتها وتحصيل فوائدها، وخاصة كتب التفسير والحديث والأصول ثم سافر إلى «بهوبال» طلباً للمعيشة ففاز بثروة وافرة، قال في ترجمة نفسه: «ألقى عصا

---

(١) كما أيد ذلك الدكتور محمد اجتباء الندوي في كتابه «الأمير سيد صديق حسن خان: حياته وآثاره» ص ٣٠ طبعة دار ابن كثير الأولى ١٤٢٠هـ.

الترحال في محروسة «بهوبال» فأقام بها وتوطن وتموَّل، واستوزر وناب، وألف وصنف» وتزوج بملكة[1] بهوبال ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر. وقد خوَّل الله هذا الرجل العظيم وجمع له العلم الغزير، والمال الجم الكثير، والحكم الكبير، والمرأة الصالحة، والأولاد السعداء، والنسب الحميد.

وأما شيوخه: فمنهم: الشيخ محمد يعقوب أخو الشيخ محمد إسحاق، حفيد الشيخ المحدث عبد العزيز المحدِّث الدهلوي، ومنهم: الشيخ القاضي حسين بن المحسن السبعي النصاري اليمني الحديدي، تلميذ الشريف الإمام محمد بن ناصر الحازمي تلميذ الإمام الشوكاني، ومنهم: الشيخ عبد الحق بن فضل الهندي، تلميذ الإمام الشوكاني أيضاً.

مؤلفاته:

كان له في التأليف ملكة غريبة، بحيث يكتب الكراريس العديدة في يوم واحد، ويصنف الكتب الضخمة في أيام قليلة، له مئتان واثنان وعشرون كتاباً بالعربية والفارسية والهندية، وقد شاعت كتبه وانتشرت في أقطار العالم الإسلامي، وكتب له كثير من علماء التفسير والحديث رسائل فيها الثناء على كتبه والدعاء له، وعُدَّ من رجال النهضة المجددين، ومن مصنفاته بالعربية:

١ ـ السراج الوهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج.

٢ ـ حسن الإسوة فيما ثبت من الله ورسوله في النسوة.

٣ ـ أبجد العلوم ١/ ٣.

٤ ـ فتح البيان في مقاصد القرآن في التفسير عشرة أجزاء.

---

(١) هي الأميرة شاه جهان بيكم المولودة عام ١٢٥٤هـ، وتولت الإمارة والحكم في عام ١٢٨٥هـ، وتوفيت عام ١٣١٩هـ.

٥ ـ لف القماط على تصحيح ما استعمله العامة من الأغلاط.

٦ ـ الطريقة المثلى في ترك التقليد.

٧ ـ خلاصة الكشاف في إعراب القرآن.

٨ ـ البلغة إلى أصول اللغة.

٩ ـ نيل المرام في تفسير آيات الأحكام.

١٠ ـ الروضة الندية، شرح الدرر البهية للشوكاني.

١١ ـ الدين الخالص، جزءان.

١٢ ـ الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة.

١٣ ـ الموعظة الحسنة لما يُخطب في شهور السنة.

وغيرها.

وفاته:

توفي سنة سبع وثلاثمئة وألف هجرية، الموافق لسنة تسع وثمانين وثمانمئة وألف ميلادية، فتكون مدة حياته تسعاً وخمسين سنة قمرية، وسبعاً وخمسين سنة شمسية. رَحِمهُ الله رحمة واسعة.

❀ ❀ ❀

الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة

تأليف

السيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري

١٢٤٨ ــ ١٣٠٧ هـ

عُنيَ به

الدكتور بديع السيد اللحام

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أَوضح سبيلَ الهُدى، وهدى الصِّراط المستقيم، ونصب عليه في كل شيءٍ دليلاً، وبيَّن منهج الحقِّ ووعد عليه وعدَ الصِّدقِ لمن سلكه واستطاع إليه سبيلاً، والصلاة والسلام على محمد المصطفى وأحمد المجتبى، الذي بعثه إلى الخلق كافةً نبياً ورسولاً، وأرسله رحمةً للعالمين تطبيقاً للصُّورة على المعنى، وتنويهاً بالمجاز إلى الحقيقة، ومَنْ أصدقُ من الله قيلاً، وعلى آله وصحبه وحزبه الذين قضوا بالحقِ، وبه كانوا يَعْدِلون، وما بدَّلوا تبديلاً، فهم أكرم الخلق علماً وأفضل النَّاس عملاً وأشرفهم قبيلاً وجيلاً.

وبعد:

فيقول الوجود بين العَدَمَيْن والعلاوةُ بين العِدْلَيْنِ أبو الطيب بن أبي أحمد بن أبي الحسن الحسيني القنوجي البخاري ـ ألحقه الله بسلفه الصالحين وجعل له لسان صِدق في الآخرين ـ:

إنَّ المراد من تأْليف هذا الكتاب في هذا الزمان المملوء ـ من الآفات والأكدار ـ بالشيء الكثير: حِفْظ جملةٍ صالحة من الأحاديث ـ الواردة في أبواب الفتن وأسبابها ـ على المسلمين طريق الاختصار، وضَبْطِ أشراط الساعة التي وردت في الآثار وذكَرَها عصابةُ أهل الحديث في دواوينهم الكبار، تذكرةً لأهل الغفلة والاغترار، وتبصرةً لأُولي البصائر والأبصار، الذين أخلصهم الله تعالى بخالصةٍ ذكرى الدار.

فعسى أن ينتهوا عن بعض الذُّنوب، وينتبهوا عن سنة الغفلة، وتلين منهم قاسيات القلوب ويغتنموا المهلة قبل الوهلة، كيف لا والدنيا قد ولَّت جداً وأذِنَت بالإنصرام، ومرَّت بأهلها مرَّ السحاب وهم نيام؟! كما دلَّت على ذلك أدلَّةُ الكتاب، وأفصحت به نصوص الحديث المستطاب.

ألِّفته بين يدي الساعة حين اشتعلت نيران المُلِمّات، وعمَّت البلايا والفتن وتواترت الآفات والنوازل في كلِّ قطرٍ من أقطار الأرض على أهل الزمن، وعاد الإسلام فيه غريباً كما كان بَدَأَ، لِما توالى عليه وعلى أهله من الحوادث والمِحَن.

والدُّنيا لم تُخْلَق للبقاء، ولم تكن دار إقامةٍ وإنَّما هي منزل من منازل الآخرة، ومزرعة للتَّزود منها إلى ديار الأفراح التي نِعَمُها فاخرة ذاخرة.

لعمرك ما الدُّنيا بدار إقامةٍ ... ولكنَّها دار انتقال لمن عقَل
إذا أضحكتْ أبكت، وإن هي أقبلتْ ... تولَّت وإن أعطت فأيامها دول

وما أحسن قول القائل:

نَزَلْناها هُنَا ثم ارتحلنا ... كذا الدُّنيا نُزولٌ وارتحال
يظنُّ المرءُ في الدُّنيا خلوداً ... خلودُ المرء في الدُّنيا مُحال

ولَنِعْم ما قيل:

إنَّما الدَّنيا فناء ليس للدُّنيا ثبوت ... إنَّما الدُّنيا كبيتٍ نسجته العنكبوت

ولله در القائل:

هي الدُّنيا تقول لصاحبيها: ... حَذارِ حذارِ من بطشي وفتكي
فَلا يَغُرُرْكُمُ مني ابتسامٌ ... فقولي مضحكٌ والفعل مبكي

ولبعضهم ولله درّه:

كأنَّك لم تسمع بأخبار من مضى ... ولم تر بالباقين ما يصنع الدَّهر
فإن كنتَ لا تدري فتلك ديارهم ... عفاها فحالت بعدك الرِّيح والقطر

وهل بصُرَت عيناك حياً بمنزلٍ ... على الدَّهر إلَّا بالعراء له قبر
فلا تحسبنَّ الوفر مالاً جمعته ... ولكن ما قدَّمت من صالحٍ وفْرُ
مضى جامعو الأموال لم يتزودوا ... سوى الفقر يا بوسي لمن زاده الفقر
فحتامَ لا تصحو وقد قرُبَ المدى ... وحَتَّامَ لا ينجاب عن قلبك السِّر
بل سوف تصحو حين ينكشف الغطا ... وتذكر قولي حين لا ينفع الذِّكر
فصبراً على الأيام حتَّى تجوزها ... فعما قليلٍ بعدها يُحمَد الصَّبر

وسيأتي الكلام الحقّ، والقول الصِّدق في أنَّه لا سلامة من الخلق.

هذا وأمر السَّاعة شديدٌ، وهَولُها مَزيدٌ، وأمدها بعيد. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

وإنَّ الله تعالى في ذلك اليوم يحكُم بين الأَولين والآخرين، من الأَحرار والعبيد، ويقضي للمؤمنين على الكافرين، ويميِّز المُخلصين له الدِّين عن المنافقين.

كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

وقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].

وقال: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩].

وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يونس: ٤٥].

وقال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقال: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

وقال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

وقال: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]. و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الإنشقاق: ١]» أخرجه الترمذي[١]، وقال: هذا حديث حسن.

فهي السَّاعة الموعودُ أَمْرُها، ولعِظَمِها أَكثرَ النَّاسُ السُّؤال عنها رسولَ الله ﷺ حتَّى أنزل الله عليه ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧][٢]. وكل ما عظُم شأنه تعددَّت صِفاته وكثُرَت أسماؤه، وهذا مَهْيَع[٣] كلام العرب، فالقيامة لما عَظُمَ أمرُها وكثُرَت أهوالُها، سمَّاها الله في كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة، ذكرها القرطبي في (التَّذكرة)[٤] والفشني في (تحفة الإخوان).

---

(١) الترمذي في تفسير القرآن، باب: ومن سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ رقم (٣٣٣٣) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره (٩/ ١٣٧) (سورة الأعراف، آية: ١٨٧) وابن إسحاق وأبو الشيخ عن ابن عباس ﷺ قال: قال حَمَلُ بن أبي قشير وسموأل بن زيد لرسول الله ﷺ: أخبرنا عن الساعة إن كنت نبياً كما تقول؟ فإنا نعلم ما هي؟ فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾... الآية. وانظر أسباب النزول للسيوطي: (١٧٠).
وأخرج ابن جرير أيضاً والحميدي عن قتادة قال: قالت قريش: يا محمد أسرَّ لنا السَّاعة لما بيننا وبينك من القرابة، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾. قال ابن جرير بعد تخريج ما تقدم: «الصّواب من المقول في ذلك أن يقال: إنَّ قوماً سألوا رسول الله ﷺ عن الساعة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وجائز أن يكون كانوا من قريش، وجائز أن يكونوا كانوا من اليهود، ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أي ذلك كان».

(٣) قوله: وهذا مهيع كلام العرب، من هاع الشيء انبسط فهو مهيع أي: مبسوط (منه).

(٤) نظر التذكرة: ص ٥٥٩ وما بعدها.

ومما قيل في معنى ما ذكرنا هذا النَّظم:

مثِّل لنفسك أيُّها المغرور ... يوم القيامة والسَّماء تمور
إذ كُوِّرت شمسُ النَّهارِ وأُدنيت ... حتَّى على رأسِ[1] العباد تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدَّلت بعد الضياء كُدُورُ
وإذا البحار تفجَّرت من خوفها ... ورأيتها مثل الحميم تفور
وإذا الجبال تعلَّقت بأصولها ... ورأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطَّلت وتخرّبت ... خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة أُحْشِرَت ... وتقول للأملاك أين تسير؟
وإذا تُقَاةُ المسلمين تزوَّجوا ... من حور عين زانهنَّ شعور
وإذا المَوْدَةُ سُئِلت عن شأنها ... وبأي ذنب قتلُها ميسور؟
وإذا الجليل طوى السما بيمينه ... طي السجل كتابه المنشور
وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت ... تبدو لنا يوم القصاص أُمور
وإذا الصحائف نُشرت فتطايرت ... هُتكت إذاً للمذنبين سُتور
وإذا السماء تكشَّطت عن أهلها ... ورأيت أفلاك السماء تدور
وإذا الجحيم تسعرت نيرانُها ... فلها على أهل الذُّنوب زفير
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت ... لفتى على طول البلاء صبور
وإذا الجنين بأمّه متعلِّقٌ ... يخشى القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنبٍ يخاف جنايةً ... كيف المُصرُّ على الذنوب دهور؟

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

---

(١) أصله «رؤوس» حذفت واو المد لضرورة الشعر (منه).

وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤]. وهو في القرآن كثير طيب.

والساعة: كلمة يعبَّر بها في العربية عن جزء من الزمان غير محدود.

وفي العُرْفِ: على جُزْءٍ من أربعة وعشرين جزءاً من يوم وليلةٍ، الذين هما أصل الأزمنة.

وتقول العرب: أفعل كذا الساعة، وأنا السَّاعة في أمر كذا، تريد الوقت الذي أنت فيه، والذي يليه تقريباً له.

وحقيقة الإطلاق فيها أنَّ السَّاعة ـ بالألف واللام ـ عبارة في الحقيقة عن الوقت الذي أنت فيه، وهو المسمى بـ (الآن).

وسميت القيامة ساعة:

ـ إمَّا لقربها فإنَّ كلَّ آت قريب.

ـ وإما تنبيهاً على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود وتكسر العظام.

ـ وقيل: لأنَّها تأتي بغتة في ساعة.

ـ وقيل غير ذلك.

وأمر السَّاعة أقرب من لمح البصر.

ومقدار هذا اليوم خمسون ألف سنةٍ.

وإنَّ بين يدي الساعة فتناً كثيرة، ومحناً أثيرة أخبر عنها النبي ﷺ وبيَّن أماراتها وعلاماتها، وأوضح أشراطها وآفاتها، ولم يغادر صغيرة منها ولا كبيرة، ليكون أهل كل قرن على حذرٍ منها، متهيئين لها بالأعمال الصَّالحة الباقية، غير منهمكين في الشَّهوات العادية، واللَّذات الفانية، فأردتُ

أن أذكر أخبار تلك الفتن وآثار هذه المحن في كتابي هذا في بابٍ بابٍ على حِدَةٍ، وأُضمِّنه فرائدَ شريفة، وفوائد أثيرة وفاء للعِدة وسميتهُ:

(الإذاعة لما كان وما يكون بين يديي الساعة)

وطويت هذا المؤلَّف على:

- مقدمة في معنى الفتنة.
- وأبوابٍ في ذكر ما جاء من الفتن والمحن وأشراط القيامة إلى نفخ الصور.
- وخاتمةٍ في بيان مدّة الدنيا وما يناسبها.

وإلى الله ترجع الأُمور. والله سبحانه أسألُ أن يُخلِص نيتي، ويُحسن طويتي، فإنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّ الحسنات يُذهبن السَّيئات، وإنَّما لكلِّ امريءٍ ما نوى، ولله سبحانه ما بقي وما مضى.

❀ ❀ ❀

المقدمة في معنى الفتنة

قال أهل العلم: الفتنة هي المِحْنة والعذابُ والشّدة وكلُّ مكروه وآيل إليه، كالكفر والإثم والفضيحة والفجور والمصيبة وغيرها من المكاره، فإن كانت من الله فهي على وجه الحكمة، وإن كانت من الإنسان بغير أمره سبحانه فهي مذمومة. وقد ذمَّ الله تعالى الإنسان بإيقاع الفتنة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١٠].

قال الرَّاغب[١]: أصل الفتن: إدخالُ الذَّهب النار لتظهر جودته من رداءته، ويستعمل في إدخال الإنسان النَّار، انتهى.

قال في فتح الباري[٢]: ويطلق على:

العذاب: كقوله تعالى: ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات: ١٤].

وعلى ما يحصل عنه العذاب، كقوله تعالى: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: ٤٥].

وعلى الاختبار كقوله: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (فتن) (ص: ٦٢٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني: أول كتاب الفتن (١٣/ ٥).

وفيما يُدفع إليه الإنسان من شدَّة ورخاء، وفي الشّدة أظهر معنى وأكثرُ استعمالاً. قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]. ومنه قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]. أي يوقعونك في بلية وشدَّة في صرفك عن العمل[١].

وقال غيره: أصل الفتنة الاختبار، ثمَّ استُعملت فيما أخرجته المحنة والاختبار إلى المكروه، قال تعالى: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ [الصافات: ١٦٢].

وقال: ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: ٦].

وقال: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]. أي: اتّقوا ذنباً يعمكم أثره، كإقرار المُنكر بين أظهركم، والمداهنة في الأمر بالمعروف، وافتراق الكلمة، وظهور البدع والتكاسل في الجهاد.

قال القرطبيُّ[٢]: وفي هذا تنبيه بالغ على التَّحذير من الفتن.

❀ ❀ ❀

(١) أي: بما أوحي إليك.

(٢) التذكرة: (٣/٨٨).

باب في اقتراب الساعة ومجيئها

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

وقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

أي: أماراتها وعلاماتها.

قال البغوي[١]: وكان النَّبيُّ ﷺ من أشراط الساعة.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف: ٦٦].

وقال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١].

وقال: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]. والآيات في ذلك كثيرة.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما أَجَلُكُم فيمَنْ مَضَى قَبْلَكُم من الأُمم مِن صَلاة العَصْر إلى مَغْرِبِ الشَّمْسِ» رواه الشيخان[٢].

وفي رواية: «إنَّما بقاؤكُم فيما سَلَفَ مِنْ صَلاةِ العَصْر إلى غُروبِ الشَّمْسِ»[٣].

---

(١) تفسير البغوي: (٧/ ٢٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: (٣٤٥٩) ولم أجده في صحيح مسلم.

(٣) أخرج هذه الرواية البخاري في التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، رقم: (٧٤٦٧) بلفظ: «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس».

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أنَا والسَّاعة كهاتين» أخرجه البخاري ومسلم[١].

وعن المُسْتَوْرِد بنِ شَدّاد ﷺ، عن النَّبي ﷺ قال: «بُعثت في نَفَسِ السَّاعة فَسَبقْتُها كما سَبَقَت هذه هذه ـ وأَشار بأُصبُعَيْه السَّبابة والوسطى ـ» رواه الترمذي[٢].

وعن أنس ﷺ: «مَثَلُ هذه الدُّنيا مثل ثوبٍ شُقَّ من أَوله إلى آخره فبقي متعلقاً بخيطٍ من آخره يُوشِكُ ذَلِكَ الخَيْط أَنْ يَنْقَطِع» رواه البيهقي في شعب الإيمان[٣].

قال القرطبي[٤]: معنى كلّها على اختلاف ألفاظها تقريب أمر السَّاعة التي هي في القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

وعن علي كرَّم الله وجهه: «إِنَّ مِنِ اقْتِرابِ السَّاعَةِ ظُهورَ البواسير وموتَ الفُجاءةِ» انتهى.

والأحاديث في الباب لا تكاد تُحصى.

ولا يقال: كيف يُوصَف بالاقتراب ما قد مضى قبل وقوعه ألف ومئتان وأربع وتسعون عاماً؟ لأنَّ الأجل إذا مضى أكثره وبقي أقلّه فهو قريب.

---

(١) البخاري في الرقاق، باب قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» رقم: (٦٥٠٣) ومسلم في الفتن، باب قرب الساعة، رقم: (٢٩٥١).

(٢) الترمذي في الفتن، باب: ما جاء في قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» رقم: (٢٢١٣) وقال: «غريب من حديث المستورد بن شداد، لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(٣) شعب الإيمان، رقم: (١٠٢٤٠ ـ ١٠٢٤١) وأخرجه أيضاً أبو نعيم في حلية الأولياء: (٨/ ١٣١).

(٤) التذكرة: (٣/ ٢٣٦).

وفي المثل السائر: ما أقربَ ما هو آت وما أبعد ما فات.

ولقُرب قيامها عنده تعالى جعلها الله تعالى كغدٍ الذي بعد يومك فقال: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]. وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ ـ ٧].

ولما كان أمر الساعة شديداً كان الاهتمامُ بشأنها أكثرَ من غيرها، ولذلك أكثر النبي ﷺ من بيان أشراطها وأماراتها، وأخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة، ونبه أُمَّته وحذَّرها ليتهيئوا لتلك العقبة الشديدة.

ووقتُ مجيئها مما انفرد الله بعلمه، وقد ثبت أن النَّبيَّ ﷺ سُئِلَ عَنِ السَّاعة فقال: «ما المَسؤُولُ عنها بأَعْلَمَ من السَّائل...» الحديث وهو في الصحيح[1] يُعَرَفُ بحديث جبريل.

وهذا يدلُّ على أنَّه لم يكن عنده علم به، وقد نطق به القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. فلم يكن يعلمها هو ولا غيره، وإنَّما أخفاه لأنَّه أصلحُ للعباد لئلا يتباطئوا عن التَّأهب والاستعداد له، كما أنَّ خفاء وقت الموت أصلح لهم وأنفع، وقد انتدبت جماعةٌ من أهل العلم على تعيين قُربها وزمن كونها ومجيئها، واستدلوا بأحاديث غير صحيحة، وما صحَّ منها فدلالتها غير صريحة.

قال السَّيدُ العلامةُ محمدُ بنُ إسماعيل الأميرُ اليماني رحمه الله: إنَّما ثبت عنه

---

(١) وهو حديث طويل أخرجه البخاري في الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإيمان والإسلام... رقم (٥٠) ومسلم في الإيمان، باب الإيمان ما هو؟ رقم: (٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم في الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٨) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

ﷺ قُرب بعثته من قيام الساعة، كما أخرج ابن جرير عنه ﷺ: «ما مَثَلي ومَثَل السَّاعة إلَّا كفرسيْ رِهان»[١].

ونحوه في حديث بُرَيْدة ﷺ «بُعِثْتُ أَنا والسَّاعةُ جميعاً، إنْ كادت لتَسْبِقُني» أخرجه أحمد والطبراني[٢].

فهذه الأحاديث دالَّة على قُرب قيام السَّاعة من مَبْعَثِهِ ﷺ.

والإخبارُ عن قُربِها من مَبْعَثِه ﷺ يحتمل أنَّه إخبار عن قُربها عند الله تعالى، وإن كانت بعيدة، فهي ردٌّ لقول المشركين بأنَّه لا قيام لها.

وإليه أشار قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ ـ ٧].

ويحتمل أنَّ المراد: قرب أشراطها من بعثته ﷺ، وقد ظهر كثير من الأشراط، وأنَّها ظهرت من بعد وفاته بقليل، بل قد جعل ﷺ موته من أشراطها.

وهذا يدلُّ على أنه ﷺ بُعث وقد قَرُبَتْ أشراط الساعة، وتقدير المضاف بالقرائن ثابتٌ لغةً وكتاباً وسنةً ولا نكير فيه.

ويدل له ما أخرجه عبدُ الرَّزاق[٣] عن عُبادة بن الصَّامت أنَّه ﷺ قال له بعد عدِّهِ لبعض أشراطها: «إذا رأيت ذلك فإنَّك والساعة كهاتين» أي انتظر قيامها.

ثمَّ يدلُّ التقدير المضاف أمرٌ آخر، وهو أنه قد مضى بعد وفاته ﷺ قريب من اثنتي عشرة مئة ولم تقم السَّاعة فلا قرب لقيامها ببعثته، بل لأشراطها ويكون حديث: «إنَّ علاماتِ السَّاعةِ كَخرزاتٍ إذا وقَعَ منها شيءٌ تَبِعَ بعضُها

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، رقم: (١٠٢٣٧) عن سهل بن سعد ﷺ.

(٢) أحمد في المسند، رقم: (٢٢٤٣٨)، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد: (١٠/ ٣١١).

(٣) المصنف لعبد الرزاق، رقم: (٩٤٦٤).

بعضاً»[1] خاصاً بالعلامات العظام، كخروج الدجال، ونزول عيسى، وطلوع الشمس من مغربها.

وأمَّا تعيينُ زمان الساعة، والقرن الذي تقع فيه، فهو غيب لم يأت عليه دليل ينهض إلا أنَّ إتيان أشراطها مُؤْذِنٌ بقُربِها، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

❀ ❀ ❀

(١) أخرجه بنحوه أحمد في المسند، رقم: (٧٠٤٠) والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٧٤) وصححه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وسكت عنه الذهبي، وسيأتي في خاتمة الكتاب.

بابٌ في فتنٍ تكون في هذه الأُمّة
وهي أنواعٌ سَرَدْتُ أحاديثَها سرْداً واحداً

عن عَدِيِّ بن عَميرة ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله لا يُعذِّبُ العامَّة بِعَمَلِ الخاصّة، حتى يَروا المُنْكَر بين ظَهْرانَيْهِم وَهُم قادرون على أنْ يُنْكِروه، فإذا فَعَلوا ذَلِكَ عذَّبَ اللهُ الخاصَّة والعامَّة» رواه أحمد بسند حسن[١].

وعن ابن عباس ﷺ، قال: «أَمَرَ الله المُؤمنينَ أَنْ لا يُقِرُّوا المُنْكَر بين ظهْرانيهم فَيَعَمُّهُم العَذَاب» رواه الطبري[٢] موقوفاً.

وقد حذَّر النَّبيُّ ﷺ من الفِتَن في أحاديث كثيرةٍ منضمِّنة للوعيد على التَّبْديل والإحْداث؛ لأنَّ الفِتَن غالباً تنشأ عن ذلك.

وعن أسماء بنت أبي بكر ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «أَنا على حَوْضي أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عليَّ، فَيؤْخَذُ بناسٍ من دوني، فأَقولُ: أُمَّتي، فيقال: لا ندري مَشَوا على القَهْقَرى[٣]» رواه البخاري[٤].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، رقم: (١٧٢٦٧) والطبراني في المعجم الكبير: (١٧/ ١٣٩) وسنده على رسم الصحيح.

(٢) تفسير الطبري، تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]: (٩/ ٢١٨).

(٣) المراد بهم من ارتد عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ من قبائل الجزيرة العربية.

(٤) البخاري في الفتن، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ =

وعن أبي وائلٍ قال: قال ابنُ مسعودٍ ﷺ، قال النبي ﷺ: «أنا فَرَطُكُم على الحَوْض فليُرفَعَنَّ إليَّ رجالٌ منكم حتى إذا أَهْوَيتُ لأُناولَهُم اختُلِجُوا دوني. فأقولُ: أيْ ربِّ أصحابي، فيقول: لا تدري ما أَحْدَثوا بَعْدَك» أخرجه البخاري[١].

أي ما أحدثوا من الارتداد عن الإسلام، أو من المعاصي الكبيرة البدنيَّة، أو البدَع الاعتقادية، قاله القَسْطَلاني[٢].

وعن زينبَ بنت جَحْشٍ ﷺ، أنَّها قالت: استيقظ النبيُّ ﷺ من النَّوم مُحْمَرّاً وجهُه يقول: «لا إله إلَّا الله، وَيْلٌ للعَرَب مِنْ شَرٍّ قَد اقترب، فُتح اليوم من ردْم يأجوج ومأجوج مثلُ هذه» وعقد سُفيان بن عُيَيْنِة ـ الرَّاوي لهذا الحديث ـ تِسْعين، أو عَقَدَ مئة، قيل: أَنَهْلكُ وفينا الصَّالحون؟ قال: «نَعَم إذا كَثُرَ الخَبَثُ» رواه البخاري[٣]، أي الزِّنى وأولاد الزِّنى، أو الفُسوقُ والفُجورُ. وفي الفتح[٤] ترجيح الأخير، قال: لأنَّه قابله بالصَّلاح.

وإنَّما خصّ العرب بالذِّكر لأنَّهم أوَّل مَنْ دخل في الإسلام.

وأورده القُرطبي في (تذكرته) في باب إقبال الفتن ونزولها[٥].

= خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]. رقم: (٧٠٤٨) ومسلم في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، رقم: (٢٢٩٣). واللفظ للبخاري.

(١) البخاري في الفتن، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، رقم: (٧٠٤٩) ومسلم في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، رقم: (٢٢٩٧).

(٢) إرشاد الساري (١٠/ ١٦٧).

(٣) أخرجه البخاري في الفتن، باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب» رقم: (٧٠٥٩) ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، رقم: (٢٨٨٠).

(٤) فتح الباري: (١٣/ ١٦).

(٥) التذكرة: (٣/ ٨٨).

وقال[١]: أخبر عليه الصَّلاة والسَّلام بما يكونُ بعدَهُ من [أمر] العرب وما يستقبلهم من الويل والحَرْبِ، وقد وُجِدَ ذلك بما استؤثِر عليهم به من الملك والدولة والأعمال والإمارة، وصار ذلك في غيرهم من التُّركِ والعجَم، وتشتَّتوا في البوادي بعد أن كان العزُّ والمُلكُ والدُّنيا لهم ببركته عليه الصَّلاة والسلام، وما جاءهُم به من الدِّين والإسلام، فلمَّا لم يشكروا النِّعمة وكفروها فَقَتَلَ بعضُهم بعضاً، وسَلَبَ بعضُهم أموالَ بعضهم، سلبها الله منهم ونقلها إلى غيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، ولهذا قال علماؤنا قولها: أنهلِك وفينا الصَّالحون؟ قال: «نعم إذا كَثُرَ الخَبَثُ»، دليلٌ على أنَّ البلاء قد يرفع عن غير الصالحون إذا كَثُر الصَّالحون، فأما إذا كثُر المُفْسِدون وقلَّ الصالحون، هلك المفسدون والصَّالحون معهم إذا لم يأمروا أو يكرهوا، وهو معنى قوله سبحانه ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، بل يعمُّ شؤمُها من تعاطاها ومن رضيها، هذا بفساده وهذا برضاه انتهى.

ومنها حديث أُسامة بن زيدٍ ﷺ قال: «أَشْرَفَ النَّبيُّ ﷺ على أُطُمٍ[٢] من آطام المدينة فقال: «هَلْ تَرَوْنَ ما أَرَىَ؟» قالوا: لا. قال: «فإنِّي لأَرى الفِتَنَ تَقَعُ خلالَ بيوتِكم كَوَقْع القَطْر» أخرجه الشيخان[٣]، وحَسُن التَّشبيه بالقَطْر لإرادة التعميم لأنَّه إذا وقع في أَرْضٍ مُعيَّنةٍ عمَّها، ولو وقع في بعض جهاتها.

وعن كُرْزِ بنِ علْقَمة الخُزاعي ﷺ قال: «سأَلَ رَجُلٌ النبيَّ ﷺ: هَل للإسلام من منتهى؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، أَيما أهلِ بيتٍ منَ العرب

---

(١) القرطبي في التذكرة: (٣/ ٩٢) قوله ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب».

(٢) الأطم: البناء المرتفع، والحصن المبني بالحجارة [غريب الحديث للخطابي (١/ ١٠٥)].

(٣) البخاري في الفتن، باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب» رقم: (٧٠٦٠) ومسلم في الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر، رقم: (٢٨٨٥).

والعجم أرادَ الله بهم خَيراً أَدْخَلَ عليهمُ الإسلام» فقال: ثمَّ ماذا؟ قال: «ثُمَّ تَقَعُ الفِتَنُ كالظُّلَلِ». فقال الرجل: كلَّا والله إنّ شاء الله. قال: «بَلىَ والذي نَفْسي بِيَدِهِ لَتَعُودُنَّ فيها أَساود صبّاً يَضْرِبُ بعضُكُم رِقابَ بعضٍ» أخرجه البيهقي[١].

قال الزهري: أساود صُبّاً: الحيَّة السَّوداء إذا أرادت أن تَنْهَش ارتفعت هكذا ثمَّ انصبَّت.

وخرَّجه أبو داود الطيالسي أيضاً.

قال أبو الخطَّاب ابنُ دِحْيَة الحافظ: هذا حديثٌ لا مطعن في صحَّة إسناده[٢].

ورواه القرطبي[٣] بإسناده، وقال: صُبّا: جمع صابٍ، كغازٍ وغُزَّى وهو الذي يميل ويلتوي وقت النَّهش ليكون أنكى في اللَّدغ وأشد صَبّاً للسُّم.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: «يَتَقارَبُ الزَّمانُ، ويَنْقُصُ العمل، ويُلْقى الشُّحُّ، وتَظْهَرُ الفِتَن، ويَكثُر الهَرْجُ» قالوا: يا رسول الله، أَيُّمَ هُوَ؟[٤] قال: «القَتْل القَتْل» رواه البخاري ومسلم والترمذي[٥].

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: (١١٧) وانظر تمام تخريجه في الحاشية الآتية.

(٢) أخرج الحديث إضافة للبيهقي كلٌ من: أبي داود الطيالسي في مسنده: (١/ ١٨٢)، وابن أبي شيبة في المصنف، رقم: (٣٧١٢٦) وعبد الرزاق في المصنف، رقم: (٢٠٧٤٧) وأحمد في المسند، رقم: (١٥٩٥٨) وابن حبان في الصحيح، رقم: (٥٩٥٦) والحاكم في المستدرك: (٤/ ٥٠٢) والطبراني في المعجم الكبير: (١٩/ ١٩٧ ـ ١٩٩) وابن منده في الإيمان، رقم: (١٠٨١ ـ ١٠٨٢) والبزار، رقم: (٣٣٥٣ ـ ٣٣٥٥) وصحح الحاكم وابن منده إسناده، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني والبزار بأسانيد، وأحدها رجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد: (٧/ ٣٠٥).

(٣) التذكرة: (٣/ ٩١).

(٤) قوله: «أيُم هو» أصلها «أيما» حذفت الألف، والمعنى: أيّ شيء هو؟ (منه).

(٥) البخاري في الفتن، باب ظهور الفتن، رقم: (٧٠٦١) ومسلم في العلم، باب رفع العلم =

قال ابنُ بطَّال: وجميعُ ما تضمَّنه هذا الحديث من الأشراطِ قد رأَيْناها عِياناً.

قال في الفتح[1]: الذي يظهر أنَّ الذي شاهده، كان منه الكثير مع وجود مقابلِهِ.

والمراد من الحديث استحكام ذلك، حتى لا يبقى مما يقابله إلَّا النَّادر، وإليه الإشارة بالتَّعبير بقبض العلم، فلا يبقى إلا الجهل الصِّرْف، ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم، لأنَّهم يكونون حينئذٍ مغمورين في أُولئك...

والواقع أنَّ الصِّفات المذكورة وجدت مباديها من عهد الصَّحابة، ثمَّ صارت تكثر في بعض الأماكن دون بعضٍ، والذي يعقبه قيام الساعة استحكام ذلك، وقد مضى من الوقت الذي قال فيه ابن بطال ما قال نحو ثلاثمئةٍ وخمسين سنة، والصِّفات المذكورة في ازدياد في جميع البلاد، ولكن يقلّ بعضُها في بعضٍ ويكثر بعضها في بعضٍ، وكلما مضت طبقة ظهر النَّقص الكثير في التي تليها...

والمراد بكثرة القتل مالا يكون على وجه الحق، كإقامة الحد والقصاص انتهى.

قلت: وقد مضى من الوقت الذي قال فيه الحافظ ابن حجر ما قال نحو خمسمئة سنة، والآفات المذكورة والفتن المسطورة في زيادة وفشو في جميع أقطار الدُّنيا حتى مُلئت الآن جوراً وظلماً، ومن زمان النُّبوة نحو ألف وأربع وتسعين ومئتين إلى يومنا هذا، وفي كثرة الهرج أحاديث بألفاظ الصَّحيحين وغيرهما.

= وقبضه، رقم: (١٥٧) ولم أجده عند الترمذي، بل أخرجه أبو داود في الفتن، باب: ذكر الفتن ودلائلها، رقم (٢٢٥٥) وابن ماجه في الفتن، باب شدة الزمان، رقم: (٤٠٤٧).

(١) انظر كلام ابن بطال المتقدم، وما سيذكره فيما يأتي في فتح الباري: في الفتن، باب ظهور الفتن: (١٣/١٦).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بادِرُوا بالأَعمال فِتناً ـ قَبل أنْ تأتي ـ كقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِم، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً ويُمْسي كافِراً، ويُمْسي مُؤْمِناً ويُصْبح كافِراً، يَبيعُ دِيْنَه بِعَرَضٍ من الدُّنيا» أخرجه مسلم(١).

ورواه القرطبي في «تذكرته» في باب إقبال الفتن ونزولها.

قلت: وهذا الحديث من أعلام النُّبوة، وقد وقَعَ بَيع الدِّين بَعَرَضٍ من الدُّنيا في غالب أقطار الأرضِ إلَّا من عَصَمَه الله.

وعن أمِّ سلمة ﷺ زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ النبيُّ ﷺ فزعاً مرعوباً يقول: «سُبْحانَ الله! ماذا فُتِحَ اللَّيْلَةَ مِنَ الخَزائِن؟ وماذا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنَ؟ من يُوقِظُ صواحِباتِ الحُجَرِ ـ يُريد أَزواجه ـ لكي يُصَلِّين؟ رُبَّ كاسيةٍ في الدُّنيا عاريةٍ في الآخِرَةِ» أخرجه مسلم(٢).

وعن عُبيد بنِ عُمير ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ فقال: «يا أَصْحابَ الحُجُراتِ سُعِّرَتِ النَّارُ وجَاءَت الفِتَنُ كأَنَّها قِطَعُ اللَّيْلِ المُظْلِم، لَوْ تَعْلَمونَ مَا أَعْلَم لَضَحِكْتُم قليلاً ولَبَكَيْتُم كَثيراً»(٣).

قال أبو الحسن القابسيُّ: هذا وإن كان مُرسلاً فإنَّه من جيِّد المراسيل، وابن عُمير من أئمة السَّلف.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: سَمعتُ النبي ﷺ يقول: «مِنْ شِرارِ النَّاس مَنْ تُدْرِكُهم السَّاعة، وُهُم أَحياءٌ» رواه البخاري(٤).

---

(١) مسلم في الإيمان، باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل أن تظهر الفتن، رقم (١١٨) وما بين المعترضتين ليس من نص الحديث.

(٢) البخاري في الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، رقم: (٧٠٦٩) بنحوه، ولم أجده عند مسلم والله أعلم.

(٣) أخرجه هناد في الزهد، باب البكاء (٤٧٢) وانظر كنز العمال، رقم: (٣١٠٢٣).

(٤) البخاري في الفتن، باب ظهور الفتن، رقم: (٧٠٦٧).

وعند مسلم[١] من حديثه أيضاً مرفوعاً، «لا تَقُوم السَّاعة إلَّا على شِرارِ النَّاس».

وعنده[٢] عن ابن عمرو بن العاص ﷺ: «إلَّا على شِرَارِ الَخْلقِ وَهُم شرٌّ مِنْ أَهْلِ الجاهلية، لا يَدْعُونَ الله بِشَيءٍ إلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِم».

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «لا يأتي عَلَيْكُم زَمَانٌ إلَّا الذي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْه، حتَّى تَلْقَوا رَبَكُم» رواه البخاري والترمذي وحسَّنه[٣].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: «أمس خَيْرٌ مِنَ اليَوْم، واليَوْم خَيْرٌ مِنْ غَدٍ، وكذلك حتَّى تَقُومَ السَّاعة» أخرجه الطَّبراني بسندٍ صحيح[٤].

قال ابن بطال: هذا الخبر من أعلام النَّبوة لإخباره ﷺ بفساد الأحوال، وذلك من الغيب الذي لا يُعْلم بالرأي، وإنَّما يُعْلَم بالوحي، انتهى[٥].

ومنها حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ القاعِدُ فيها خَيْرٌ من القَائِم، والقَائِمُ فيها خَيْرٌ مِنَ الماشي، والماشي فيها خَيْرٌ من السَّاعي، ومَنْ تَشَرَّفَ لها تَسْتَشْرِفُه، فمن وجد فيها مَلْجأً أو مَعاذاً فَلْيَعُذْ بِهِ» رواه البخاري ومسلم[٦].

---

(١) مسلم في الفتن، باب قرب الساعة، رقم: (٢٩٤٩).

(٢) مسلم في الإمارة، باب قوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» رقم (١٩٢٤).

(٣) البخاري في الفتن، باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه، رقم: (٧٠٦٨) والترمذي في الفتن، باب لا يأتي زمان...، رقم (٢٢٠٦) ولفظه: «ما من عام إلا والذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربكم».

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، رقم (٨٧٧٣) قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد: (٧/ ٢٨٦).

(٥) انظر فتح الباري في الفتن، باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه.

(٦) البخاري في الفتن، باب تكون فتنة القاعد خير فيها من القائم، رقم (٧٠٨١) ومسلم في الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر، رقم (٢٨٨٦).

وفي رواية[1] لمسلم: «تكون فِتْنَةٌ: النَّائِمُ فيها خَيْرٌ مِنَ اليَقْظانِ، واليَقْظانُ فيها خَيْرٌ مِنَ القائِم، والقائِمُ فيها خَيْرٌ مِنَ السَّاعي، فمن وَجَد مَلْجأً أو مَعاذاً فَلْيَسْتَعِذْ بِهِ».

وفيه التَّحذير من الفتن، وأنَّ شَرَّها يكون بحَسبِ الدُّخولِ فيها.

والمراد بالفتن جميعها، أو ما ينشأ عن الاختلاف في طلب المُلكِ حيثُ لا يُعْلم المُحق من المُبطل...

وعلى الأوَّل فقالت طائفة بلزوم البيت، وقال آخرون بالتَّحوُّل من بلد الفتنة، ثمَّ اختلفوا:

فمنهم من قال: إذا هجم عليه شيءٌ من ذلك يكفّ يده، ولو قُتل.

ومنهم من قال: يُدافع عن نفسه وماله وأهله، وهو معذور إن قَتَلَ أو قُتِلَ.

وقال آخرون: إذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت من الواجب عليها، ونُصِبَتِ الحروبُ وجب قتالها، وكذلك لو تحارب طائفتان وجب على كلِّ قادرٍ الأخذُ على يد المُخطئ، ونصر المُصيب. وهذا قول الجمهور.

وفصَّل آخرون فقالوا: كلُّ قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة، فالقتال حينئذ ممنوع، وتُنَزَّلُ الأحاديثُ التي في هذا الباب وغيره على ذلك، وهو قول الأوزاعيِّ.

قال الطَّبري: والصَّواب أن يُقال: إن الفتنة أصلُها: الابتلاء، وإنكارُ المنكر واجبٌ على من يقدر عليه، فمن أعان المُحقّ أصاب، ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أشكلَ الأمر فهي الحالةُ التي ورد النَّهي فيها عن القتال...

---

(١) رقم (٢٨٨٦) (١٢).

وقيل: إنَّ أحاديث النَّهي مخصوصةٌ بآخر الزَّمان حيث يحصل التَّحقُّقُ بأنَّ المقاتَلَةَ، إنَّما هي في طلب المُلك، والله أعلم[١].

ومنها حديث حُذيفةَ بنِ اليمانِ ﷺ قال: كان النَّاسُ يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشَّر مخافة أن يُدركني، فقلت: يا رسول الله إنَّا كُنَّا في جاهليةٍ وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: «نَعَم» قلت: وهل بعد ذلك الشَّرِّ من خَيْر؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ» قلت: وما دَخَنُهُ؟ قال: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بغير هَديي تَعْرِفُ منهم، وتُنْكِر»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرّ؟ قال: «نعم، دُعاة على أبوابِ جَهنَّم مَنْ أَجابهم إليها قَذَفوه فيها» [فقلت: يا رسول الله، صِفْهُمْ لنا! قال: «نعم، قوم من جلدتنا و] يتكلَّمونَ بألسنَتِنا» قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ، ولا إمامٌ، قال: «فاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرقَ كلَّها، ولو أَنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شَجَرةٍ، حتَّى يُدْرِكَك المَوْتُ، وأنت عَلى ذَلِكَ»، أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه[٢].

قال في الفتح[٣]: وهو كناية عن لزوم جماعة المسلمين، وطاعة سلاطينهم ولو عَصَوا.

قال البيضاوي: المعنى: إذا لم يكن في الأرض خليفةٌ فعليك بالعزلة والصَّبر على عمل شدَّة الزَّمان.

وعَضُّ أصل الشَّجرة: كنايةٌ عن مكابدة المشقَّة، أو المراد اللُّزوم.

---

(١) انظر ما تقدم من كلام في فتح الباري: الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم. (١٣/ ٣١).

(٢) البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦٠٦) ومسلم في الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، رقم (١٨٤٧) وابن ماجه في الفتن، باب العزلة، رقم (٣٩٧٩).

(٣) فتح الباري، في الفتن: (١٣/ ٤٧).

قال ابن بطَّال: فيه حجَّة لجماعة الفقهاء، في وجوب لُزوم جماعة المُسلمين، وترك الخروج على أئمة الجور؛ لأنَّه وصف الطائفةَ الأُخرى، بأنَّهم «دُعاة على أبواب جهنَّم»، ولم يقل فيهم: «تَعْرِف وتُنْكِر» كما قال في الأَوَّلين، وهم لا يكونون كذلك إلَّا وهم على غير حق، وأَمَرَ مع ذلك بلزوم الجماعة.

واختلف في هذا الأمر وفي الجماعة.

فقال قوم: هو للوجوب، والجماعة: السَّواد الأعظم.

وقال قوم: المراد بالجماعة: الصَّحابة دون من بعدهم.

وقال قوم: المراد بهم أهلُ العلم؛ لأنَّ الله تعالى جعلَهم حُجَّةً على الخلق، والنَّاس تَبَعٌ لهم في أمر الدِّين.

قال الطَّبري: والصَّواب أنَّ المُراد من الخير لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة.

قال: وفي الحديث أنَّه متى لم يكن للنَّاس إمامٌ فافترق النَّاس أحزاباً فلا يتبع أحداً في الفرقة، ويعتزل الجميع إنْ استطاع ذلك، خشية من الوقوع في الشَّرِّ، وعلى ذلك يُنزَّل ما جاء في جميع الأحاديث، وبه يُجمع بين ما ظاهِرُه الاختلاف.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: ويؤخذ منه ـ أي من هذا الحديث ـ ذمُّ من جعل للدِّين أصلاً خلافَ الكتاب والسنة، وجعلهما فرعاً لذلك الأصل الذي ابتدعوه.

وفيه: وجوب ردِّ الباطل وكلِّ ما خالف الهديَ النَّبويَّ، ولو قاله من قاله من رفيع أو وضيع، انتهى.

وعن أبي بكرة قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «إنَّها ستكون فِتَنٌ أَلَا ثُمَّ

---

(١) فتح الباري: (١٣/ ٤٨).

تكونُ فِتَنٌ، القاعِدُ خَيْرٌ من الماشي فيها، والماشي خَيْرٌ مِنَ السَّاعي إليها، أَلا فإذا وقَعَتْ فمَنْ كان له إبلٌ فَلْيَلْحق بإبِلِهِ، ومَنْ كانَ لهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِه، ومَنْ كان لهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَق بأَرْضِه» فقال رجلٌ: يا رسول الله، أرأيت من لم يكن له إبل، ولا غنمٌ، ولا أرض؟ قال: «يَعْمِد إلى سَيْفِه فيدقّ على حدِّهِ بحجَرٍ، ثُمَّ لينج إنْ استطاع النَّجاء، اللَّهمَّ هَلْ بَلَغْتُ ثلاثاً» فقال الرجل: يا رسول الله، أرأيتَ إنْ أُكرهتُ حتى يُنْطَلَق بي إلى أَحدِ الصَّفين فضربني رجلٌ بسيفهِ، أو يجيء سهمٌ فيقتلني؟ قال: «يَبوءُ بإِثْمِهِ وإِثْمكَ ويكون من أَصْحابِ النَّارِ» أخرجه مسلم، وأورده القرطبي في «تذكرته» في باب ما جاء في الفرار من الفتن[1].

وعن أبي بُردة قال: دخلت على محمد بن مَسْلَمة ﷺ، فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّها سَتَكُونُ فِتْنَةٌ وفرقة واختلافٌ، فإذا كانَ ذَلِكَ فأتِ بِسَيْفِكَ أُحُداً فاضرب به حتَّى يَنْقَطِعَ، ثُمَّ اجْلسِ في بِيْتِكَ حتَّى تأتيكَ يدٌ خاطِئةٌ أو مَنِيَّةٌ قاضيةٌ» وقد وقعت، وقد فعلت ما قال ﷺ» أخرجه ابن ماجه، وأورده القُرطبيُّ في «تذكرته» في باب الأمر بلزوم البيت في الفتن[2].

قال علماؤنا: كان محمد بن مسلمة ﷺ ممن اجتنب ما وقع بين الصَّحابة من الخلاف والقتال، وأقام بالربذة.

وممن اعتزل الفتنة: أبو بكرة، وابن عمر، وأسامة بن زيد، وأبو ذر، وحذيفة، وعمران بن حُصين، وأبو موسى، وأهبانُ بن صيفي، وسعدُ بن أبي وقاص وغيرهم ﷺ.

ومن التابعين: شُريح، والنَّخعيُّ، وغيرُهما.

---

(١) مسلم في الفتن باب: نزول الفتن كمواقع القطر، رقم: (٢٨٨٧) وانظر التذكرة للقرطبي: (٣/ ١١٩) وأحمد في المسند، رقم (١٧٥٢١).

(٢) ابن ماجه في الفتن، باب التثبت في الفتنة، رقم (٣٩٦٢) وانظر التذكرة للقرطبي: (٣/ ١٢٠).

قال القرطبي[١]: وكانت تلك الفتنة والقتال بينهم على اجتهاد منهم، وكان المصيب منهم له أجران، والمخطئُ له أجرٌ، ولم يكن قتالٌ على الدَّنيا، فكيف اليوم الذي تُسفك فيه الدماء باتِّباع الهوى طلباً للمُلك والاستكثار من الدنيا؟! فواجبٌ على الإنسان كفّ اليد واللّسان عند ظهور الفتن، ونزول البلايا والمحن. نسأل الله السَّلامة والفوز بدار الكرامة، بحقِّ محمد نبيِّه وآله وأتباعه وأصحابه انتهى.

أقول: وقد فعلتُ مثل ذلك في زمن الفساد الذي وقع في إقليم الهند بين عساكر الفِرنج وحكَّامهم في سنة (١٢٧٣ الهجرية) وابتُلي ناسٌ كثيرٌ به، وسمَّوه الجهاد، ولم تُوجد شروطه، ولم يكن على منهاج الشريعة الحقة، وانتدب لطلب الملك والرِّياسة فأصبحوا خاسرين، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وفي الصَّحيح (باب من كره أن يُكثِّر سواد الفتن والظُّلم) و(باب التَّعرُّبُ في الفتنة) أي الإقامة بالبادية، وفيه حديث سلمة بن الأكوع ﷺ: «أنَّ رسول الله ﷺ أذن لي في البدو» أخرجه مسلم[٢] والنسائي أيضاً.

ويُستفاد من «الفتح» أنَّ مدَّة سُكنى سلمة بالبادية نحو أربعين سنة.

ومنها حديث أبي سعيد الخُدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مالِ المُسلم غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجبال، ومواقع القَطْرِ يَفرُّ بدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»، أخرجه الشَّيخان والنَّسائي ومالك وأبو داود[٣].

---

(١) التذكرة: (٣/ ١٢٠).

(٢) البخاري في الفتن، باب التعرب في الفتنة رقم (٨٠٨٧) ومسلم في الإمارة، باب تحريم رجوع المهاجر إلى استيطان وطنه، رقم: (١٨٦٢) وسببه أن سلمة بن الأكوع ﷺ دخل على الحجاج، فقال: يا ابن الأكوع ارتددت على عقبيك؟ تعرَّبت؟ قال: لا ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو.

(٣) البخاري في الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن، رقم: (١٩) وأبو داود في الفتن، =

والشَّعَفُ: جمع شعفة كأَكَم وأَكَمة: رؤوس الجبال.

قال في الفتح: والخبر دالٌّ على فضيلة العُزْلة لمن خاف على دينه، ولا يتأتى له الجهاد في سبيل الله.

وقيل: يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال.

واختار النَّووي الخُلطة، لمن لا يغلب على ظنِّه الوقوع في المعصية، فإن أشكل الأمر فالعُزْلة.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ أنَّه قام إلى جنب المنبر فقال: «الفِتْنَةُ هاهنا، الفِتْنَةُ هاهنا من حيثُ يَطْلُع قَرْنُ الشَّيْطانِ»، أو قال: «قَرْنُ الشَّمْسِ»، رواه البخاري ومسلم والترمذي[1].

أشار ﷺ إلى المشرق؛ لأنَّ أهله يومئذ أهلُ كُفر، فأخبر أنَّ الفتنة تكون من تلك الناحية، وكذا وقع فكان وقعةُ (الجمل) ووقعةُ (صفِّين) ثم ظهور الخوارج في أرض نجدٍ والعراق وما وراءها من المشرق، وكان أصل ذلك كله وسببهُ قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وهذا عَلَمٌ من أعلام نبوَّته ﷺ.

قال في (الفتح): وأوَّل الفتن كان من قبل المشرق، فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبُّه الشَّيطان ويفرحُ به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة.

= باب الرخصة في التبدي في الفتنة، رقم (٤٢٦٧)، والنسائي في الإيمان، باب الفرار بالدين من الفتن، رقم (٥٠٣٩)، وابن ماجه في الفتن، باب العزلة، رقم (٣٩٨٠)، ومالك في الموطأ في الاستئذان: (٣/ ٩٧٠) ولم أجده في مسلم.

(١) البخاري في الفتن، باب قول النبي ﷺ: «الفتنة من قبل المشرق» رقم: (٧٠٩٢) ومسلم في الفتن، باب الفتنة من المشرق....، رقم (٢٩٠٥) والترمذي في الفتن، باب في العمل في الفتن، رقم (٢٢٦٨).

وقال الخطابيُّ: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة.

وأصل النَّجد: ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور، فإنَّه ما انخفض منها، وتهامة كلها من الغور، ومكة من تِهامة، انتهى.

وعُرف بهذا وهاء ما قاله الداودي: إنَّ نجداً من ناحية العراق، فإنَّه يوهم أنَّ نجداً موضعٌ مخصوص، وليس كذلك، بل كل شيءٍ ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يُسمَّى المرتفعُ نجداً، والمنخفضُ غَوْراً، انتهى ما في فتح الباري.

وفي الصَّحيح (باب التَّعوذ من الفتن)، وكان ابن عمر ﷺ يرى ترك القتال في الفتنة، ولو ظهر أنَّ إحدى الطائفتين محقَّة والأُخرى مُبطلة.

وعن خلف بن حوشب: كانوا يستحبّون أن يتمثَّلوا بهذه الأبيات عند الفتن:

الحرب أول ما تكون فتيَّةٌ ... تسعى بزينتها لكلِّ جهولِ
حتى إذا اشتعلت وشبَّ ضِرامُها ... ولَّت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاءَ يُنكرُ لونُها وتغيَّرت ... مكروهةً للشمِّ والتقبيلِ

رواه البخاري[1].

قال في (الفتح)[2]: المراد بالتَّمثُّل بهذه الأبيات استحضار ما شاهده وسمعوه من رجال الفتنة، فإنَّهم يتذكَّرون بإنشادها ذلك، فيصدُّهم عن الدُّخول فيها حتَّى لا يغترُّوا بظاهر أمرها أولاً، انتهى.

ومنها حديث ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أَنْزَلَ الله بقومٍ

---

(١) في كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر. والأبيات التي أوردها لامرئ القيس، وأما في الكامل للمبرد فنسبها لعمرو بن معدي كرب.

(٢) فتح الباري: (١٣/ ٦٢).

عذاباً أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كان فيهم، ثُمَّ بُعِثوا على أَعمالِهِم»، رواه البخاري ومسلم[١].

قال الحافظ ابن حجر[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ: أي بُعث كلُّ واحد منهم على حسب عمله إن كان صالحاً فعُقباه صالحةٌ، وإلَّا فسيئةٌ فيكون ذلك العذاب طهرة للصَّالحين، ونَقمةً على الفاسقين.

وفي صحيح ابن حبان[٣] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعاً: «إنَّ الله تَعَالى إِذا أَنْزَل سَطْوَتَهُ على أَهْلِ نقْمَتِهِ، وفيهم الصَّالحونَ، قُبِضوا مَعَهُم، ثُمَّ بُعِثوا على نيّاتهِم وأَعَمالِهِم» وقد أخرجه البيهقي في (الشعب)[٤].

وهذا يناسب حديث أبي بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ النَّاس إذا رأوا المُنْكَر فلم يغيِّروه أَوْشَك أنْ يَعمّهم الله بعقاب» أخرجه الأربعة، وصحَّحه ابن حبَّان[٥].

والحاصل أنَّه لا يلزم من الاشتراك في الموت الاشتراك في الثَّواب أو العِقاب، بل يُجازى كلُّ أحدٍ بِعملهِ على حسب نيَّته.

وجنح ابن أبي جمرة إلى أنَّ الذين يقع لهم ذلك بسبب سكوتهم عن الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر. وأمَّا من أمر ونهى فَهُمُ المؤمنون حقاً

---

(١) البخاري في الفتن، باب إذا أنزل إليه العذاب بقوم، رقم (٧١٠٨) ومسلم في كتاب الجنة، باب بحسن الظن بالله، رقم (٢٨٧٩).

(٢) فتح الباري: (١٣/ ٧٦).

(٣) الإحسان بترتيب ابن حبان، رقم (٧٣١٤).

(٤) في شعب الإيمان، رقم (٧٥٩٩).

(٥) أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٣٨) والترمذي في الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، رقم (٢١٦٨) وابن ماجه في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم (٤٠٠٥) قال الترمذي: وفي الباب عن عائشة، وأم سلمة، والنعمان بن بشير، وعبد الله بن عمر وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا حديث صحيح.

لا يُرسل الله عليهم العذاب، بل يدفع الله بهم العذاب، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

ويدل على تعميم العذاب لمن لم يَنْهَ عن المُنكر، وإن لم يتعاطاه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

ويُستفاد من هذا مشروعية الهرب من الكفَّار، ومن الظَّلمَة لأنَّ الإقامة معهم من إلقاء النَّفس إلى التَّهْلُكَة.

هذا إذا لم يُعِنْهم ولم يَرْضَ بأفعالهم، فإنْ أعانَ أو رضيَ، فهو منهم، ويؤيّده أمر النَّبيِّ ﷺ بالإسراع في الخروج من ديار ثمود.

وأما بعثُهم على أعمالهم فحكمٌ عدلٌ، لأنَّ أعمالهم الصَّالحة إنَّما يُجازَوْن بها في الآخرة، وأما الدّنيا، فمهما أصابهم من بلاء، كان تكفيراً لما قدَّموه من عَمَلٍ سيءٍ، فكان العذاب المُرسل في الدَّنيا على الذين ظلموا يتناول من كان معهم، ولم ينكر عليهم، فكان ذلك جزاءً لهم على مداهنتهم، ثم يوم القيامة يُبْعَثُ كلٌّ منهم فيُجازى بعمله. قاله في (بهجة النفوس).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفي الحديث تحذيرٌ وتخويفٌ عظيمٌ لمن سكت عن النَّهي، فكيف بمن داهن؟ فكيف بمن رضي؟ فكيف بمن أعان؟ نسأل الله العافية والسَّلامة، انتهى.

قال القرطبي في (تذكرته)[1]: إنَّ النَّاس إذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على من رآه أنَّ يغيِّره إمَّا بيده، فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر فبقلبه، ليس عليه أكثر من ذلك، فإذا أنكر بقلبه، فقد أدَّى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك.

---

(١) التذكرة: (٣/ ٩٣).

وفي حديث أبي سعيد الخدري يرفعه: «وذلك أضعف الإيمان»[١].

وروي عن بعض الصحابة أنَّه قال: «إذا رأى مُنكراً، لا يستطيع النَّكير عليه فليقل ثلاث مرات: اللهم هذا منكر لا أرضاه، فإذا قال ذلك فقد أدى ما عليه» فأما إذا سكت عليه فكلُّهم عاصٍ، هذا بفعله، وهذا برضاه وقد جعل الله في حكمه وحكمته الرَّاضي بمنزلة العامل فانتظم في العقوبة، دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

وروى أبو داود[٢] عن العُرس بن عَميرة الكندي ﷺ، عن النَّبي ﷺ قال: «إذا عُمِلت الخَطيئة في الأَرض كان من شهدها فكرهَهَا ـ وقال مرَّة: فأنكرها ـ كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فَرَضِيَها كانَ كمَنْ شَهِدَها».

وهذا نص في الفرض.

وحسَّن رجلٌ عند الشَّعبي قَتل عثمان بن عفان ﷺ فقال الشعبي: قد شَرِكْتَ في دَمِهِ.

وفي صحيح الترمذي[٣]: «إنَّ النَّاس إذا رأَوا الظَّالم فلم يأْخذوا على يديه أَوشك أنْ يعمَّهم اللهُ بعقابٍ من عنده».

فالفتنة إذا عُمِلَتْ هلك الكلُّ. انتهى.

---

(١) أخرج مسلم في الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم: (٤٩) عن أبي سعيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

(٢) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٤٥).

(٣) الترمذي في الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، رقم (٢١٦٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أيضاً أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٣٨) وابن ماجه في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم (٤٠٠٥) عن أبي بكر الصديق ﷺ.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تدور رحى الإسلام لخمسٍ وثلاثين، أو ستٍّ وثلاثين، أو سبعٍ وثلاثين سنة، فإن يهلكوا فسبيلُ من هَلك، وإن يقُم لهم دينُهم يقُم لهم سبعين عاماً» قال: قلت: أمِمَّا بقيَ؟ قال: (مِمَّا مضى) أخرجه أبو داود[1].

قال الهروي: ويروى (تزول) وكأنَّ (تزول) أقرب، لأنَّها تزول عن ثبوتها واستقرارها و (تدور) تكون بما يحبُّون ويكرهون.

فإن كان الصَّحيح سنة (خمسٍ) فإنَّ فيها قام أهلُ مصر وحصروا (عثمان ﷺ).

وإن كانت سنة (ستٍ) ففيها خرج طلحة والزُّبير ﷺ إلى الجَمَلِ.

وإن كانت سنة (سبعٍ) ففيها كانت صِفِّين.

وقال الخطابي: يريد عليه الصلاة والسَّلام أنَّ هذه المدّة إذا انقضت حدث في الإسلام أمرٌ عظيمٌ يُخاف على أهله لذلك الهلاك؛ يقال للأمر إذا تغيَّر واستحال: دارت رحاه، وهذا ـ والله أعلم ـ إشارة إلى انقضاء مدَّة الخلافة.

وقوله: «لم يقم لهم دينُهُم» أي مُلكُهم وسُلطانهم، وذلك من لدن بايع الحسنُ معاويةَ ﷺ إلى انقضاء بني أميَّة من المشرق نحو من سبعين سنة، وانتقاله إلى بني العبَّاس.

والدِّين: الملَّة والسُّلطان، ومنه قوله تعالى: ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]، أي في سلطانه.

وقوله: «تدور رَحى الإسلام» دوران الرَّحى كناية عن الحرب والقتال،

---

(١) في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم (٤٢٥٤) وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه، رقم (٦٦٦٤) والحاكم في مستدركه (٤/ ٥٢١) وصححه ووافقه الذهبي.

شبَّهها بالرَّحى الدَّائرة التي تطحن، لما يكون فيها من قبض الأرواح، وهلاك الأنفُس، والله أعلم.

ذكر ذلك القُرطبيُّ في (تذكرته)[١] في (باب ما جاء في رحى الإسلام وما تدور).

وعن أبي بكرة ﷺ قال: بينا النَّبيُّ ﷺ يخطُب جاء الحسنُ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ الله يُصلحُ به بين فئتين من المُسلمين» رواه البخاري[٢].

والمراد فئة (الحسن) وفئة (معاوية) ﷺ.

وفيه أنَّ السِّيادة إنَّما يستحقُّها من ينتفع به النَّاس، لكونه علَّق السِّيادة بالإصلاح.

وفيه علم من أعلام نبينا ﷺ، فقد ترك الحسنُ ﷺ المُلك ورعاً ورغبةً فيما عند الله، ولم يكن ذلك لعلةٍ ولا لقلةٍ ولا لذلةٍ، بل صالح معاويةَ ﷺ رعايةً للدِّين وتسكيناً للفتنة وحقْنِ دماء المسلمين.

وفي الحديث أيضاً دلالة على رأفة معاوية ﷺ بالرَّعية وشفقته على المُسلمين، وقوَّة نظره في تدبير المُلك، ونظره في العواقب، قاله القسطلاني[٣].

قال ابن بطال: سلَّم الحسنُ الأمر لمعاويةَ وبايعه على إقامةِ كتابِ الله وسنَّة رسوله ﷺ، ودخل معاويةُ الكوفة فبايعه النَّاس فسميت سنة الجماعة، لا جتماع النَّاس وانقطاع الحرب ـ كذا في الفتح ـ[٤].

وقال: وفي الحديث منقبة للحسن بن علي ﷺ.

---

(١) التذكرة: (٣/ ٩٨).

(٢) في الفتن، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي ﷺ: «إن ابني هذا السيد. . .» رقم (٧١٠٩).

(٣) في إرشاد الساري (١٠/ ١٩٨).

(٤) فتح الباري: (١٣/ ٦٣).

وفيه ردٌّ على الخوارج الذين كانوا يكفِّرون عليًّا ومن معه، ومعاوية ومن معه بشهادة النَّبيِّ ﷺ للطَّائفتين بأنَّهم من المسلمين.

وفيه فضيلة الإصلاح بين النَّاس، ولا سيما في حقن دماء المسلمين.

وفيه ولايةُ المفضول الخلافة مع وجود الأفضلِ، لأنَّ الحسن ومعاوية وَليَ كلٌّ منهما الخلافة، وسعدُ بن أبي وقاصٍ، وسعيدُ بن زيدٍ في الحياة، وهما بدريان[1]. قاله ابن التِّين.

وفيه جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى في ذلك صلاحاً للمُسلمين، والنُّزول عن الوظائف الدِّينية والدُّنيوية بالمال، وجواز أخذ المال على ذلك وإعطائه بعد استيفاء شرائطه بأن يكون المنزول له أولى من النَّازل، وأن يكون المبذول من مال الباذل، وإن كان في ولاية عامة، وإن كان المبذول من بيت المال اشتُرط أن تكون المصلحةُ في ذلك عامَّةً. أشار إلى ذلك ابنُ بطَّال.

وفيه إطلاق (الابن) على ابن البنت.

وقد انعقد الإجماع على أنَّ امرأة الجدِّ والد الأم محرَّمَةٌ على ابن بنته، وأنَّ امرأة ابن البنت محرَّمةٌ على جدِّه، وإن اختلفوا في التَّوارث.

واستُدِلَّ به على تصويب رأي من قعد عن القتال مع معاوية وعلي ﷺ وإنّ كان عليٌّ أحقَّ بالخلافة وأقرب إلى الحقِّ، وهو قول سعد بن أبي وقاص، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسائر من اعتزل تلك الحروب.

وذهب جمهور أهل السُّنة إلى تصويب مَنْ قاتل مع عليٍّ لامتثال قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ الآية [الحجرات: ٩]. ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية، وقد ثبت أنَّ من قاتل عليّاً كانوا بُغاة، وهؤلاء مع هذا

---

(١) ومن العشرة المبشرين بالجنة ﷺ.

التَّصويب متفقون على أنه لا يُذمُّ أحدٌ من هؤلاء، بل يقولون: اجتهدوا وأخطأوا، انتهى.

ومنها حديث أبي هريرة ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا تَقومُ السَّاعةُ، حتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بقَبْرِ الرَّجُلِ فَيقولُ: يالَيْتَني مَكَانَه» رواه الشيخان[1]، أي كنتُ ميتاً.

قال ابن بطال: يغْبِطُ أهلَ القبور ويتمنَّى الموت، وذلك عند ظهور الفتن، وخوف ذهاب الدين لغلبة الباطل وأهله، وظهور المعاصي والمنكر، انتهى.

وليس هذا عاماً في حقِّ كلِّ أحدٍ، إنَّما هو خاصٌّ بأهل الخير، وأما غيرهم، فقد يكون لما يقع لبعضهم من المصيبة في نفسه أو أهله أو دنياه، وإن لم يكن في ذلك شيءٌ يتعلق بدينه.

ويؤيِّده حديث أبي هريرة ﷺ يرفعه: «لا تَذهَبُ الدُّنْيا حتَّى يَمُرَّ الرَّجلُ على القَبْر فيتَمَرَّغُ عليه، ويقول: يالَيْتَني مكان صاحب هذا القَبْر، وليس به الدِّينُ إلَّا البلاءُ» رواه مسلم[2].

وفيه إيماءٌ إلى أنَّه لو فعل ذلك بسبب الدِّين لكان ذلك محموداً، ويؤيِّده ثبوت تمنِّي الموت عند فساد أُمور الدِّين عن جماعة من السَّلف، قال النَّووي[3]: لا كراهة في ذلك، بل فعَلَه خلائقُ، منهم عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهُما.

قال القرطبي[4]: كأنَّ في الحديث إشارةً إلى أنَّ الفتن والمشقَّة البالغة ستقع حتَّى يخفَّ أمرُ الدِّين ويقلَّ الاعتناء به، ولا يبقى لأحدٍ اعتناءٌ إلَّا بأمر

---

(١) البخاري في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يُغبط أهل القبور، رقم (٧١١٥) ومسلم في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل...، رقم (١٥٧).

(٢) هو إحدى روايات مسلم للحديث السابق، انظر في الموضع السابق.

(٣) نقله ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٧٥).

(٤) التذكرة: (٣/ ١٦٦).

دُنياه ومعاشه ونفسه وما يتعلَّق به، ومن ثمَّ عَظُمَ قدرُ العبادة أيام الفتنة، كما أخرج مُسلم والتِّرمذي[١] من حديث معقل بن يسار ﷺ يرفعه: «العبادة في الهرج كهجرةٍ إليَّ».

وقد أخرج الحاكم[٢] عن أبي سلمة، قال: عدتُ أبا هريرة ﷺ فقلت: اللَّهم اشف أبا هريرة، فقال: اللَّهم لا تُرجعها، إن استطعت يا أبا سلمة فمُت، والذي نفسي بيده ليأتينَّ على العلماء زمانٌ الموت أحبُّ إلى أحدهم من الذَّهب الأحمر.

وذِكْرُ الرَّجلِ في الحديث للغالب، وإلَّا فالمرأة يُمكن أن تتمنَّى الموت لذلك أيضاً.

وفي الصحيح[٣]: «باب: تغير الزمان ـ أي عن حاله الأوَّل ـ حتَّى يعبدوا الأوثان».

ومنها: حديث حارثة بن وهب الخُزاعي ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «تصدَّقوا، فسيأتي على النَّاس زمانٌ يمشي الرَّجل بصدقته فلا يجد من يقبلها»، رواه البخاري[٤].

وهذا إنَّما يكون في الوقت الذي يستغني النَّاس فيه عن المال لاشتغالهم بأنفسهم عند الفتنة.

---

(١) مسلم في الفتن، باب فضل العبادة في الهرج، رقم (٢٩٤٨)، والترمذي في الفتن، باب ما جاء في الهرج، رقم (٢٢٠١).

(٢) في المستدرك على الصحيحين: (٤/٥١٨) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الفتن، وأورد في الباب المومى إليه الحديثين: (٧١١٦) و(٧١١٧).

(٤) كتاب الفتن باب (٢٥) رقم (٧١٢٠) ومسلم في الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، رقم (١٠١١).

وعن أبي أميَّة الشَّعبانيِّ، قال: قلت: يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [المائدة: ١٠٥]؟ فقال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «ائتَمِروا بالمعروفِ وانْتَهوا عن المُنْكَر، حتَّى إذا رأيتمُ شُحّاً مُطاعاً، وهوىً متَّبعاً، ودُنيا مُؤْثَرةً. وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيهِ، فعليك بنَفْسِك، ودَعْ عنْك أَمْر العوام فإنَّ مِنْ ورائِكُم أياماً الصَّبْرُ فيهنَّ كالقَبْضِ على الجمر، للعامِلِ فِيهنَّ مثلُ أَجرِ خمسين رجلاً يعملونَ مثل عَمَلِكم»، أخرجه أبو داود والترمذي[1].

وعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: شبَّك رسول الله ﷺ أصابعه، وقال: «كيفَ أنتَ يا عبد الله بن عمرو إذا بقيتَ في حُثالة قد مَرِجَتْ عُهودُهم، واختلفوا فصاروا هكذا؟» قال: فكيف يا رسول الله؟ قال: «تأخذ ما تعرف وتدع ما تُنكر، وتُقبل على خاصّتِك وتدعهم وعوامَّهم» أخرجه البخاري[2].

قال الحُميدي: وليس هو في أكثر النُّسخ.

والحُثالة: ما يسقط من قشر الشَّعير ونحوه إذا نُقِّيَ، وكأنَّه الرَّديءُ من كل شيءٍ.

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أبا ذرٍّ) قلت: لبَّيك يا رسول الله وسَعْدَيْك، وقال: «كيف أنتَ إذا أَصابَ النَّاسَ مَوْتٌ يكونُ البيتُ فيه بالوصيف[3]؟» قُلت: ما خَارَ لي الله ورسوله، قال: «عليك بالصَّبْر»

---

(١) أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٤١) والترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، رقم (٣٠٥٨) وقال: هذا حديث حسن غريب. وابن ماجه في الفتن، باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ [المائدة: ١٠٥] رقم (٤٠١٤).

(٢) في الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد، رقم (٤٧٨ ـ ٤٨٠) مختصراً وقد أخرجه بتمامه أبو داود في الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٤٢ و ٤٣٤٣) وابن ماجه في الفتن، باب التثبث في الفتنة، رقم (٣٩٥٧).

(٣) المراد بالبيت هنا: القبر، والوصيف: الخادم، والمعنى أن حفر القبر لا يتيسر إلا بخادم. =

أو قال: «تَصَبَّرْ». ثم قال لي: «يا أبا ذرٍّ» قُلت: لبَّيك يا رسول الله وسعديك، قال: «كيف أَنتَ إذا رأَيتَ أَحجارَ الزِّيت قد غَرِقَت بالدَّم؟» قُلت: ما خار لي الله ورسوله، قال: «عليكَ بِمَنْ أنتَ مِنه» قلتُ: يا رسول الله، أفلا آخذُ سيفي أضعُهُ على عاتقي؟ قال: «شاركت القَوم إذاً» قلت: فما تأمرني؟ قال: «تلزَم بيتَك» قلت: فإنّ دُخِلَ عليّ بيتي؟ قال: «إنْ خشيتَ أن يَبْهَرَكَ شُعاعُ السَّيف فألقِ ثَوبْك على وَجْهِك، يَبُوء بإثْمك وإثْمه» أخرجه أبو داود[1].

والمعنى: أنَّ القَتلى تكثُر لكثرَةِ الفتن، حتَّى يشتري موضع قبرٍ يُدفن فيه الميت بعبدٍ لضيق المكان عنهم.

قال التُّوربشتي: هي الحرَّة التي كانت بها الواقعة زمن يزيد، والأمير على تلك الجيوش العامَّة «مسلم بن عقبة المري»، المستبيح لحرم رسول الله ﷺ. انتهى.

والقصَّة أشهر من أن تذكر[2].

قال القُرطبي في (التذكرة)[3]: وأمَّا أمره ﷺ أبا ذرٍّ بلزوم البيتِ وتسليم النَّفس للقتل، فقالت طائفةٌ: ذلك عند جميع الفتن، وغير جائزٍ لمسلم النُّهوض في شيءٍ منها.

قالوا: وعليه أن يستسلم للقتل إن أريدت نفسُه ولا يدفع عنها، وحملوا الأحاديث على ظاهرها، وربَّما احتجّوا من جهة النَّظر بأن قالوا: إنَّ كلَّ فريقٍ

= وقد يراد بالوصيف هنا «العبد» فيكون المعنى أن ثمن القبر بعبد، كما سيذكر المؤلف بعد الحديث. والله أعلم.

(١) في الفتن، باب النهي عن السعي في الفتنة، رقم (٤٢٦١) وابن ماجه في الفتن، باب التثبث في الفتنة، رقم (٣٩٥٨) ومعنى يبوء: يتحمل، أو يرجع.

(٢) قلت: لكن فيها من المبالغات في كتب التاريخ ما لا يقبله عقل ولا يؤيده نقل، بل هو من عمل القصاص والكذابين.

(٣) التذكرة: (٣/ ١٦١).

من المقتتلين في الفتنة فإنَّه يُقاتل على تأويلٍ، وإن كان في الحقيقة خطأٌ فهو عند نفسه محقٌّ، وغير جائز لأحدٍ قتله، وسبيله سبيل حاكم من المسلمين يقضي بقضاءٍ مما اختلف فيه العلماء على ما يراه صواباً، فغير جائزٍ لغيرهِ من الحُكَّام نقضُه، إذا لم يخالف بقضائه ذلك كتاباً ولا سنَّة ولا جماعةً، وكذلك المقتتلون في الفتنة كلُّ حزبٍ منهم عند نفسه محقٌّ دون غيره بما يدَّعون من التَّأويل، فغيرُ جائزٍ لأحدٍ قتالهم وإن هم قصدوا لقتلهِ، فغيرُ جائزٍ دفعهم. وهذا هو الصَّحيح من القولين إن شاء الله تعالى، انتهى.

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «إنَّ بين يدي الساعة فِتناً كقِطع اللَّيل المُظلم[١]، يُصبح الرَّجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً ويُصبُح كافراً، القاعِدُ فيها خيرٌ من القائِم، والماشي فيها خيرٌ من السَّاعي، فكسِّروا قِسِيَّكُم، وقطِّعوا أَوْتارَكُمْ واضرِبوا سيوفَكُم بالحِجَارة، فإن دُخِلَ على أحدٍ منكم فليَكُنْ كخيْرِ ابني آدم[٢])» أخرجه أبو داود والترمذي[٣].

وزاد أبو داود بعد (السَّاعي) قالوا: فما تأمُرُنا؟ قال: «كونوا أَحْلاسَ بيوتكم».

قال القرطبي في (التذكرة)[٤]: حضَّ على ملازمة البيوت، والقعود فيها حتى يسْلَم من الناس، ويسْلَموا منه.

ومن مراسيل الحسن وغيره عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «نِعمَ صَوامع المؤمنينَ بيوتهم».

---

(١) كقطع الليل المظلم: كناية عن شدتها وشيوعها واستمرارها.

(٢) كخير ابن آدم: أي كهابيل إذ تجنب قتل أخيه قابيل.

(٣) أبو داود في الفتن، باب النهي عن السعي في الفتنة، رقم (٤٢٥٩) والترمذي في الفتن باب اتخاذ السيف من خشب، رقم (٢٢٠٤) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وابن ماجه في الفتن، باب التثبث في الفتنة، رقم (٣٩٦١).

(٤) التذكرة: (٣/ ١٢١).

وقد تكون العزلة في غير البيوت، كالبادية والكهوف.

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١٠].

ودخل سلمة بنُ الأكوع ﷺ إلى الرَّبَذَةِ، وتزوَّج امرأةً هناك وولدت له أولاداً، فلم يزل بها حتَّى إذا كان قبل أن يموت بليالٍ نزلَ المدينة.

وما زال النَّاس يعتزلون ويخالطون كلُّ واحدٍ منهم على ما يعلم من نفسه يتأتى له من أمره.

وقد كان العُمريُّ[١] بالمدينة مُعتزلاً.

وكان مالك[٢] يخالط النَّاس ثمَّ اعتزل آخر عمره، فيُروى أنَّه أقام ثماني عشرة سنة لم يخرج إلى المسجد، فقيل له في ذلك؟ فقال: ليس كلُّ أحدٍ يُمكنه أن يُخبر بعُذره.

واخْتُلِفَ في عُذْرِه، فقيل: لئلا يرى المُنكر، وقيل: لئلا يمشي إلى السلطان، وقيل: كانت به أبردة فكان يرى تنزيه المسجد عنها، ذكره القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب (سراجُ المريدين) له. انتهى.

وعن ابن عمرو بن العاص ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «كيفَ بكَ إذا بقيْتَ في حُثالةٍ من النَّاس مَرِجَتْ عهودُهم وأماناتهم، واختلفوا فكانوا هكذا ـ وشبَّك بين أصابعه ـ؟» قال: فبِم تأمرني؟ قال: «عليك بما تَعْرِف ودَعْ ما تُنكر، وعليك بخاصّة نفسك وإيَّاك وعوامهم» وفي رواية «الزمْ بيْتَك واملك عليك لسانَك وخُذْ ما تَعْرِف ودَعْ ما تُنكر، وعليك بأمر خاصّة نفسك، ودع أمرَ العامَّة» رواه الترمذي وصححه[٣].

---

(١) العمري لقب عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، قال ابن حبان: كان من أزهد أهل زمانه، وأشدهم تخلياً للعبادة، توفي سنة (٢٨٤هـ).

(٢) مالك بن أنس إمام أهل المدينة، صاحب المذهب.

(٣) تقدم تخريجه ص (٥٠).

وعن المقداد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ السَّعيدَ لمَنْ جُنِّبَ الفِتَن ولمن ابتُلي فصَبَر» أخرجه أبو داود(١).

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ويلٌ للعرَب من شَرٍّ قد اقتَرَبَ، أَفلَحَ من كفَّ يدَهُ» أخرجه أبو داود(٢).

وهذه الأحاديث يُستفاد منها حكم الفتن، وماذا يفعل المسلم فيها؟

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تكونُ في هذه الأمَّة أربعُ فتنٍ، آخرُها القتلُ» أخرجه أبو داود(٣).

وعن عَرْفَجَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكونُ هَنَاتٌ وهناتٌ فمن أراد أن يُفرِّق أمر هذه الأمَّة ـ وهي جميعٌ ـ فاضربوه بالسَّيف كائناً من كان» وفي رواية «فاقْتُلوه» أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي(٤).

والهَنَات: جمع هَنَة، وهي الخصْلَة من الشَّرِّ دون الخير.

وعن معاوية ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا إنَّ من كان قَبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملَّة وإنَّ هذه الأمَّة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النَّار، وواحدةٌ في الجنَّة، وهي الجماعة» أخرجه أبو داود(٥).

وفي رواية: «سَيَخرُج من أُمَّتي أقوامٌ تتجارى بهم الأهواءُ كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبِهِ لا يبقى منه عرق ولا مفْصَل إلَّا دَخَله».

---

(١) في الفتن، باب النهي عن السعي في الفتنة، رقم (٤٢٦٣).

(٢) في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم (٤٢٤٩).

(٣) في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم (٤٢٤١) وفيه: (الفناء) بدل (القتل).

(٤) مسلم في الإمارة، باب حكم من فرق بين المسلمين، رقم (١٨٥٢) وأبو داود في السنة، باب في الخوارج، رقم (٤٧٦٢).

(٥) في أول كتاب السنة، باب شرح السنة، رقم (٤٥٩٧).

والتَّجاري: تفاعل من الجري، وهو الوقوع في الأهواء الفاسدة، والبدع المضلَّة، والتَّداعي فيها تشبيهاً بِجري الفرس.

والكَلَب ـ بتحريك اللَّام ـ داءٌ معروفٌ يعرِّض للكَلْب إذا عضَّ إنساناً عرضت له أعراض ردية وأمراضٌ فاسدةٌ قاتلةٌ، فإذا تجارى بالإنسان وتمادى هلك.

وعن ابن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيَأْتِيَنَّ على أُمّتي ما أَتى على بني إسرائيلَ حَذْوَ النَّعْل بالنَّعْل، حتَّى إذا كان منهم من أتى أُمَّه علانية ليكونَنَّ في أُمَّتي من يَصْنَعَ ذَلِكَ» أخرجه الترمذي[1] بطوله.

وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما أَخاف على أُمَّتي الأَئِمةَ المُضلِّين، وإذا وُضِعَ السَّيفُ في أُمَّتي لم يُرْفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم السَّاعة حتَّى تلتحِقَ قبائلُ من أُمَّتي بالمشركين، وحتَّى تَعْبُد قبائلُ من أُمَّتي الأَوثان، وإنه سيكونُ في أُمَّتي ثلاثونَ كذَّاباً كلُّهم يَدَّعي أَنَّه نَبيٌّ، وأَنا خاتَم النَّبيِّين لا نبيَ بَعْدي، ولا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي على الحقِّ، لا يضرُّهم من خالفهم حتَّى يأْتي أَمرُ الله، وهم على ذلك».

قال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث.

أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي مفرَّقاً، وأخرجه رزين بهذا اللفظ[2].

وقد وقع كما أخبر، فهذا علم من أعلام النُّبوة.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأْتينَّ على النَّاس زمانٌ

---

(١) في العلم، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم (٢٦٤١) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) مسلم في الإمارة باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي...» رقم (١٩٢٠) وفي الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم (٢٨٨٩) وأبو داود في الفتن، باب ذكر الفتن، رقم (٤٢٥٢) والترمذي في الفتن، باب ما جاء في الأئمة المضلين رقم (٢٢٢٩).

لا يَدْري القاتِلُ في أيِّ شيءٍ قَتَل، ولا المقتول في أيِّ شيءٍ قُتِل» قيل: وكيف ذلك؟ قال: «الهَرَج، القاتِلُ والمقتول في النار» أخرجه مسلم(١).

وعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تَمْرُقُ مارقَةٌ عنْدَ فرْقَة مِنَ المُسْلِمين يَقْتُلها أَوْلى الطّائفتينِ بالحقِّ» أخرجه أبو داود(٢).

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مَشَتْ أُمَّتي المُطَيْطاء، وخَدَمَتْها أَبناءُ الملوك وفارس والرُّوم سُلِّط شِرارُها على خِيارِها»، أخرجه الترمذي(٣)، وقال حديث غريب.

والمطيطاء: المشي بتبختر، وهي مشية المتكبِّرين المتجبِّرين.

وعن أسامة بن زيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أَدَعُ بعدي فتنةً أَضرَّ على الرِّجال من النِّساء» أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه(٤).

وفي الباب أحاديث صحيحة في الصَّحيح وغيرِهِ.

وعن كعب بن عياض ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فتنة، وفتنةُ أُمَّتي المال» رواه الترمذي(٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

---

(١) في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل...، رقم (٢٩٠٨).
(٢) مسلم في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفتهم، رقم (١٠٦٥) وأبو داود في السنة، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة، رقم (٤٦٦٧).
(٣) في الرؤيا، باب متى يسلط شرار أمتي على خيارها، رقم (٢٢٦١).
(٤) البخاري في النكاح، باب ما يتقي من شؤم المرأة، رقم (٤٠٩٦) ومسلم في الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء...، رقم (٢٧٤٠).
(٥) في الزهد، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، رقم (٢٣٣٦).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ سَكَن البادية فقد جَفا، ومن اتَّبع الصَّيْد غَفَل، ومن أتى أبواب السُّلطان افتُتِن» أخرجه الترمذي[١].

وقال: وفي الباب عن أبي هريرة، وهذا حديث حسن غريب.

قال القرطبي[٢]: حذَّر الله سبحانه عبادهَ فتنةَ المالِ والنِّساء في كتابه، وعلى لسان نبيِّه، فقال عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] ومن كان عاصماً من فتنة المال والولد فهو عاصمٌ من كلِّ الفتن والأهواء، وهو الوقاية من شُحِّ النَّفس والإقراض لله تعالى انتهى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانت أُمراؤُكم خيارَكم، وأَغنياؤُكم سُمَحاءَكم، وأُمورُكم شورى بينكم، فظَهْرُ الأرض خيرٌ لكم من بطْنِها، وإذا كانت أُمراؤكم شِرارَكم، وأغنياؤكم بُخلاءكم، وأُمورُكم إلى نسائِكم، فبطْنُ الأرض خيرٌ لكم من ظهرها» أخرجه الترمذي[٣].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف بكم إذا فَسَق فِتيانُكُم، وطغى نساؤكم؟» قالوا: يا رسول الله: وإنَّ ذلك لكائنٌ؟ قال: «نعم وأشد، كيف أنتم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟» قالوا: يا رسول الله، وإنَّ ذلك لكائن؟ قال: «نعم وأشد، كيف بكم إذا أمرتُم بالمنكر ونهيْتُم عن المعروف؟» قالوا: يا رسول الله وإن ذلك لكائن؟ قال: «نعم وأشد، كيف

---

(١) في الفتن، باب من أتى أبواب السلطان، رقم (٢٢٥٦) وأبو داود في الوصايا، باب في اتباع الصيد، رقم (٢٨٥٩) والنسائي في الصيد والذبائح، باب اتباع الصيد، رقم (٤٣١٤).

(٢) التذكرة: (٣/ ١٧١).

(٣) في الفتن، باب متى يكون ظهر الأرض خيراً من بطنها...؟ رقم (٢٢٦٦) وقال: هذا حديث غريب.

بكم إذا رأيتم المعروف منكراً أو المنكر معروفاً؟» قالوا: يا رسول الله، وإنَّ ذلك لكائن؟ قال: نعم» أخرجه رزين[١].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّه لَمْ يكُن نبيٌّ قَبلي إلَّا كان حقّاً عليه أنْ يدلَّ أُمَّته على خيرِ ما يعلمهُ لهم، ويُنذرهم شَرَّ ما يَعلمه لهم، وإنَّ أُمَّتكم هذه جُعل عافيتُها في أَوَّلها، وسيصيبُ آخرَها بلاءٌ وأُمورٌ تنكرونها فتجيءُ فتنةٌ فيرقِّقُ بعضها بعضاً، وتجيء الفتنةُ فيقول المؤمن: هذه مُهلكتي، ثمَّ تنكشفُ، وتجيءُ الفتنة، فيقولُ المؤمنُ: هذهِ، هذهِ، فمن أحبَّ أن يُزحزح عن النَّار ويَدخُل الجنَّة فلتأتهِ منيَّتهُ وهو يؤمنُ بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى النَّاس بما يُحبُّ أن يُؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاهُ صفقَة يدهِ وثمرَةَ قلبِهِ فليُطِعه إنِ استطاعَ، فإن جاءَ آخر ينازعُه فاضربوا عُنُقَ الآخر» أخرجه مسلم والنسائي[٢] والحديث طويل.

وعن حذيفة ﷺ قال: كان النَّاس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسألهُ عن الشَّرِّ، وعرفتُ أنَّ الخير لن يسبقني، قال: قلتُ: يا رسول الله! بعد هذا الخير شَرٌّ؟ قال: «يا حذيفة، تَعَلَّم كتاب الله واتَّبع ما فيه ـ ثلاث مرات» قال: فقلت: يا رسول الله، بعد هذا الخير شرٌّ؟ فقال: «يا حذيفة تعلَّم كتابَ الله واتَّبع ما فيه» فقلتُ: يا رسول الله، هل بعد هذا الخير شرٌّ؟ قال: «فتنةٌ وشرٌّ» قلت: يا رسول الله،هل بعد هذا الشَّرِّ خيرٌ؟

---

(١) كما في جامع الأصول، رقم (٧٥٠٦) وقد أخرجه أبو يعلى في المسند، رقم (٦٤٢٠) والطبراني في الأوسط، رقم (٩٣٢١) وابن المبارك في الزهد، رقم (١٣٧٦) وفي سند أبي يعلى (موسى بن عبيدة) متروك، وفي سند الطبراني (حمام بن يحيى) قال الهيثمي: (لم أعرفه) مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٠).

(٢) مسلم في الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة، رقم (١٨٤٤) والنسائي في البيعة، باب ذكر ما على من بايع الإمام...، رقم (٤١٩٦).

قال: «يا حذيفة تعلَّم كتاب الله واتَّبع ما فيه» ثلاث مراتٍ، قلتُ: يا رسول الله، هل بعد هذا الشَّر خيرٌ؟ قال: «هُدنةٌ على دخَنٍ، وجماعةٌ على أقْذاءٍ فيهم أو فيها» قلتُ: يا رسول الله الهُدنةُ على الدَّخن ما هي؟ قال: «لا ترجع قلوبُ أقوامٍ على الذي كانت عليه» قال: قلتُ: يا رسول الله، هل بعد هذا الخيرِ شَرٌّ؟ قال: «فِتْنَةٌ عَمياء صَمَّاءَ، عليها دُعاة على أبواب النَّار فإن متَّ يا حذيفة، وأنتَ عاضٌّ على جَذْلٍ خيرٌ لكَ من أن تَتَّبعَ أحداً منهم» رواه أبو داود[1]. وأورده القرطبي[2] في باب «الأمر بتعلم كتاب الله واتباع ما فيه عند غلبة الفتن وظهورها».

أقول: ويدخل في تعلُّم الكتاب السَّنَّةُ واتِّباع ما فيها، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خُذوا العَطاءَ ما دامَ عطاءً، فإذا صارَ رَشوَةً على الدِّين فلا تأخذوه، ولستُم بتاركيه يمنعكم من ذلك الفقرُ والحاجة، ألا إنَّ رحى الإسلام دائرةٌ، فدوروا مع الكتاب حيث دار. ألا إنَّ الكتاب والسُّلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب. ألا إنَّه سيكونُ عليكم أُمراء يقضون لأنفسِهم ما لا يقضونَ لكم، إن عصيتُموهم قتلوكُم وإن أَطعتمُوهم أضلُّوكم».

قالوا: يا رسول الله كيف نصنع؟

قال: «كما صنع أصحاب عيسى ابن مريم عليه السلام، نُشِروا بالمناشير وحُمِلوا على الخَشَب، موتٌ في طاعةِ الله خيرٌ من حياة في معصية الله»

---

(١) في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم (٤٢٤٦) وأصله في البخاري، في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦٠٦) ومسلم في الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٨٤٧).

(٢) في التذكرة: (٣/١٢٦).

أخرجه أبو نعيم[١] في باب (يزيد بن مرثد) وهو غريب لم يروه عن معاذ إلَّا يزيد المذكور.

وهو علم من أعلام النَّبوة أخبر بما يكون فكان كما أخبر.

وفي الباب أحاديثُ عن حُذيفة ﷺ، عندَ الشَّيخين وأبي داود.

وعن يحيى بن سعيد أنَّه بلغه أنَّ رسول الله ﷺ كان يدعو فيقول: «اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ فعلَ الخيرات وتركَ المُنكرات، وحبَّ المساكين، وإذا أردت في النَّاس فتنةً فاقبضني إليك غير مفتون» أخرجه مالك[٢].

قال ابن وهب: قال مالك: كان أبو هريرة يَلقى الرَّجل فيقولُ له: مُتْ إن استَطَعتَ، فيقولُ له: لم؟ قال: تموتُ وأنتَ تدري على ما تموتُ خيرٌ لكَ من أن تموتَ وأنتَ لا تدري على ما تموت عليه.

قال مالك: ولا أرى عمر ﷺ دعا ما دعا بهِ من الشَّهادةِ إلَّا خاف التَّحول من الفِتنِ.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ويلٌ للعرب من شَرٍّ قدِ اقتربَ! مُوتوا إنْ استَطَعْتُم».

أورده القرطبي[٣] في باب (جواز الدُّعاء بالموت عند الفِتن) قال: وهذا غاية في التَّحذير من الفِتن والخوضِ فيها، حيثُ جعلَ الموتَ خيراً من مباشرتها، انتهى.

---

(١) في حلية الأولياء: (٥/ ١٦٥) من طريق الطبراني في الكبير (٢٠/ ٩٠) والصغير، رقم (٧٤٩) قال في مجمع الزوائد (٥/ ٢٣٨): (يزيد بن مرثد) لم يسمع من معاذ، و(الوضين بن عطاء) وثقة ابن حبان وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

(٢) في كتاب القرآن، باب العمل في الدعاء، رقم (٤٠) بلاغاً، وقد روي عن ابن عباس ﷺ متصلاً، أخرجه الترمذي في التفسير، باب ومن سورة (ص)، رقم (٣٢٣٣).

(٣) التذكرة: (٣/ ١٦٥).

وعن أبي البَخْتَري، قال: حدَّثني من سَمع النَّبيَّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لنْ يهلكَ النَّاسُ حتى يَعْذِروا ـ أو يُعْذِرُوا ـ من أنْفُسهم» أخرجه أبو داود(١).

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سلَّ علينا السَّيفَ فليسَ منَّا» أخرجه مسلم(٢).

وعن ابن الزبير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهر سَيْفَه ثمَّ وضعه فدمُه هدرٌ» أخرجه النسائي(٣).

الهَدْر: الذي لا يُطلب بثأرِه.

وعن سُراقة بن مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُكم المدافعُ عن عشيرَته ما لم يأثم» أخرجه أبو داود(٤).

وعن واثلة بن الأسقع ﷺ قال: قلتُ: يا رسول الله ما العَصَبيَّة؟ قال: «أن تُعين قومَك على الظُّلم» أخرجه أبو داود(٥).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُشِرْ أحدُكم إلى أخيه بالسِّلاح فإنَّه لا يدري لعلَّ الشَّيطان يَنْزِغُ في يده فيقعُ في حفرةٍ من النَّار» أخرجه الشَّيخان، والترمذي(٦).

والنَّزْغُ: الفساد.

---

(١) في الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٤٧) وحسنه السيوطي في الجامع الصغير، رقم (٧٣٩٧) وقوله: «يعذروا» العذر كثرة العيوب والذنوب، وقيام الحجة عليهم.

(٢) في الإيمان، باب من حمل علينا السلاح فليس منا، رقم (٩٩).

(٣) في المحاربة، باب من شهر سيفه ثم وضعه في الناس، رقم (٤١٠٢).

(٤) في الأدب، باب في العصبية رقم (٥١٢٠) قال أبو داود: (أيوب بن سويد) ضعيف.

(٥) في الأدب، باب في العصبية، رقم (٥١١٩).

(٦) البخاري في الفتن، باب قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا» رقم (٧٠٧٢) ومسلم في البر، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، رقم (٢٦١٧) والترمذي في الفتن، باب ما جاء في إشارة المسلم إلى أخيه بالسلاح، رقم (٢١٦٢).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سِبابُ المُسلم فسوقٌ وقتالهُ كُفْرٌ» أخرجه الخمسة إلا أبا داود(١).

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ترجعُوا بعدي كفَّاراً، يضربُ بعضُكُم رقابَ بعضٍ» أخرجه الترمذي(٢).

ورواه أبو داود، والنسائي، والبخاري عن ابن عمر ﷺ(٣).

ومنها حديث ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما النَّاسُ كالإبل المئة، لا تكادُ تجدُ فيها راحِلةً» متفق عليه(٤).

وعن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتَّبعُنَّ سننَ من قبلكُم شِبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ حتَّى لو دخلوا جُحر ضبٍّ لا تَّبعتُمُوهُم» قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟!» أخرجه الشيخان(٥).

وعن مِرْداسٍ الأَسْلميِّ ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «يذهبُ الصَّالحون

---

(١) البخاري في الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، رقم (٤٨) ومسلم في الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» رقم (٦٤).

(٢) الترمذي في الفتن، باب ما جاء: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» رقم (٢١٩٣) وقال: وفي الباب عن عبد الله بن مسعود، وجرير، وابن عمر، وكُرز بن علقمة وواثلة بن الأسقع، والصُّنابحي ﷺ وهذا حديث حسن صحيح.

(٣) البخاري في الفتن، باب قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» رقم (٧٠٧٧) ومسلم في الإيمان رقم (٦٦).

(٤) البخاري في الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم (٦٤٩٨) ومسلم في البر، باب قوله ﷺ: «الناس كإبل مئة لا تجد فيها راحلة» رقم (٢٥٤٧).

(٥) البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» (٧٣٢٠) ومسلم في العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٢٦٦٩).

الأوَّلُ فالأولُ، ويبقى حُفالةٌ كحفالةِ الشَّعير أو التَّمر لا يباليهم الله بالةً» رواه البخاري[١].

وعن حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «[والذي نفسي بيده] لا تَقُومُ السَّاعة حتى تقتُلوا إمامَكم، وتجتلدُوا بأسيافِكم، ويرثَ دُنياكم شِرارُكم» رواه الترمذي[٢].

وقد وقع من قتل الأئمة فيما مضى ما وقع، ووقع في هذا الزمان قتل السُّلطان (عبد العزيز خان) بالسّم، بعد العزل والحبس، وهو أصح الروايات عند النقاد[٣]، والله وأعلم.

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم السَّاعة حتى يكون أسعد النَّاس بالدُّنيا لكَعُ ابنُ لُكعٍ» رواه الترمذي والبيهقي في (دلائل النبوة)[٤].

وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تُوشك الأُممَ أن تَدَاعى عليكم، كما تَدَاعى الأكلةُ إلى قَصعَتِها» فقال قائل: ومن قِلّةٍ نحنُ يومئذٍ؟ قال: «بل أنتمُ يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيل، ولَيَنزَعَنَّ اللهُ من صدُور عدوِّكم

---

(١) البخاري في الرقاق، باب ذهاب الصالحين (٦٤٣٤) والحفالة والحثالة بمعنى، وهي الرديء من كل شيء.

(٢) الترمذي في الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢١٧٠) وابن ماجه في الفتن، باب أشراط الساعة (٤٠٤٣)، وقال الترمذي: حديث حسن. ومعنى تجتلدوا: تتضاربوا.

(٣) السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني العثماني تولى السلطنة سنة (١٢٧٧هـ)، وتمَّ خلعه من السلطنة سنة (١٢٩٣هـ)، قال الشيخ عبد الرزاق البيطار: «وقد أشيع أنه قتل نفسه» وذلك بعد خلعه بخمسة أيام، وله من العمر ثمان وأربعون سنة. حلية البشر (٢/ ٨٥٣).

(٤) أحمد في باقي مسند الأنصار (٢٢٧٩٢) والترمذي في الفتن (٢٢٠٩) وقال: حديث حسن، واللكع: هو اللئيم الأحمق والغبي، والمراد قلة العلم.

المهابة منكم، وليَقذفنَّ في قُلوبكم الوَهَنَ» قال قائل: يا رسول الله! وما الوهَنُ؟ قال: «حبُّ الدنيا وكراهيَةُ الموتِ» رواه أبو داود والبيهقي في (الدلائل)[١].

قلت: وقد كادت ما جريات الإِسْتَنبول التي وقعت في هذا العام تكون من جنس ما يصدق عليه هذا الحديث، فإن جُموع النصارى وأُممهم على اختلاف أقطارهم وأحوالهم قد تداعت اليوم على أرض الروم واستعدوا على حرب السلطان (عبد الحميد خان) من جميع الجهات، والله سبحانه مؤيِّدُ الإسلام والمسلمين، ومبدِّدُ شمل الفئة الكافرين.

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمَّتي هذه أُمَّةٌ مرحومةٌ ليسَ عليها عذابٌ في الآخرةِ، عذابُها في الدُّنيا الفِتنُ والزَّلازلُ والقَتلُ» وراه أبو داود[٢].

وعن حذيفة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُعرَضُ الفتنُ على القلوب كالحصير عُوداً عُوداً، فأيُّ قلبٍ أُشربَها نُكِتَ فيه نكتَةٌ سوداءُ، وأيُّ قلبٍ أنكرها نُكِتَ فيه نكتةٌ بيضاءُ حتَّى تصيرَ على قلبينِ: أبيضَ مثلِ الصَّفا، فلا تضُرُّهُ فتنةٌ ما دامت السَّموات والأرض، والآخرُ أسودُ مُربادًّا كالكوز مُجْخِيّاً لا يَعرفُ معروفاً، ولا يُنكِرُ مُنكراً إلَّا ما أُشربَ من هواهُ» رواه مسلم[٣].

---

(١) أحمد في باقي مسند الأنصار (٢١٨٩١) وأبو داود في الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام (٤٢٩٧).
تداعى: اجتمع، ويدعوا بعضهم بعضاً لقتالكم وسلبكم. الأكلة: جمع آكل. والقصعة: إناء يسع ما يشبع عشرة. والغثاء: كل ما يحمله السيل من زبد ووسخ.
(٢) أخرجه أبو داود في الفتن، باب ما يرجى في القتل (٤٢٧٨).
(٣) مسلم في الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، رقم (١٤٤) وقوله: (أشربها) أي دخلت في قلبه دخولاً تاماً، ومعنى (مُرباداً) المرباد شيء من بياض يسير يخالط السواد، والكوز المجخي: هو المنكوس.

قال في (الحجة)[١]: الهواجس النَّفسانية والشَّيطانية تنبعث في القلوب والأعمال الفاسدة تكتنفها، ولا يكون حينئذ دعوةٌ حثيثةٌ إلى الحق فلا ينكرها إلَّا من جهل في قلبه هيئةً مضادة للفتن، وتعمُّ مَنْ سوى ذلك وتأخذ بتلابيبه. انتهى.

وعنه قال، قال رسول الله ﷺ: «يكونُ بعدي أئمةٌ لا يهتدون بهدي ولا بستُّون بسنَّتي، وسيقومُ فيهم رجالٌ قلوبُهم قلوبُ الشَّياطين في جثمان إنسٍ» قال حذيفة: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أَدْرَكْتُ ذلك؟ قال: «تسمعُ وتطيعُ الأمير، وإن ضُربَ ظَهرُكَ وأُخذَ مالُكَ فاسمَع وأطِعْ» رواه مسلم[٢].

وعنه قال: والله ما أدري أَنَسِيَ أصحابي أم تَنَاسَوْا، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنةٍ إلى أن تنقضي الدنيا ـ يبلغُ من معه ثلاثمئة فصاعداً ـ إلَّا قد سَّماه لنا باسمه، واسم أبيه، واسم قبيلته. رواه أبو داود[٣].

هذا علمٌ من أعلام النُّبوة، حيث أخبر بما سيكون فوقع كما أخبر، ويقع فيما يُستقبل ما بقي من ذلك.

وعن أم مالك البهزيَّة رضي الله عنها، قالت: ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ فتنةً فقرَّبها. قلت: يا رسول الله! من خير الناس فيها؟ قال: «رجلٌ في ماشيةٍ يؤدي حقَّها ويعبد ربَّه، ورجل آخِذٌ برأس فرسِه يُخيف العدوَّ ويُخيفونَه» رواه الترمذي[٤].

وعن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكونُ فتنةٌ

---

(١) حجة الله البالغة للدهلوي: باب الفتن (٢/ ٨٧٨).

(٢) مسلم في الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، رقم (١٨٤٧).

(٣) أبو داود في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم (٤٢٤٣).

(٤) الترمذي في الفتن، باب ما جاء في الرجل يكون في الفتنة، رقم (٢١٧٧) وقال: حديث حسن غريب.

تستنطِفُ العرب، قَتلاها في النَّار، واللِّسان فيها أشدُّ من وقع السَّيف» رواه الترمذي وابن ماجه[١].

قال القرطبي في (التذكرة): قوله (تستنطف)[٢] أي ترمي، مأخوذٌ من نطَفَ الماءُ، أي قَطَر، أي أنَّ هذه الفتنة تقطر قتلاها في النار، أي ترميهم فيها لاقتتالهم على الدنيا، واتباع الشَّيطان والهوى.

(قتلاها) بدلٌ من قوله (العرب).

هذا المعنى الذي ظهر لي في هذا، ولم أقف فيه على شيءٍ لغيري.

وقوله: (اللسان) أي بالكذب عند أئمة الجور، ونقل الأخبار إليهم، فربما ينشأ عن ذلك من النَّهب والقتل والجلد والمفاسد العظيمة أكثر مما ينشأ من وقوع الفتنة نفسها، والله أعلم بالصواب، انتهى[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون فتنة صمَّاءُ بكماءُ عمياءُ، من أشرفَ لها استشرفَتْ له، وإشرافُ اللِّسان فيها كوقع السَّيف» رواه أبو داود[٤].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: «كنا قعوداً عند النَّبيِّ ﷺ فذكر الفِتن فأكثر في ذِكرها، حتَّى ذكر فتنة الأحلاسِ قال قائل: وما فتنة الأحلاسِ؟ قال: هي

---

(١) أبو داود في الفتن، باب النهي عن السعي في الفتنة، رقم (٤٢٦٥) والترمذي في الفتن، باب في كف اللسان في الفتنة (٢١٧٨) وابن ماجه في الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٣٩٦٧).

(٢) في كل المصادر (تستنطف) والمراد تستوعبهم هلاكاً.

(٣) التذكرة للقرطبي (٣/ ١٥٥).

(٤) أبو داود في الفتن، باب في كفّ اللسان، (٤٢٦٤). ومعنى صماء: أن أهلها لا يسمعون الحق والنصح، ولا يقولونه. ومعنى عمياء: أي يعمى الأمر فيها فلا يتبين القاتل فيم قَتل ولا المقتول فيم قُتل، وإشراف اللسان: إطلاقه والمشاركة في الفتنة بقوله. والله أعلم.

هربٌ وحربٌ، ثم فتنة السَّراء دخنُها من تحت قدمي رجلٍ من أهل بيتي، يزعمُ أنَّه منِّي وليس منِّي، وإنما أوليائي المتَّقون، ثم يصطلِحُ الناس على رجلٍ كَوركٍ على ضِلعٍ، ثم فتنة الدُّهيماء لا تدعُ أحداً من هذه الأمّة إلا لطمَته لطمةً، فإذا قيل انقضت تمادتْ، يُصبح الرَّجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير النَّاس إلى فسطاطين: فسطاطِ إيمانٍ لا نفاق فيه، وفسطاطِ نفاقٍ لا إيمان فيه، فإذا كان ذلك فانتظروا الدّجال من يومه أو غده» رواه أبو داود[١].

قال في (الحجة)[٢]: أقول: يُشبه ـ والله أعلم ـ أن تكون فتنة الأحلاس قتال أهل الشام عبد الله بن الزبير ﷺ بعد هربه من المدينة.

وفتنة السَّراء: إما تغلُّب المختار[٣] وإفراطُه في القتل والنَّهب يدعو ثأر أهل البيت، فقوله: «يزعم أنه مني» معناه من حزب أهل البيت وناصريهم.

(ثم اصطلحوا) على مروان وأولاده[٤].

أو خروج أبي مسلم الخراساني لبني العباس يَزعم أنَّه يسعى في خلافة أهل البيت، ثم اصطلحوا على السَّفاح.

---

(١) أخرجه أبو داود في الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم (٤٢٤٢) والحاكم (٤/ ٤٦٧) وصححه ووافقه الذهبي، وقوله: (الدهيماء) السوداء والفتنة العمياء. وقوله: كورك على ضلع: إشارة إلى نحافته.

(٢) حجة الله البالغة للدهلوي: باب الفتن (٢/ ٨٧٧ ـ ٨٨٤).

(٣) المختار بن أبي عبيد الله الثقفي الكذاب، خرج أيام عبد الله بن الزبير في العراق داعياً إلى إمامة أهل البيت والثأر من قتلة الحسين حتى إذا استمكن ادعى النبوة فقاتل ابن الزبير وظفر به وقتله سنة (٦٧هـ). تاريخ الخلفاء: (٢١٤).

(٤) مروان بن الحكم الذي ورث خلافة بني أمية بعد معاوية بن يزيد بن معاوية ومن بعده ابنه عبد الملك بن مروان ثم أبناء عبد الملك.

والفتنة الدُّهيماء: تغلُّب الجنكيزية[١] على المسلمين ونهبهم بلاد الإسلام، انتهى[٢].

وقال الخطابي[٣]: إنَّما أُضيفت الفتنة إلى الأحلاس لدوامها وطول لبثها، أو لسوادها وظلمتها.

والحرب: ذهاب الأهل والمال.

الدَّخن: الدُّخان.

وقوله (وَرِك على ضِلَع) مثلٌ معناه: الأمر الذي لا يثبت ولا يستقيم، يريد أنَّ هذا الرَّجل غير خَلِقٍ للملك.

قال القرطبي في (التذكرة)[٤]: دلَّت أحاديث هذا الباب على أنَّ الصَّحابة ﷺ كان عندهم من علم الكوائن إلى يوم القيامة العلم الكثير، لكن لم يُشيعوها، إذ ليست من أحاديث الأحكام، وما كان فيه شيءٌ من ذلك حدَّثوا به، انتهى.

والفُسطاط: الخيمة الكبيرة. والمراد هنا: الفرقة المجتمعة المنحازة عن الفرق الأخرى، وتسمى مدينة مصر[٥]: الفُسطاط.

وعن حذيفة ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى يوم السَّاعة إلَّا حدَّث به، حَفِظه من حَفِظه، ونسيَه من نسيَه، قد

---

(١) أي أتباع جنكيز خان المغولي الذين قضوا على خلافة بني العباس ببغداد. وفي حمل الفتنة العمياء على ذلك بُعْد، فقد مضى على فتنتهم زمن طويل، وقد جاء في الحديث أن الدجال يخرج من يوم الفتنة أو من غدها. والله أعلم.

(٢) حجة الله البالغة (٢/ ٨٨٢).

(٣) في معالم السنن شرح سنن أبي داود (٤/ ٣٣٧).

(٤) التذكرة: (٣/ ١٣٨).

(٥) أي مدينة القاهرة.

علمه أصحابي هؤلاء، وإنَّه ليكون منه الشَّيءُ قد نسيتُه فأراهُ فأذكرُهُ كما يذكر الرَّجلُ وجه الرَّجل إذا غاب عنه، ثمَّ إذا رآه عرفه. أخرجه البخاري ومسلم[١].

هذا آخر الأحاديث الواردة في أبواب الفتن، وستأتي الإشارة إلى ما جاء من الملاحم وأشراط الساعة.

قال الشيخ العارف أحمد وليُّ الله المحدِّث الدهلوي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (حجَّة الله البالغة)[٢]: «اعلم أنَّ الفتن على أقسام:

١ ـ **فتنة الرَّجل في نفسه**: بأن يقسو قلبه فلا يجد حلاوة الطَّاعة، ولا لذَّة المناجاة، وإنَّما الإنسان ثلاث شعب:

أ ـ **قلبٌ**: هو مبدأُ الأحوال، كالغضب، والجُرْأة، والحياء، والمحبة، والخوف، والقبض، والبسط ونحوها.

ب ـ **وعقلٌ**: هو مبدأ العلوم التي تنتهي إليه الحواس، كالأحكام البديهية من التجربة والحدس ونحوهما، والنظرية من البرهان والخطابية ونحوهما.

ج ـ **وطبعٌ**: وهو مبدأ اقتضاء النَّفس ما لا بدَّ منه، أو لا بدَّ من جنسه في بقاء البنية كالداعية المنبجسة في شهوة الطعام والشراب والنوم والجِماع ونحوهما».

ثمَّ فصل هذه الثلاث.

قال: «هذا ما عندي من معرفة لطائف الإنسان».

٢ ـ **وفتنة الرَّجل في أهله**: وهي فساد تدبير المنزل، وإليها الإشارة في قوله ﷺ: «إنَّ إبليس يضعُ عرشهُ على البحر...» إلى أن قال: «ثم يجيءُ

---

(١) البخاري في القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، رقم (٦٦٠٤) ومسلم في الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم (٢٨٩١).

(٢) حجة الله البالغة: (٢/ ٨٧٧ ـ ٨٨٤) باب الفتن.

أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرَّقت بينه وبين امرأته فيُدنيه منه، ويقول: نِعْمَ أنت» أخرجه مسلم[١] عن جابر ﷺ.

٣ ـ **وفتنةٌ تموج كموج البحر**: وهي فسادُ تدبير المدينة، وطمع الناس في الخلافة من غير حقٍّ، وهو قوله ﷺ: «إنَّ الشيطان قد أيسَ أن يَعبُده المصلُّون في جزيرة العرب، ولكن في التَّحريش بينهم»[٢].

٤ ـ **وفتنة مِلِّيَّة**: وهي أن يموت الحواريون من أصحاب النَّبيِّ ﷺ ويسنَدُ الأمر إلى غير أهله، فيتعمّق رهبانُهم وأحبارُهم، ويتهاون ملوكُهم وجهالهم، ولا يأمرون بمعروفٍ ولا ينهون عن منكرٍ، فيصيرُ الزَّمانُ زمانَ الجاهلية، وهو قوله ﷺ: «ما من نبيٍّ إلَّا كان له حواريون. . .» الحديث[٣].

٥ ـ **وفتنةٌ مستطيرة** وهي تغيُّرُ الناس من الإنسانية ومقتضاها، فأزكاهم وأزهدُهم إلى الانسلاخ من مقتضيات الطبع رأساً دون إصلاحها والتشبه بالمجردات، والتحنُّن إليهم بوجه من الوجوه، ونحو ذلك، وعامَّتُهم إلى البهيمية الخالصة، يكون ناسٌ بين الفريقين، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

٦ ـ **وفتنةُ الوقائع الجوية المنذرة بالإهلاك العام**: كالطوفانات العظيمة من الوباء والخسف، والنار المنتشرة في الأقطار، ونحو ذلك. وقد بين النَّبيُّ ﷺ أنَّ هذا الأمر بدأ نبوَّةً ورحمةً ثم يكون خلافةً ورحمةً، ثم مُلكاً عضوضاً،

---

(١) مسلم في صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان وبعث سراياه، رقم (٢٨١٣).

(٢) مسلم في صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان وبعث سراياه، رقم (٢٨١٢) عن جابر ﷺ ومعنى التحريش بينهم: أن يوقد بينهم نار العداوة والخصومة والشحناء وغيرها.

(٣) أخرج مسلم في الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم (٥٠) عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبيٍّ بعثه الله في أمةٍ قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». والحواريون جمع حواري، وهو الصاحب.

ثم كائن جبريَّة وعُتواً وفساداً في الأرض، يستحلّون الحرير والفروج والخمور، يُرزقون على ذلك، وينصرون حتى يلقوا الله. رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي عُبيدة، ومعاذ بن جبل ﷺ[١].

أقول: فالنُبوَّة انقضت بوفاة النَّبيِّ ﷺ.

والخلافة التي لا سيف فيها بمقتل عثمان ﷺ.

والخلافة بشهادة عليٍّ كرم الله وجهه وخلع[٢] الحسن ﷺ.

والملك العضوض مشاجرات الصحابة بني أمية ومظالمهم إلى أن استقر أمر معاوية ﷺ.

والجبرية والعتو خلافة بني عباس، فإنهم مهَّدوها على رسوم كسرى وقيصر...

وقال حذيفة ﷺ قلت: يا رسول الله، أيكون بعد هذا الخير شرٌّ كما كان قبله شرٌّ؟ قال: «نعم» قلت: فما العِصمةُ؟ قال: «السَّيف» قلتُ: وهل بعد السيف بقيَّة؟ قال: «نعم يكون أمارةٌ على أقذاءٍ، وهدنةٌ على دَخَن» قلت: ثم ماذا؟ قال: «ثمَّ ينشأُ دعاةُ الضَّلال، فإن كان لله في الأرض خليفة جلدَ ظَهرك، وأخذ مالك فأطعه، وإلَّا فمُت وأنت عاضٌ على جذلِ شجرةٍ» رواه أبو داود بطوله[٣].

أقول: الفتنة التي تكون العصمة فيها السَّيف: ارتداد العرب في أيام أبي بكر ﷺ.

---

(١) أخرج نحو ذلك الدارمي في سننه، رقم (٢٠٠٩) وابن أبي عاصم في السنة رقم (١١٣٠) والبيهقي في الشعب رقم (٥٦١٦) من طرق لا تخلو جميعها من ضعف، ولكن الحديث بمجموع طرقه وشواهده يصلح للاحتجاج.

(٢) الحسن بن علي ﷺ تنازل عن الخلافة لمعاوية ﷺ أي أنه لم يخلع.

(٣) تقدم تخريجه ص (٤٨).

وأمَّا: (أمارة على أقذاء) فالمُشاجرات التي وقعت في أيام عثمان وعليّ رضي الله عنهما.

و: (هدنة على دَخَن) الصُّلح الذي وقع بين معاوية، والحسن بن علي رضي الله عنهما.

و: (دعاة الضلال) يزيد بالشام، ومختار بالعراق، ونحو ذلك حتى استقر الأمر على عبد الملك...

وبيَّن النَّبيِّ ﷺ أشراط السَّاعة؛ وهي ترجع إلى أنواع الفتن التي مرَّ ذكرها وشيوعها كثرتها، فإن التَّلف من القَرَفِ[1] وإنما يجيء النُّقصان من حيث يجيءُ الهلاك، وشرح هذا يطول.

وقال رسول الله ﷺ: «تدورُ رَحَى الإسلامِ لخمسٍ وثلاثينَ، أو ستٍّ وثلاثين، أو سبعٍ وثلاثين، فإن يَهلكوا فسبيلُ من هلكَ وإن يَقُم لهم دينُهُم يقم لهم سبعين عاماً» قلت: أمَّما بقي، أو مَّما مضى؟ قال: «مَّما مضى» أخرجه أبو داود عن ابن مسعود[2].

فمعنى قوله: (تدور رحى الإسلام) أي يقوم أمر الإسلام بإقامة الحدود، والجهاد في هذه الأمة.

وذلك صادق من ابتداء وقت الجهاد وأوائل الهجرة إلى مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه والشَّك في خمسةٍ وثلاثين وأخواتها لأنَّ الله تعالى أوحى إليه مجملاً.

وقوله: (فإن يهلكوا) بيان لصعوبة الأمر، وأنَّ الأمر يصير إلى حالة لو نظر فيها الناظر يشكُ في هلاك الأمة وبطلان أُمورهم.

---

(١) قال ابن الأثير: (القرف: ملابسة الداء ومداناة المرض، والتلف: الهلاك، والمعنى أن ملابسة الداء ومداناة الوباء تحصل به هلاكة النفوس) النهاية في غريب الحديث: (تلف، قرف).

ومراد المؤلف هنا: أن قرب الفتن وما فيها من البلايا يقربُ الهلاك.

(٢) تقدم تخريجه ص (٣٤).

وقوله: (سبعين عاماً) ابتداؤها من البعثة، وتمامها موت معاوية ﷺ وبعده قامت فتنة دُعاة الضلال.

وقوله: (سبعين عاماً) معناه: تهويل الأمر وأنه يكون تحت بطن الباطن فيه، وأنَّه لا يكون بعد هذا استقامة الأمر، والله أعلم.

وقال رسول الله ﷺ: «يُقاتلكم قوم صغارُ الأعينِ» يعني الترك «تسوقونهم ثلاث مراتٍ» الحديث[1].

معناه: أنَّ العرب يجاهدونهم ويغلبونهم فيصير ذلك سبباً لأحقاد وضغائن حتى يؤول الأمر إلى أن يذبّوا العرب من بلادهم، ثم لا يقتصرون على ذلك، بل يدخلون بلاد العرب.

وهذا هو المراد من قوله: (حتى تُلحقوهم بجزيرة العرب).

أما في السياقة الأولى: فينجو من العرب من هرب من قتالهم بأن يفرَّ من بين أيديهم، وذلك صادقٌ بقتال الجنكيزية، فهلك العباسية الذين كانوا ببغداد، ونجا العباسية الذين فروا إلى مصر.

وأما في السياقة الثانية: فينجو بعض ويهلك بعض، وذلك صادق بوطءِ تيمور ديار الشام وإهلاك أمر العباسية.

وأما في الثالثة: فيُصْطَلَمون ـ أي يُسْتَأْصلون ـ وذلك صادق بغلبة العثمانية على جميع العمل ـ والله أعلم ـ انتهى كلام (حجة الله البالغة)[2].

وجملة القول الحق في الباب أنَّه لا سلامة في الخلق من الآفات وأنَّ

---

(١) أبو داود في أول الملاحم، باب النهي عن تهييج الترك والحبشة، رقم (٤٣٠٥) وتمامه: «... حتى تلحقوهم بجزيرة العرب، فأما في السياقة الأولى فينجو من هرب منهم، وأما في الثانية فينجو بعض ويهلك بعض، وأما في الثالثة فيُصطلمون». وسيأتي توضيحه من خلال بيان المؤلف ﷺ.

(٢) حجة الله البالغة ص (٢/ ٨٨٤).

الإنسان قطبُ رحى الشُّرور، ومركز دوائرها التي تدور، قد جعله الله بين عدوٍّ وحاسدٍ، وخؤون ومعاندٍ، وحصره بين الجهات الست، وهو على ما فيه من إبداع الخلقة، وحسن التَّصوير ليس له غير وجه واحد، ويمين وساعد، إن اتجه إلى البعض فاته الكلُّ، وإن اكترث بالأكثر أضرَّ به الأقلُّ، فلا يزال بين سهم مخطئٍ ومصيب، ومورِدٍ آجنٍ[1] وشريب يتجرع المصائب تجرُّع من لم يجد مندوحة، ويتناسى ما قدَّم وإن أُزهقت روحه.

على أنها تعفو الكلومُ وإنَّما ... نُوَكَّلُ بالأدنى وإن جلَّ ما يمضي

فإذا تأملت ـ أعزك الله ـ فيما اتَّضح من هذه الدلائل تبين لك أنَّ العالم أضدادٌ، وكلٌّ بأُحْبُولَتِهِ صيادٌ.

أما أحوال الآدميين فحيث كان عنصرهم من ماءٍ وطينٍ، كانوا إلى التَّكدير أقربُ، وإلى داعي الفتن أجوبُ، وقد قيل: الناس ذئابٌ في ثياب نَعَمٍ، وأعداءٌ في زي الأصحاب، شعارهم التَّملقُ، ودثارهم المكر.

ومن تطلَّب منهم ضدَّ ما جبلوا عليه من الدَّسائس الخبيثة؛ فكأنما تطلَّب من الماء جذوة نار.

وناهيك بما قيل: إن الظُّلم من شيم النُّفوس، وإنَ من لا يظلم الناس يُظلم.

فإن كان لا سلامة من الخلق إلَّا بالظُّلم، ولا نجاة منهم إلَّا بالقهر والهضم، فمن أين جاءت السَّلامة؟ وكلٌّ يطالبها أمامه، فترى العاقل يُعمل عقله في الحيل، والجاهل لا يألو جُهداً في إدراك الأمل، فإن قصَّر أحدُهما عن غاية مَرامِه استعان بما يُحاكيه في المقاصد، ويشابهه في عمل المكايد، وحسب مُعينه خِلاً وفياً وحميماً حَفياً، وما علم أنَّ الخلَّ قرين الغول[2]، وأنَّ

---

(١) الآجن: المتغير، أجن الماء إذا تغير لونه أو طعمه أو ريحه.

(٢) أي الصديق الوفي لا وجود له كالغول، جاء في المثل: ثلاثة لا وجود لها؛ الغول، والعنقاء، والخلّ الوفي.

العلَّة يشبهها المعلول، ولكن على العاقل أن يتردَّى[١] بالفضائل، فيجعل الحكم أنيسه، والنَّظر في العواقب جليسه، ولا يغترّ بالكذوب المختال، ولا العدّوِّ المتضرِّع المحتال:

واجعل النَّاس كشخصٍ واحدٍ ثم كُن من ذلك الشَّخص حَذِر

فمن اتَّصف بهذه الصِّفات هانت عليه من جنسه تلك الآفات، فيرى الظُّلمة سراجاً، والمضائق سُبلاً فجاجاً، فيحمد الله تعالى على كلِّ حالٍ، ويسأله من فضْلِه صفة الكمال؛ وكيف السبيلُ إلى السلامة يكون، والمَرْءُ بين الضَّرتين مسجون، وهو ما بين غابن ومغبون، وكلاهما إمَّا على الدَّنيا مُزاحم أو مقادح[٢] وأمَّا عن الأخرى منعزلٌ أو مكافحٌ، فالحرص على الجمع بينهما لا يُستطاع، بل لا يكون صاحبُه بين الجميع بمطاع، والجمع بين هاتين الضَّرتين كالتوفيق بين الضِّدَّين والصَّبر على مزاحمة أبناء الأولى وشرِّ أضداد الأخرى من المنح الإلهية، والمواهب الرَّبانية، فأيان تكون السَّلامة مع فقد المسالمة؟

فابن الدنيا يطلب جَمْعَ كلِّها إليه، وابن الأخرى يحبُّ أن لا يكون غيره من أمثاله مقدَّماً عليه؛ فإن تمسَّك المرءُ بدينه، سلقه أبناءُ الدَّنيا بألسنتهم، وطعنوا في يقينه؛ وإن مال معهم إلى الدنيا، أو آثرها عن الأُخرى لقي زحاماً وازدحاماً، وتهاوشاً وتناوشاً وانتقاماً؛ فالمتأخر يردُّه إلى الخلف ليتقدَّم عليه، والمتقدِّم يطلب ما بيده ليوصله إليه؛ وكلاهما يتجنَّبه إن سقط، ويقول: ذا مجنون خلط، يدورون مع الدَّهر كيفما دار، ويطلبون من الشَّجر الثمار، ذو النَّعمة والغنى بينهم محسود، وذو النِّقمة والفقر من حيهم مطرود.

فبكلا الحالين لا خلاص، وبالنِّعمة والنِّقمة من شرِّهم لا مناص إن

---

(١) تردَّى: لبس الرداء، والمراد: تحلى بالفضائل.

(٢) مقادح: من قدح في نسبه إذا طعن فيه.(منه).

تقرَّب المرء إليهم أضاع دينه ودُنياه، وإن تباعد عنهم قالوا: وسواسٌ قد اعتراه:

فلا صديقٌ إليه مُشتكى حُزني ولا أنيسٌ إليه منتهى جذْلي

فالصديق منهم لا يفي، والخليل بالقليل لا يكتفي، القريب في الشّدة غريبٌ، والغريب في الرَّخاء قريبٌ، إن رأوا حسنةً يكتموها، وإن بدت لهم سيئة أذاعوها.

وقار المرء عندهم بقدر ماله، وحُرمته بزخرفة لسانه ودثاره، إن وافاهم ملُّوه، وإن اعتزل عنهم أنكروه، خُلقاً ألفه الناس، وطبعاً رميت الخلق منه بسهام اليأس، فطالب السَّلامة من أبناء الدَّهر كمسترجع الشباب بعد مشيب العُمر.

لا جرم أنَّ لمثير الخَيَفِ[1] مُعيناً من الدَّهر، وعلى طريق السَّلامة كمائن أبناء الدُّنيا ذاتِ المكر، فأين المفرُّ والبعاد؟! والدنيا والدَّهر وأبناؤهما لطالب السَّلامة في المرصاد؟!

إن لان لهم قطعوه، وإن غلظ تجنَّبوه.

إن لَطُف مزَّقوه، وإن فظظ لاطفوه.

إن حلا أذابوه، وإن مرَّ تحاموه.

إن نَعُمَ لمَسُوه، وإن خشُن تركوه.

إن تكرَّم أفقروه، وإن أمسك عابوه.

إن تبسَّم استخفُّوه، وإن قَطَّب استخونوه.

إن تواضع ذلُّوه، وإن تكبَّر خافوه.

إن قَنِعَ حرَموه، وإن طمع ركبوه.

---

(١) الخيف: الاختلاف، ومنه قولهم: الناس أخياف، أي: مختلفون، [القاموس: خيف]. (منه).

إن اتقى اتَّهموه، وإن ضلَّ قرَّبوه.

إن حلُم استبلَدُوه، وإن حمُقَ دارُوه.

بقدر جهل المرء، وسوء أخلاقه، يحوز السَّلامة، وتكثُر أنصاره.

ويقولون للبخيل: عاقل، وللحريص المتملِّق: كامل فاضل.

تركُ الدِّين والأخلاق الإنسانية عندهم من التَّمدُّنِ.

والحمق والعجلة من الحمية والفتن[1].

فالسعيد من غلب عقلُه النَّفيس، شيطانَ نفسه التَّعيس، ومحا بنور الرشد دُجى الأغلاس، وطفى بفجر العقل مصابيح الوسواس، واستعان من الإخلاص بِجَرِّ شُعاع شموسِه على بخار النَّفس فأقرَّه في وطيسه، واستخلص أذيال السَّلامة من يدي الضَّلال، فتعلَّق بسُلَّم الهداية إلى سماء الوصال، راكباً مطايا الزُّهد والقناعة ومتزوّداً بسويق التَّواضع والطَّاعة، قطْعُ الآمال من المخلوقات دليله، وترْكُ ما في أيديهم ظهيرُه وخليله، مُصمّاً سَمْعَه عن نداء من يناديه ليردَّه إلى الضَّلال الذي هو فيه، قامعاً للشَّهوات بخير الزَّاد، لأوقات الرَّحيل، منفصلاً عن الدُّنيا وأولادها بلا قال وقيل، لا يلوي لزخارفهم وما يدَّعون، ولكذبهم بوِدادِهم وما يقولون، لا سيما حينما يَرَوْنَه قد استغنى عنهم، وصدَّه العقل عن التَّقرُّب منهم.

تطالبهم النَّفس الأمَّارة بالشَّرِّ لإرجاعه إليهم، ليُبعدوه عن الخير، فتراهم خَلفه يركضون، ولقطع الطَّريق عليه من كلِّ حدْبٍ ينسِلون، فهيهات هيهات أن ينجو منهم الهارب، وكلٌّ منهم بخيله راكضٌ وله طالب.

فالفوز إذ ذاك بالسَّلامة والأمان من نعم الرَّحيم الرَّحمن فمختار النجاة والنَّصر المديد، يلتمس العناية من المؤيِّد المجيد:

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: «الأنَفَة» فهي أنسب للسياق.

وَلَفِي البحور منافعٌ لا تنتهي وأرى السَّلامةَ في لزومِ السَّاحلِ

هذا ما حرَّره بعضُ أُدباء تونس في مقالاته، وذَكَرَهُ مدير (الجوائب)[1] في جرنالاته، وكلُّ ذلك من أبواب الفتن التي تقع في آخر الزَّمن، وما العصمةُ إلَّا بالله ذي الجود والمِنَن.

دَع الخَلْقَ لا تبغي السَّلامة منهم فما هي إلَّا الشَّهد عند الأراقم
ودونك تقوى الله إن كنتَ عاقلاً فإنَّ بها كلَّ الغِنى والغنائِم

❀ ❀ ❀

(١) الجوائب صحيفة كان يصدرها المرحوم أحمد فارس الشدياق في الآستانة ثم انتقل إلى مصر. حيث توقفت عن الصدور بعد حوالي ثلاثين عاماً.

باب في الفتن التي ظَهرتْ وانقَرَضَت وهي كثيرةٌ لا تكاد تنحصر في هذا المختصر

ومنها: موت النَّبيِّ ﷺ، وهو من أعظم المصائب في الدِّين، وأكبر الدَّواهي للمؤمنين.

عن عطاء بن أبي رباح عن النَّبي ﷺ: «إذا أُصيبَ أحدُكم بمصيبةٍ فليذكُر مصيبَتَه بي، فإنَّها أعظم المصائب» أخرجه ابن سعد[١].

وعن عائشة ﵂ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن أُصيبَ منكم بمُصيبةٍ، فإنَّه لن يُصاب أحدٌ من أُمَّتي من بعدي بمثل مُصيبته بي» رواه الطبراني في الأوسط[٢].

وفي سُنن ابن ماجه[٣] أنه ﷺ قال في مرضه: «أيُّها النَّاس، أيُّما أحدٍ من النَّاس ـ أو من المؤمنين ـ أُصيب بمُصيبةٍ فليتعزَّ بمُصيبتهِ بي عن المُصيبة التي

---

(١) ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٢٧٥). والحديث مرسل ضعيف أخرجه الدارمي في سننه (٨٦) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٥٨٣)، وانظر كنز العمال: (٣/ رقم: ٦٦٤٤).

(٢) الطبراني في الصغير (٦١٢) والأوسط (٤٤٤٥) من طريق عبد الله بن جعفر والد علي بن المديني وهو ضعيف، تابعه موسى بن عبيدة وهو متروك.

(٣) في الجنائز، باب ما جاء في الصبر عند المصيبة، رقم (١٥٩٩) من طريق موسى بن عبيدة عن عائشة ﵂، وأخرج مالك في الموطأ، كتاب الجنائز، (جامع الحسبة في المصيبة) (١/ ٣٣٦) عن عبد الرحمن بن القاسم مرسلاً: أن رسول الله ﷺ قال: «ليُعَزِّ المسلمين في مصائبهم، المصيبةُ بي».

تُصيبهُ بغيري، فإنَّ أحداً من أُمَّتي لن يُصابَ بمُصيبةٍ بعدي أشدّ عليه من مُصيبتي».

وعن أُمِّ سلمة ﵂ أنَّها ذَكرت وفاة النَّبيِّ ﷺ فقالت: «يالها من مُصيبةٍ! ما أصابنا بعدها من مُصيبة إلَّا هانت إلا ذكرنا مُصيبتنا به ﷺ» أخرجه البيهقي(١).

وهو أول فتح باب الاختلاف حيث قالوا: «منا أميرٌ ومنكم أمير»(٢).

وفي حديث عوف بن مالك ﵁ الطَّويل يرفعه قال: «أُعْدُد سِتاً بين يدي السَّاعة: موتي، ثم فتحُ بيت المقدس...»(٣).

وفي الباب أحاديث.

وفي الصحيح(٤): ما نَفَضنا أيدينا من تُراب قَبر رسول الله ﷺ حتَّى أنكرنا قُلوبنا.

وتوفي ﷺ يوم الإثنين بلا خلاف، نصف النَّهار لاثنتي عشرة ليلةً خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، في مثل الوقت الذي دخل فيه.

---

(١) في دلائل النبوة: (٧/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً...» رقم: (٣٦٦٨) عن عائشة ﵂.

(٣) أخرجه البخاري في الجزية والموادعة، باب ما يحذر من الغدر، رقم (٣١٧٦) وتمامه: «... ثم مُوتانٌ يأخذ فيكم كقُعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجلُ مئة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً».

(٤) أخرج الترمذي في المناقب، باب (سلوا الله لي الوسيلة...) رقم (٣٦٠٨) وابن ماجه في الجنائز، باب ذكر وفاته ﷺ رقم (١٦٣١). عن أنس ﵁: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا...» الحديث وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ودُفن يوم الثلاثاء ـ كما في الموطأ[١] والترمذي ـ في ليلتها في مكانه الذي تُوفي فيه ـ أي ليلة الأربعاء ـ قاله محمد بن إسحاق[٢].

ولما توفي طاشت عقول الصحابة وأُفحموا واختلطوا:

فمنهم من خَبل.

ومنهم من صَمَت.

ومنهم من قَعَد إلى الأرض.

كما روي عن غير واحدٍ منهم[٣].

---

(١) مالك في الموطأ، كتاب الجنائز، ما جاء في دفن الميت، (١/ ٢٣١) بلاغاً.

(٢) قال ابن سيد الناس: «واختلف أهل العلم في اليوم الذي توفي فيه، بعد اتفاقهم على أنه يوم الإثنين في شهر ربيع الأول: فذكر الواقدي وجمهور الناس أنه الثاني عشر.
قال أبو ربيع بن مسالم: وهذا لا يصح، وقد جرى فيه على العلماء من الغلط ما علينا بيانه.
وقد تقدمه السهيلي إلى بيانه، لأن حجة الوداع كانت وقفتها يوم الجمعة، فلا يستقيم أن يكون يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الأول، سواء أتمت الأشهر كلها أو نقصت كلها، أو تم بعضها. وقال الطبراني: يوم الإثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول. وقال أبو بكر الخوارزمي: أول ليلة منه. وكلاهما ممكن». عيون الأثر: (٢/ ٤٤٩) وانظر الروض الأنف (٤/ ٢٧٠).
وقال ابن سيد الناس أيضاً: «ولما فرغ من جهازه يوم الثلاثاء، وكانت وفاته يوم الإثنين حين زاغت الشمس... ثم دفن من وسط الليل ليلة الأربعاء...» عيون الأثر: (٢/ ٤٥١) والسيرة النبوية لابن هشام (٦/ ٨٧).

(٣) قال ابن سيد الناس: «ولما توفي رسول الله ﷺ وسجته الملائكة، دُهش الناس، وطاشت عقولهم، واختلفت أحوالهم؛ فأما عمر فكان ممن خَبَل، فجعل يقول: إنه والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم.
وأما عثمان: فأخرس، حتى جعل يُذهب به ويجاء وهو لا يتكلم، وأقعد عليٌّ. وأضني عبد الله بن أنيس ـ من الضنى: وهو المرض ـ» عيون الأثر: (٢/ ٤٤٩).

وقال أبو بكر ﷺ: ولولا أنَّ موتك كان اختياراً، لجدنا لموتك بالنُّفوس[١].

وعن أبي ذؤيب الهُذلي قال: بلغنا أنَّ النَّبيَّ ﷺ عليلٌ فأوجس أهلُ الحيِّ خيفةً، وبتُّ بليلةٍ طويلةٍ، حتى إذا كان قُرب السَّحر نمتُ فهتف هاتف، وهو يقول:

خطبٌ أجلُّ أناخ بالإسلام ... بين النَّخيل ومَعْقِل الآطام
قُبِضَ النَّبيُّ محمدٌ فعيونُنا ... تُذْري الدُّموع عليه بالأسجام[٢]

وعن أنس: ما رأيتُ يوماً كان أقبحَ، ولا أظلم من يوم مات رسول الله ﷺ رواه الدارمي[٣].

وفي رواية الترمذي[٤]: فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلُّ شيءٍ.

وفي البخاري[٥]: لما دُفن جاءت فاطمةُ ﷺ فقالت: كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التُّراب؟!.

وفي رواية: أخذت تُربةً من تُراب الرَّسول ﷺ وشمَّت ثم أنشدت:

ماذا على من شمَّ تُربةَ أحمدَ ... أن لا يشمَّ مدى الزَّمان غواليا
صُبَّت عليَّ مصائبٌ لو أنَّها ... صُبَّت على الأيام صُرْنَ لَيالِيا

---

(١) قال العراقي في تخريج الإحياء: أخرجه ابن أبي الدنيا في العزاء من حديث ابن عمر ﷺ بإسنادٍ ضعيف.

(٢) أورد ذلك ابن عبد البر في الاستيعاب، وابن حجر في الإصابة، ترجمة أبي خراش الهذلي، (٧/ ١٢٤).

(٣) الدارمي في المقدمة، باب في وفاة النبي ﷺ رقم (٨٨).

(٤) مرَّ تخريجه قريباً.

(٥) البخاري في المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم (٤٤٦٢).

وقال أبو بكر ﷺ في أبياتٍ رثى بها رسول الله ﷺ:

فليحدُثنَّ حوادث من بعده تَعْيا بهنَّ جوانح وصدور

وقالت صفية بنت عبد المطلب:

لعمرُك ما أبكي النَّبيَّ لفَقدِهِ ولكنَّ ما أخشى من الهرج آتيا

وقال أبو الجَوْزاء: كان الرَّجل من أهل المدينة إذا أصابته مُصيبةٌ جاء أخوه يصافحه، ويقول: يا عبد الله! اتقِ الله! فإن في رسول الله أُسوةً حسنة.

قال قائلهم:

اصبِر لكلِّ مصيبةٍ وتجلَّدِ واعلم بأنَّ المرء غيرُ مُخلَّدِ
واصبر كما صَبر الكِرامُ فإنَّها نُوَبٌ تنوبُ اليوم تُكشفُ في غدِ
وإذا أَصَبْتَ مُصيبةً تَشْجَى بها فاذكر مصابكَ بالنَّبيِّ محمدِ

وقال آخر:

تذكَّرتُ لمَّا فرَّق الدَّهر بيننا فعزَّيْتُ نفسي بالنَّبيِّ محمدِ
وقلتُ لها: إنَّ المنايا سبيلُنا فمن لم يُمت في يومهِ ماتَ في غدِ

ورثاه ﷺ: أبو سفيان بنُ أبي الحارث بن عبد المطلب ـ ابن عمِّه ﷺ.

وأبو بكر الصديق ﷺ.

ورثته عمَّتهُ صفيَّة بمراثٍ كثيرة، وفاطمة، وعليٌّ وجماعة من الصحابة.

وقال حسان:

كُنتَ السَّوادَ لناظري فعمَى عليك النَّاظرُ
من شاء بعدك فليَمُت فعليك كنتُ أُحاذرُ

* * *

ومنها: قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ.

وعن الزبير ﷺ أنَّه قال: قَتل النَّبيُّ ﷺ يوم الفتح رجلاً من قريش

صَبراً، ثم قال: «لا يُقتل قريشيٌ بعد هذا اليوم صَبراً، إلَّا رجُلٌ قتل عُثمان فاقتلوه. فإن لا تفعلوا تُقتلوا قتل الشاة» رواه البزار والطبراني[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال ـ وعثمانُ محصور ـ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «سَتَكُون فِتنَةٌ واختلاف» قُلنا: فما تأمُرُنا يا رسول الله؟ قال: «عَلَيْكُم بالأَميرِ وأَصحابِهِ» وأشار إلى عُثمان. رواه الحاكم وصححه والبيهقي[٢].

وفي الباب أحاديثُ عندَ الحاكم وصحَّحها، وابن عَديّ وابن عساكر.

وعن حذيفة ﷺ قال: «أَوَّلُ الفِتَنِ قَتْلُ عُثمان، وآخرها خُروجُ الدَّابَّة»[٣].

وسبب قتله ذكره الحافظ في (الفتح) والسيد محمد (البرزنجي) في (الإشاعة لأشراط الساعة)[٤].

قال القرطبي في (تَذكِرته)[٥]: وقد قيل: إنَّ الصَّحيح في مَقْتَلِهِ ﷺ أنَّه لم يتعيَّن له قاتلٌ مُعيَّنٌ، بل أخلاطٌ من النَّاس وَهمَج رَعَاعٌ جاءوا من مصر، ومن غير مصر[٦].

---

(١) أخرجه البزار، رقم (٩٧٧) والطبراني في المعجم الأوسط، رقم (١٦٧٤) قال الهيثمي: (في إسناد الطبراني أبو خيثمة مصعب بن سعيد، وفي إسناد البزار عبد الله بن شبيب، وكلاهما ضعيف) مجمع الزوائد: (٩/ ٩٩). وأخرجه ابن عساكر: (٣٩/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: (٢/ ٣٤٥) والحاكم: (٤/ ٤٣٤)، وابن أبي عاصم في السُّنَّة، رقم (١٢٧٨)، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق: (٣٩/ ٤٤٧) وفيه: (خروج الدجال) بدل الدابة.

(٤) فتح الباري: (٣/ ٢٧٤) والإشاعة: (١٩ ـ ٢٤) والعواصم من القواصم: (٨٧ ـ ١٠٣).

(٥) التذكرة: (٣/ ١٠١).

(٦) قال ابن العربي: وقد سموا من قام عليه فوجدناهم أهل أغراض سوء حيل بينهم وبيننا. العواصم (٥١) وقال: وأمثل ما روي في قصته أنه ـ بالقضاء السابق ـ تألب عليه قوم لأحقاد اعتقدوها ممن طلب أمراً فلم يصل إليه وحسد حسادة أظهر داءها، وحمله على =

قال الزبير بن بكَّار: حاصروه شَهرين وعشرين يوماً.

وقال الواقدي: تسعةً وأربعين يوماً....

واختُلف في سِنِّه حين قَتَلَه، من قَتْلَه من الفجَّار أدخله الله بحبوحة النار ـ:

فقيل: قُتِلَ وهو ابن ثمانٍ وثمانين سَنَة.

وقيل: ابن تُسعين سَنَة.

وقال قتادة: ابنُ ستٍّ وثمانين.

وقيل غير هذا.

وقُتِل مَظلوماً، كما شهد له بذلك رسولُ الله ﷺ[1] وجماعةُ أهلِ السُّنَّة.

وأُلقي على مَزبلةٍ فأقام فيها ثلاثةَ أيامٍ لم يَقدر أحدٌ على دفنهِ حتَّى جاءَ جماعةٌ باللَّيل خِفيَة، فحملوه على لوحٍ وصلَّوا عليه ودُفن في موضع من البقيع يُسمى (حَشُّ كوكب) وكان مما حبَّسَه (عثمان) وزادَه في البقيع..[2].

وقُتل يوم الجمعة لثمانٍ ليالٍ خَلَون من ذي الحجة يوم التَّروية سَنَة خمسٍ وثلاثين. قاله الواقدي.

وقيل: لليلتين بقيتا من ذي الحجة.

وكانت خلافته إحدى عشرة سنة إلَّا أياماً، اختُلف فيها.

= ذلك قلة دين وضعف يقين وإيثار العاجلة على الأجلة، وإذا نظرت إليهم دلك صريح ذكرهم على دناءة قلوبهم وبطلان أمرهم. العواصم: (٨٦ ـ ٨٧). وقال: وقد روي أنه ما قتله أحد إلا أعلاج من أهل مصر. العواصم (١٠٢).

(١) انظر مسند أحمد: (٢/ ١١٥).

(٢) في هذا السياق مبالغات، ولعل الصحيح في ذلك ما أورد الذهبي عن أبي معشر السندي قال: قتل لثماني عشرة خلت من ذي الحجة يوم الجمعة، زاد غيره: بعد العصر، ودفن في البقيع بين العشائين، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، قال الذهبي: وهو الصحيح. تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين: (٤٨١).

وقيل: إنَّ المتعصِّبين على عُثمان من المِصْريين، ومن تابعَهم من البُلدان كانوا أربعة آلاف، وبالمدينة يومئذ أربعون ألفاً، وكان ذلك من المعجزات التي أخبر بوقوعها بعد موته ﷺ وما قال رسول الله ﷺ شيئاً قطّ إلَّا كان.

قال حسان:

قَتَلْتُم وليَّ اللهِ في جوفِ دَارِهِ ... وجِئْتُم بأَمرٍ جائرٍ غيرَ مُهْتَدِ
فلا ظَفِرَتْ أيمانُ قَوْمٍ تَعاوَنوا ... على قَتْلِ عُثمانَ الرَّشيدِ المُسدَّدِ

* * *

ومنها وقعة الجمل:

عن علي وطلحة رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال للزبير: «أتحبُّ عليّاً؟» قال: نعم، قال: «إنَّكَ سَتَخْرُجُ عَلَيهِ وتُقَاتِلُه وأَنْتَ له ظَالِم» رواه الحاكم[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال لها: «كَيْفَ بإحداكُنَّ إذا نَبَحَتْها كِلاب الحُوأَب؟» رواه أحمد والحاكم[2].

وفي الباب روايات عند ابن أبي شيبة والطبراني ونُعيم بن حماد والبيهقي وغيرِهم على ضعفٍ وحُسْنٍ فيها.

وقد جمع عمرو بن شَبَّة في كتاب (أخبار البصرة) قصَّة الجمل مطوَّلةً، ولخَّصَها الحافظ في (الفتح) واقتصر على ماورد بسندٍ صحيح أو حسن، وذكر حاصِلَه مختصراً في (الإشاعة) وهي في (تذكرة القرطبي) أيضاً بأسانيد صحيحة جيدة[3].

---

(١) المستدرك: (٣/ ٧٥).

(٢) أحمد رقم (٢٣٧٣٣) والمستدرك: (٣/ ١١١) وصححه، وسكت عنه الذهبي.

(٣) ينظر في ذلك العواصم من القواصم لابن العربي (١١١ ـ ١١٩) والتذكرة للقرطبي (٢/ ٣٥٤) والإشاعة في أشراط الساعة للبرزنجي (٢٥ ـ ٣٠).

وقُتِل فيها من أصحابِ عليٍّ نحو من ألف رجُلٍ. وقيل: أقل.

وكان قتالُهُم من ارتفاع النَّهار يوم الخميس إلى قريب العَصْر لعشرِ ليالٍ خَلَتْ من جمادى الآخرة سنة ستة وثلاثين.

وهذا من أعلام نبوَّته ﷺ وهو إخبارُه بالشيء قبل كونه.

قال القاضي أبو بكر العربي: ولا خلاف بين الأُمَّة أنَّه يجوزُ للإمام تأخير القصاص إذا أدَّى إلى إثارة الفتنة، أو تشتُّتِ الكلمة. وكذلك جرى لطلحة والزبير، فإنَّهما ما خلعا عليّاً من ولاية، ولا اعترضا عليه في ديانة وإنَّما رأوا أنَّ البداية بقتل أصحاب عثمان أَوْلى[١]، انتهى.

* * *

ومنها: وقعة صفين:

وقد صَحَّ[٢]: «لا تَقوم السَّاعُة حتى تَقْتَتِلَ فِئتانِ عَظيمَتانِ... دَعْوَاهُما واحدة».

وبيَّن سببها بالاختصار في (الإشاعة)[٣].

وفي الباب رواياتٌ عند الطبراني وابن عساكر وغيرهما[٤].

وكان مقام عليٍّ، ومعاوية بصفِّين سبعة أشهر. وقيل: تِسْعةَ. وقيل: ثلاثة أشهر[٥].

---

(١) ينظر في هذه المسألة: تفسير القرطبي (١٦/ ٣١٨) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾... [الحجرات: ٩]. والتذكرة: (٣/ ١١١).

(٢) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦٠٨).

(٣) الإشاعة ص (٣١).

(٤) نقل تلك الروايات البرزنجي في الإشاعة ص (٣١ ـ ٣٣).

(٥) أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين لابن دحية ص (٥٢ ـ ٥٣).

وذلك في سنة سبعٍ وثلاثين. قاله الإمام أحمد في (تاريخه)[١].

وكان أَهلُ الشَّام خمسة وثلاثين ومئة ألف. وكان أَهلُ العراق عشرين أو ثلاثين ومئة ألف. ذكره الزبير بن بكار[٢].

قال الحافظ ابن دحية: والإجماع منعقدٌ على أنَّ طائفةَ الإمام طائفةُ عدلٍ، والأُخرى طائفةُ بَغْي. ومعلومٌ أنَّ عليّاً كان الإمام. انتهى[٣].

وقال أبو عمر بن عبد البر في كتاب (الاستيعاب): وتواترت الأخبار عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «تَقْتُل عماراً الفِئَةُ الباغية» وهو من أصح الأحاديث. انتهى[٤].

وأجمع فُقهاء الحجاز والعراق من فريقي الحديث والرأي، منهم مالك والشَّافعيُّ وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلِّمين على أنَّ عليّاً مصيبٌ في قتاله لأَهلِ صفِّين، كما قالوا بإصابته في قتلِ أَصحاب الجمل.

وقالوا أيضاً بأنَّ الذين قاتلوه بُغاة ظالمون له؛ ولكن لا يجوز تكفيرهُم ببغيهِم[٥].

---

(١) نقله ابن دحية عن الإمام أحمد. أعلام النصر المبين ص (٤٨).

(٢) نقل ابن دحية عن الزبير بن بكار ذكره لعدد أهل الشام، أما عدد أهل العراق فنقل ابن دحية عن البيهقي في الدلائل أن عددهم عشرون ومئة ألف. دلائل النبوة للبيهقي، جماع أبواب أسئلة اليهود (٦/ ٤١٩). وأعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين لابن دحية ص (٦١ ـ ٦٤). قلت: ولم يثبت شيء من ذلك بطرق صحيحة، بل هي من مبالغات المؤرخين. والله أعلم.

(٣) ذكر ابن دحية معنى هذا الكلام في كتابه أعلام النصر المبين ص (٨٢ ـ ٨٣).

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر، ترجمة عثمان بن عفان (٢/ ٤٧٤).

(٥) ما سبق ذكره من إجماع فقهاء الحجاز والعراق وغيرهم نقله ابن دحية عن عبد القاهر البغدادي في كتابه الإمامة. أعلام النصر المبين ص (٨٤).

وقال الإمام أبو منصور التميمي البغدادي في كتاب (الفِرق) في بيان عقيدة أهل السُّنة مثله[١].

وكذا الإمام أبو المعالي في كتاب (الإرشاد) والحافظُ أبو الخطَّاب بن دحية وغيرُهما[٢]، والله أعلم.

* * *

ومنها وقعة النهروان.

وهي محاربة عليٍّ مع الخوارج، وفيها روايات عند ابن جرير وغيره عن عليٍّ، وأبي سعيدٍ، وأبي ذر ﷺ وفيها الأمر بقتال النَّاكثين والمارقين والقاسطين[٣].

والأحاديث في الخوارج كثيرة جداً في الصحيحين وغيرهما ولا تكاد تنحصر.

وذكر في (الإشاعة) سببها بالاختصار[٤].

ومن بقايا هؤلاء القرامطةُ ومنهم الباطنية والإسماعيلية وفتنتهم مشهورة أهلكوا العباد، وأفسدوا البلاد، والقوم الذين الآن في بلاد الهند، ويقال لهم (بوهرة) هم تلك الإسماعيلية.

* * *

ومنها نزول أميرِ المؤمنين وسيّدِ المسلمين وخاتمةِ الخلفاء الرَّاشدين (الحسن بن عليّ) لمعاوية.

---

(١) الفَرق بين الفِرَق لعبد القاهر ص (٣٤٢).

(٢) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للإمام الجويني ص (٤٣٣)، وأعلام النصر المبين لابن دحية ص (٨٢ ـ ٨٥).

(٣) نقل تلك الروايات البرزنجي في الإشاعة ص (٣٣ ـ ٣٤).

(٤) الإشاعة ص (٣٤).

وقد تقدَّم حديثه في المقدمة[١]، وهو الذي أصلح بين فئتين من المسلمين، وظهر بذلك مِصْداق ما أَخبر به سيّد المُرسلين ﷺ وشهد جماعةٌ من الصّحابة أنَّهم سمعوا ذلك من النَّبيِّ ﷺ.

وفي الباب روايات في كُتُب السُّنَّة وغيرها، وسببه مذكور في (الإشاعة) وغيرها[٢].

* * *

ومنها ملك بني أُمية؛ يزيد بن معاوية، ومن بعده، المشتمل على الفتن العِظام كقطع اللَّيل المُظْلم.

وفيه روايات لا تكاد تحصر، وحكايات تَقْشَعرّ منها جلود الذين يخشون ربهم.

وسببه مشهور مذكور في كُتُب السِّير، و (الإشاعة في أشراط الساعة) و (التذكرة) للقرطبي[٣].

* * *

ومنها: قتل الحُسين بن علي رضي الله عنهما بعد ما سُمَّ الحَسنُ رضي الله عنه.

وقد أخبر به النَّبيُّ ﷺ فكان ذلك عَلَماً من أعلام النُّبوة[٤].

وقد ألَّف فيه جماعة من أهل العلم قديماً وحديثاً، منها كتاب (سرُّ

---

(١) ينظر (باب في فتن تكون في هذه الأمة). المتقدم.

(٢) الإشاعة ص (٣٦ ـ ٣٧) وقد نقل البرزنجي روايات في ذلك.

(٣) الإشاعة ص (٤٠ ـ ٤١) والتذكرة للقرطبي ص (١١١٤).

(٤) عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: قام من عندي جبريل قبل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات. أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٨٥)، وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني ورجاله ثقات.

الشَّهادتين) للشَّيخ عبد العزيز بن ولي الله المحدَّث الدهلوي، وهو أحسن مجموع جُمِعَ فيه.

وقد قُتِل معه من أهل بيتهِ وعشائره تسعةَ عشر رجلاً، ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبيهٌ.

وقيل: ثلاثةٌ وعشرون.

ولله درُّ القائل:

أترجو أُمَّةٌ قتلت حسيناً شفاعةَ جدِّه يومَ الحساب[1]

قال القرطبي: قُتِل رضي الله عنه ورحمه ـ ولا رحم قاتله ـ يوم الجمعة لعشرٍ خَلَوْن من المحرَّم سنة إحدى وستين بكرْبُلاء بقُرْبِ موضعٍ يقال له (الطَّفُّ)، بَقْرُبُ من الكوفة، انتهى.

ثمَّ ذكر قصَّة قَتْلهِ قال: وهو ابن ستٍ وخمسين سنة، ويسمَّى عام الحزن.

وقُتِل معه اثنان وثمانون رجلاً من الصَّحابة مبارزَةً، فيهم: الحُرُّ بن يزيد، لأنَّه تابَ ورجَع مع الحُسَين، ثمَّ قُتِل.

ووجِدَ بالحسين ثلاثة وثلاثون طعنة، وأربع وثلاثون ضربة.

واختلفوا فيمن قتله، فقيل: عُمر بن سعد بن أبي وقَّاص، قاله أهل الكوفة.

وقيل: سُفيان النَّخعي.

وقيل: سِنان بن أبي سِنان النَّخعي، وهو جَدُّ شريك القاضي.

وقيل: شَمِر بنُ ذي الجَوْشَن.

وأجهز عليه خَوْليُّ بن يزيد الأصبحي.

---

(١) شفاعة النبي ﷺ لأُمَّتِه يوم القيامة ثابتة بالأحاديث الصحيحة الصريحة، ومنها قوله ﷺ: «قد رأيت ما تلقى أمتي من بعدي فأخَّرت شفاعتي إلى يوم القيامة» أخرجه ابن أبي شيبة وأبو يعلى وغيرهما.

وتولَّى حَمْل الرأس بِشر بن مالكٍ الكُنْدي[١].

* * *

ومنها وقعة (الحَرَّة) وما جرى فيها من المِحَن.

وفيها أحاديث في الصَّحاح وغيرها، وقد تقدَّم بعضٌ منها في المقدِّمة، وذَكَرَ سَبَبَها في (الإشاعة).

وكان قَتْلُ الحُسين، ووقعةُ الحرة، ورَمْيُ الكعبة بالمنجنيق، واستباحةُ حَرَمِ المدينة، وخرابُ مسجده ﷺ من الشَّنائع التي وقعت في زمن يزيد[٢].

قال ابن حجر المكي في (شرح الهمزية): ولا عجب فإنَّ يزيد بلغ من قبائح الفسق والإخلال بالتَّقوى مبلغاً لا يستنكر عليه صدور تلك القبائح منه، بل قال أَحمدُ بنُ حنبل رحمه الله بكُفْره وناهيك به ورعاً وزهداً وعلماً.

* * *

---

(١) انظر التذكرة للقرطبي ص (١١١٦) وما بعدها جاء في سياق فتوى للإمام الغزالي لمن سأله عن لعن يزيد بن معاوية ما يلي: «من زعم أن يزيد أمر بقتل الحسين رضي الله عنه، أو رضي به فينبغي أن يُعلم به غاية حماقة، فإن من قُتل من الأكابر والوزراء والسلاطين في عصره لو أراد أن يعلم حقيقة من الذي أمر بقتله، ومن الذي رضي به، ومن الذي كرهه لم يقدر على ذلك، وإن كان قتله في جواره وزمانه وهو يشاهده، فكيف لو كان في بلد بعيد وزمن بعيد قد انقضى . . .

وقد تطرق التعصب في الواقعة فكثرت فيها الأحاديث من الجوانب، فهذا أمر لا تعرف حقيقته أصلاً . . .».

انظر وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٨).

(٢) من عجائب التاريخ أن تتابعت كتب المؤرخين على ذكر قبائح وفظائع ارتكبت زمان يزيد بن معاوية، علماً أن ما ذُكر من ذلك مداره على أبي مخنف لوط بن يحيى الكذاب الهالك، قال ابن حجر: «أخباري تالف لا يوثق به» وعليه فإن ما يذكر من تفاصيل ومبالغات فيما جرى من أحداث فيه وقفة طويلة لا يمكن الوثوق أو القول به. والله أعلم. وهذا الكلام ينجر إلى ما سيأتي ذكره الصفحات القادمة من كلام المؤلف. فلينتبه لذلك.

ومنها قَتْل ابن الزُّبير ﷺ.

وهو أنَّه لَّما مات معاوية بن يزيد بايع أَهلُ الآفاق كلُّهم لابن الزُّبير، ولم يتخلَّف عن بيعته إلَّا بنو أُمية، ومن يهوى هواهم، ثمَّ جهَّز إليه عبدُ الملك الحجَّاجَ بن يوسف الثَّقفي، فحاصره في سنة اثنتين وسبعين إلى أن قُتل ابن الزُّبير في جُمادى الأُولى سنة ثلاثٍ وسبعين.

وكان مجموع مدَّته تسع سنين وشيئاً، ثمَّ اجتمع النَّاس على عبد الملك، ثمَّ ابنه الوليد، ثمَّ ابنه الآخر سُليمان، ثمَّ عمر بن عبد العزيز، ثمَّ ابنه الآخر يزيد، ثمَّ ابنه الآخر هشام، فهؤلاء كلُّهم أولاد عبد الملك بن مروان إلَّا (عمر) فإنَّه ابنُ أخيه.

ثمَّ بعد هشام تولَّى ابنُ أخيه الوليدُ بنُ يزيد، فقام عليه ابنُ عمِّه يزيدُ بنُ الوليد فقتله، وقام عليه مروان الحمار بن محمد بن مروان، ولما مات وَلِيَ أخوه إبراهيم فغلبه مروان، واختل أَمْرُهم حتَّى غلب على المُلك بنو العبَّاس وقتلوهم أشدَّ القِتْلة. فَلِلَّه الأمر مِن قَبْلُ ومِن بعدُ.

* * *

ومنها خراب المدينة بعد الحرَّة.

وفيه أخبارٌ عن جمع من الصَّحابة عند ابن أبي شيبة، وأحمد برجال الصَّحيح، وأقوال لأهل العلم، كالقاضي عياض والنووي وغيرهما[1].

---

(١) نقل تلك الأخبار والأقوال البرزنجي في الإشاعة ص (٥٢ ـ ٥٣). وكلام المؤلف يوهم أن الأخبار في خصوص ما حصل بالمدينة زمن يزيد، والأمر ليس كذلك بل الأخبار تذكر ما سيحصل في المدينة في مستقبل الأيام، وتنزيل ذلك على ما حصل في زمن يزيد فيه نظر، ومن هذه الأحاديث على سبيل المثال ما أخرجه أحمد أن النبي ﷺ صعد أُحداً فأقبل على المدينة فقال: «ويل أمها قرية يدعها أهلها كأينع ما تكون» قيل: يا رسول الله من يأكل ثمرها؟ قال: «عافية الطير والسِّباع، ولا يدخلها الدجال...» فالحديث ظاهر =

وبالجملة فقد وقع ذلك في زمن يزيد، وهو من جملة قبائحه الشنيعة، ولا بدَّ من وقوعها مرَّة أخرى في آخرِ الزَّمان، كما صرَّحت به الأدلَّة الثَّابتة.

* * *

ومنها هدم الكعبة، وتوليةُ الحجاج.

وهو من الفتن الواقعة في زمن بني مروان، فإنه قَتَل مئة وعشرين ألفاً وأربعة آلاف نفس صَبْراً غيرَ ما قتله في المحاربات، وأهان جماعةً من الصَّحابة، وختمهم في رقابهم إهانةً، منهم أنسٌ خادمُ النَّبيِّ ﷺ ودسَّ على ابن عمر رضي الله عنهما من ضربَه بحربةٍ مسمومةٍ فقتَلَه، إلى غير ذلك من القبائح.

ولا شكَّ أنَّه سيئةٌ من سيئات عبد الملك، فإنَّه كان أميراً له على العراق، وعلى الحجاز.

* * *

ومنها قَتْل زيد بن عليّ بن الحُسين وصلبه وحرقه بالنَّار، وقَتْلُ ولده يحيى في زمنهم، وشربهم للخمر وصلاتُهم بالنَّاس سُكارى؛ وتقديمهم الجواري في المحراب!! وغير ذلك من أنواع القبائح، وطريقُ السلامةِ والورع السكوتُ عنهم والاشتغالُ بعيوب نفسِه، ولقد أحسن من قال:

لعمرُك إنَّ في ذنْبي لشُغلاً ... بنفسي عن ذنوبِ بني أُميَّة
على ربي حسابهم تناهى ... إليه علم ذلك لا إليَّه
وليس بضائري ما قد أتَوْه ... إذا ما الله يغفرُ ما لديَّه

ومنها دولة بني العبَّاس، وما جرى في أيامهم من المِحَن والبأس.

= في أن ذلك سيكون أيام الدجال ولا يصح حمله على ما حصل أيام يزيد أو غيره فلا أدري ما الذي يجعله ينزل هذا الحديث على ما حصل زمن يزيد.

وفيها أخبار جمَّة عند أبي نعيم في (الحلية) والطبراني والسهروردي وغيرهم بسند جيد[١].

* * *

ومنها قتالُ أهل المدينة.

وقَتْل محمد النَّفْس الزَّكيَّة بن عبد الله المحض بن الحسن المثنَّى بن الحسَن السّبط.

وقَتْلُ أخيه إبراهيم.

وقَتْلُ جماعة كثيرة من العلويين.

وحَبْس الإمام جعفر الصَّادق في زمن المنصور.

وموتُ الإمام الكاظم في الحبس في زمن الرَّشيد.

وإدخالُ الفلسفة وعلوم كفَّار اليونان في الإسلام.

ونُصْرة الاعتزال في زمن المأمون.

وقَتْلُ كثيرٍ من العلماء وتكليفُهم القول بخلق القرآن.

وضربُ الإمام أحمد بن حنبل في زمنِه وزمنِ المُعْتصم والواثق، وغيرهم.

ولم تتَّفِقِ الكلمة في زمنهم، ولم تَصْفُ لهم الخلافة، وكان أولُ من رجع منهم عن الاعتزال ونصر السُّنَّة (المتوكل) وانتقل إلى مذهب الشافعي، وعيَّن من بيتِ المال اثني عشر ألفاً لنشر حديث رسول الله ﷺ.

ثمَّ لم يزالوا في التَّناقُص إلى أن بقي لهم في الخلافة مجرَّدُ الاسم، وغلب (آل سلجوق) على معظم (البلاد) فكان آخرُهم بالعراق (المستعصم) الذي قتله التتار، ثمَّ انتقلوا إلى مصر.

وكان زمانهم مشحوناً بالعلماء، في كلِّ فنٍّ من التفسير والحديث،

---

(١) نقل تلك الأخبار البرزنجي في الإشاعة ص (٥٥ ـ ٥٦).

والنحو، واللُّغة، والقراءة، والفقه، والكلام، والتاريخ، والأدب، وغير ذلك، حتى إن زمان الرشيد كان يسمى (عروس الدهر).

* * *

ومنها فتنة الفاطمية، واستيلاؤهم على المغرب ومصر نحواً من ثلاثمئة سنة، وإظهارُهم الرَّفْض، ونَصْرُهم مذهب الباطنية، وإلحادُهم في الدين، وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثمئة.

وكان نفيُهم على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب (الملك الناصر) في سنة أربع وستين وأربعمئة، فرحم الله روحه، وجزاه عن الإسلام خيراً.

وأخبار هؤلاء الأشقياء النَّتْنى مذكورة في (حسن المحاضرة) للسيوطي، وفي (السكردان) لابن أبي حَجَلة وغيرهما من كتب السير، وذكر طرفاً من ذلك في (الإشاعة)[١] وتولوا[٢] قريباً من مئتي سنة أيضاً، إلى سنة ثمان وأربعين وستمئة آخرهم (توران شاه)، [قتله أتباعه الأتراك].

وتولوا أولئك أيضاً[٣] إلى سنة ثمان وسبعين وسبعمئة، ثم استولى على الأمر اتباعهم[٤] الجراكسة إلى سنة اثنتين وعشرين وتسعمئة، ثمَّ غلبهم ملوك بني عُثمان إلى يومنا هذا.

منهم سلطان الوقت (محمد عبد الحميد خان) أعانه الله تعالى على كَفَرَة الرّوس الناصبين الحرب في هذا الحين لقبْضِ المُلك، وقَتْل النُّفوس. والأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتَّقين.

* * *

---

(١) الإشاعة ص (٥٧). وحسن المحاضرة (١/ ٥٩٩ وما بعدها).

(٢) أي تولى سلاطين الدولة الأيوبية.

(٣) أي تولى الأتراك الذين عرفوا بالمماليك البحرية.

(٤) أي أتباع المماليك البحرية (التركية) وهم المعروفون بالمماليك البرجية (الجراكسة).

ومنها فتنة القرامطة واستهانتهم بالدِّين واستحلالهم الحُرُم.

وقد بيَّن أحوالهم المقريزي في (الخطط والآثار) وذكر عقائدهم وفساد طويَّتهم بما لم يُسْبق إليه.

ومنها قتالُ التُّرك وفتنتُهم، وهم التَّتار، وقد أخبر به النَّبيُّ ﷺ في أحاديث صحيحة وحسنة، قد تقدَّم بعضٌ منها في المقدِّمة.

وفي أخبار هؤلاء الأقوام كُتُب مستقلة.

قال النووي: هذه الأحاديث كلُّها معجزةٌ لرسول الله ﷺ فقد عرف حال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها النَّبيُّ ﷺ وقاتلَهُم المسلمون مرات، انتهى[1].

وقال السخاوي في (القناعة) ومن المرَّات التي قاتل فيها المسلمون التُّرك في دولة بني أُمية، وكان ما بينهم وبين المسلمين مسدوداً إلى أن فُتح ذلك شيئاً بعد شيء وكثُرَ الشَّرُّ منهم، لما فيهم من الشدة والبأس، حتى كان أكثرُ عسكر (المُعتصم) منهم.

ثمَّ غلبت الأتراكُ على المُلك، فقتلوا ابنه (المتوكل) ثمَّ أولاده واحداً بعد واحد إلى أن خالط المملكة الدَّيْلم.

ثمَّ كان الملوك السَّاسانية من التُّرك أيضاً فملكوا بلاد العجم.

ثمَّ غلب على تلك الممالك (آل سُبُكْتُكين) ثم آل سَلْجوق، وامتدَّت مملكتهم إلى العراق والشام والروم، وكانت بقايا أتباعهم بالشام وهم (آل زنكي) وأتباع هؤلاء وهم بيت أيوب؛ واستكثر هؤلاء من التُّرك، فغلبوهم بالديار المصرية والشامية والحجازية.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٣٧ ـ ٣٨).

وخرج على آل سَلْجوق في المئة الخامسة الغُزُّ، فخربوا البلاد وفتكوا بالعباد.

ثمَّ جاءت الطَّامة الكُبرى بالتتار بعد الستمئة، فكان خروج (جنكيز خان) واستعرت الدنيا بهم ناراً، لا سيما الشَّرق بأَسْرِه حتى لم يبق بلدٌ منه حتى دخله شرّهم.

ثمَّ كان خراب بغداد، وقَتْلُ الخليفة (المستعصم) على أيديهم في سنة ست وخمسين وستمئة، وهو آخر الخلفاء العباسية ببغداد، الذي رثاه جَمْعٌ العلماء الأمجاد منهم الشيخ مصلح الدين السَّعدي الشِّيرازي، بالكلمة العربية والقصيدة الفارسية.

قال التاج السُّبكي: لم تكن منذ خلَق اللهُ الدنيا فتنةٌ أكبر من فتنة التتار.

وقال السخاوي: ثمَّ لم يزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان آخرهم، (تيمور) الأعرج، وطالت مدَّته إلى أن مات وتفرَّق بنوه في البلاد، انتهى[1].

وكانت ملوك الهند أيضاً من أولاده حتى انقرضوا في زماننا هذا. وفي أحواله كتاب لعرب شاه سماه (عجائب المقدور في أحوال تيمور)؛ وظهر بجميع ذلك مصداق أخباره ﷺ في كتُبُ السُّنة المطهَّرة، وذكره الجلال السيوطي في (تاريخ الخلفاء) وغيره، وذكر جملةً من أحواله الشَّنيعة.

* * *

ومنها نارُ الحجاز التي أضاءت أعناقَ الإبل ببصرى في سنة أربع وخمسين وستمئة الهجرية، كما أخبرَ به الصَّادق المصدوق والمبعوثُ إلى المخلوق ﷺ «لا تَقومُ السَّاعةُ حتى تَظْهَر نارٌ بالحجازِ تُضيءُ أعناقَ الإبلِ بِبُصْرى» وفي تلك

(١) نقل البرزنجي قول السخاوي. انظر الإشاعة ص (٥٩ ـ ٦٠).

روايات صحيحة عند البخاري والحاكم وأحمد والطبراني وأبي يعلى و(مسند الفردوس) كثيرةٌ لا نطول بذكرها[١]، وقِصَّتها محرَّرةٌ في (الإشاعة)[٢].

وفي (شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب) المؤلَّف في سنة (١٠٨٠ هجرية) للشيخ العالم أبي الفلاح عبد الحي بن محمد بن العماد المدني رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: وبقيت أياماً، قيل: ثلاثة أشهر، وكان نساءُ المدينة يغزلنَ على ضَوْئها، وظن أهلُ المدينة أنَّها القيامة، انتهى[٣].

وذكرها القسطلَّاني والمؤرخون بالتفصيل والإجمال، قال بعضهم:

سبحان من أصبحت مشيئَتُهُ ... جاريةً في الورى بمقدار
في سنةٍ أَغرقَ العراقَ وقد ... أَحْرَق أرضَ الحجازِ بالنَّارِ[٤]

وهذه النَّارُ غير النَّار التي تخرج في آخر الزَّمان، تحشُر النَّاس إلى محشَرهم، تبيتُ معهم وتَقيلُ.

* * *

ومنها ظهور الرَّافضة واستبدادُهم بالمُلك، وإظهار الطَّعن واختيار اللَّعن على السَّلف الصالح من الصَّحابة الكرام.

وهذا أعظم الفِتَن وأشدُّ المِحَن.

وموتُ السنن؛ وقد أخبر بذلك النبيُّ ﷺ كما في روايةٍ عند الدَّار قطني،

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن، باب خروج النار (٧١١٨)، والحاكم في المستدرك كتاب الفتن والملاحم (٤/ ٤٤٣)، والمعجم الكبير للطبراني، (٨٠٨) كلهم من حديث أبي هريرة. وأخرجه أحمد، مسند أبي ذر (٥/ ١٤٤)، وذكره الديلمي في الفردوس من حديث عمر (٧٥٥١)، ولم أجده في مسند أبي يعلى.

(٢) الإشاعة ص (٦٢ ـ ٦٤).

(٣) شذرات الذهب، أحداث (٦٥٤هـ) (٧/ ٤٥٤).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير أحداث (٦٥٤هـ) (١٣/ ٢٢٤).

والطَّبراني، وأبي نعيم في (الحلية) والخطيب البغدادي، وابن الجوزي وابن عاصم في (السنة) وابن شاهين، وابن بشران، والحاكم في (الكنى) والطرابلسي واللالكائي، وأحمد، وأبي يعلى، والطَّبراني وغيرهم بأسانيد صحيحة وحسنة[١].

* * *

ولَعْنُ آخر هذه الأُمَّة أوَّلَها من أشراط السَّاعة[٢]، وقد وقع وقوعاً لا يخفى على أحدٍ من النَّاس في العرب والعجم.

ومن فتنتهم أنَّهم قتلوا العُلماء بأكثر البلاد حتى استولوا على بغداد وشيراز وغيرهما.

وناهيك أنَّ في القرآن والسَّنة ما يقضي بكُفْرِهم، وفسقهم وضلالتهم.

قال تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال رسول الله ﷺ: «يكونُ في آخر الزَّمان قوم يُسمَّونَ الرافضة يرفضون الإسلام، فإذا رأيتموهُم فاقْتلوهم، فإنَّهم مشركون» رواه أحمد وأبو يعلى والطَّبراني عن ابن عباس[٣].

وللحديث ألفاظٌ وطرق صحَّت وثبتت، ذكر جملة منها في (الإشاعة)

---

(١) وهذه الرواية هي: (يكون في آخر الزمان قوم يُسَمَّوْنَ الرافضة...) وسيأتي ذكرها مع تخريجها. انظر الإشاعة ص (٦٥ ـ ٦٧).

(٢) عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء... ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً». أخرجه الترمذي في الفتن، باب علامة حلول المسخ والخسف (٢٢١٠) وقال: حديث غريب.

(٣) أخرجه الأمام أحمد في فضائل الصحابة (٦٥١)، وأبو يعلى في مسنده (٢٥٨٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٩٩٧).

وأبان عن حال فتن هذه الطَّائفة[١]، وهم يملكون بعض بلاد الإسلام إلى يومنا هذا كبلدة أصفهان وما يليها، وكانت طائفةٌ فاحشةً منهم ملكت بعضَ ديار الهند إلى أَنْ أبادهم الله تعالى ومزَّقهم، وجعلهم أحاديث، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣].

وكان (نصير الدِّين محمد بن حسن الطُّوسي) من رؤساء هذه الطَّائفة رأسا في علم الأوئل، ذا منزلة من (هلاكو) خان.

قال الحافظ الإمام شمسُ الدِّين محمد بن أبي بكر القيم في كتابه (إغاثةُ اللَّهفان من مكائِدِ الشَّيْطان) ما لفظه: «لما انتهت النَّوبة إلى نصير الشِّرك، والكُفر والإلحاد، وزير الملاحدة الطُّوسيَّ، وزير هلاكو شفى نفسَه من أتباع الرَّسول وأهل دينهم، فعرضَهُم على السَّيف حتى شفَى إخوانَه من الملاحدة واشتفى هو، فقتل الخليفةَ والقُضاةَ والفقهاء والمحدِّثين، واستبقى الفلاسفة والمنجِّمين والطبائعيين والسَّحَرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد والرُّبط إليهم، وجعلهم خاصَّته وأوليائه، ونصر في كُتبه قِدَم العالم، وبُطلان المعاد وإنكار صفات الرَّبِّ جلَّ جلاله: من علمهِ وقدرتهِ وحياتهِ وسمعه وبصره، واتَّخذ للملاحدة مدارس، ورامَ جعل (إشارات) إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن فلم يقدر على ذلك، فقال: هي قرآن الخواص، وذلك قرآن العوام، ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين فلم يتمَّ له الأمرُ، وتعلَّم السِّحر في آخر الأمر فكان ساحراً يعبُدُ الأصنام» انتهى بلفظه[٢].

---

(١) الإشاعة ص (٦٥ ـ ٧٠).

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٦٧).

قال في (شذرات الذهب) بعد هذا النقل. توفي في ذي الحجَّة ببغداد سنة (٦٧٢هـ) وقد نَيَّفَ على الثمانين، انتهى[١].

* * *

ومنها احتراقُ المسجد النَّبويّ ليلة الجمعة أوَّل ليلةٍ من رمضان بعد صلاة التراويح، على يد الفرَّاش (أبي بكر المراغي) بسقوط ذَبالَةٍ[٢] من يده، فأتت النار على جميع سقوفه ووقعت بعض السَّواري وذاب الرَّصاصُ، وذلك قبل أن ينامَ النَّاسُ، واحترقَ سقفُ الحجْرَةِ الشَّريفة ووقع بعضُه في الحُجْرَةِ، وقال بعض الناس في ذلك:

لم يحترِق حرمُ النَّبيِّ لريبَةٍ ... تُخشى عليه ولا دهاهُ العارُ
لكنَّه أيدي الرَّوافض لامَسَتْ ... ذاك الجنابَ فطهَّرتْه النَّارُ

ذكره في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)[٣] وقد ذكر فيه الحوادث الماضية على ترتيب السَّنوات إلى آخر سنة ألفٍ الهجرية بالإجمال فليعلم.

* * *

ومنها خروج دجّالين كذّابين، كلّهم يدَّعي أنَّه رسول الله كما أخبر به النَّبيُّ ﷺ في أحاديث صحيحة في السُّنن والصِّحاح وغيرها، منها ما تقدم في المقدمة.

ولأحمدَ وأبي يعلى، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «بيْنَ يَدَي السَّاعة ثلاثون دجّالاً كذَّاباً»[٤].

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد، أحداث (٦٧٢هـ) (٧/ ٥٩٢).
(٢) يقال للفتيلة التي لم يُصبح بها السراج ذُبالة وذبَّالة لسان العرب مادة (ذبل).
(٣) شذارات الذهب، حوادث سنة (٦٥٤هـ) (٧/ ٤٥٥).
(٤) مسند الإمام أحمد (٢/ ١١٧)، ومسند أبي يعلى (٥٧٠٦).

ونحوه عند أحمد عن علي، والطّبراني عن ابن مسعود، وفي الباب رواياتٌ سندها ضعيف[١].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وهو ـ إنْ ثبَت ـ محمولٌ على المبالغة، لا على التّحديد.

وأمّا التّحديد ففيه ما أخرجه أحمد عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسندٍ جيدٍ: «سيكونُ في أُمّتي كذّابون دجّالون سبعةٌ وعشرون، منهم أربَعُ نِسْوَةٍ، وإنّي خاتمُ النّبيّين لا نَبيَّ بعدي»[٢] قال: هذا يدلُّ على أنَّ رواية الثّلاثين بالجزم على طريق جبر الكسر، ويؤيّده حديث البُخاري: «قريبٌ من ثلاثين»[٣]، وما ذكره من الثّلاثين أو نحوها يدّعون النُّبوة، ومن زاد عليهم كما في رواية (أو أكثر)[٤] وفي رواية (سبعون)[٥] يكون كذّاباً فقط، لكن يَدْعون إلى الضّلال كغُلاة الرّافضة والباطنية والحُلوليّة، وسائر الفِرَقِ الدُّعاة إلى ما يُعلم بالضّرورة أنّه خلافُ ما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ويؤيّده حديثُ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد أنّه قال لعبد الله بن الكواء: «وإنّك لمنهم»[٦] وابن الكواء لم يدّع النُّبوة، وإنّما كان

---

(١) نقلها البرزنجي في الإشاعة ص (٧١).

(٢) مسند الإمام أحمد (٥/ ٣٩٦).

(٣) أخرجه البزار في الفتن، باب خروج النار (٧١٢١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) مسند أبي يعلى، مسند ابن عمر (٥٧٠٦).

(٥) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذاباً» ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٤٤) وقال: رواه الطبراني، وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني هو ضعيف.

(٦) قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعمر بن طلحة: والله إلي لأرجو أن أكون أنا وأبوك كمن قال الله ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]. فقال ابن الكواء: الله أعدل من ذلك، فقام إليه بدرته فضربه، فقال: أنت لا أم لك وأصحابك ينكرون هذا. فضائل الصحابة للإمام أحمد، فضائل طلحة بن عبيد الله (١٢٩٥).

يغلو في الرَّفْضِ، انتهى[١].

قال في (الإشاعة): وقد كان منهم الأسود العنسي بصنعاء، ومُسيلمة الكذاب صاحب اليمامة.

ثم ذكر من خَبرِهما ما ذَكَرهُ البقاعي في (اللامعة المنيرة).

قال: وخرج في زمن (أبي بكر) طُليحة بن خويلد الأسدي بناحية خيبر، وادَّعى النُّبوة، ثمَّ تاب كذا في (الفتح)[٢].

وقيل: خرج في عهد النَّبيِّ ﷺ.

وتنبَّأت سَجاحُ بنتُ سُويد في فرسان تَغْلب.

وخرج مُختار [الثقفي] في زمن ابن الزَّبير وعبد الملك بن مروان، وكان يدَّعي أنَّه يوحَى إليه، وفِتَنُهُ كثيرةٌ شهيرة.

وخرج المتنبي الشَّاعر، ثمَّ تاب.

وخرج جماعة في زمن بني العباس، منهم في أيام (المعتمد) قائد فتنة الزِّنْج (بهبود) الذي أفسد العراق، وأهان آل الرَّسول. كان يدَّعي أنَّه أُرسل إلى الخَلْقِ فردَّ الرِّسالة، وأنه مطَّلع على المغيبات.

وفي خلافة (المكتفي) خرج (يحيى القُرمطي).

ثمَّ بعده أخوه (الحُسين).

ثمَّ ابن عمه (عيسى بن مهرويه) وظهر على الشَّام وعاث وأفسد، ودعا عليه النَّاس على المنابر ثمَّ قُتل.

وخرج في خلافة المقتدر (أبو طاهر القُرمطي).

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٨٧).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٨٧). وينظر الإشاعة: (٧٢).

وفي خلافة الرَّاضي ظهر (محمد بن علي الشَّلْمَغاني) وقد شاع عنه أنَّه يدّعي الإلهية فصُلب وقُتل معه جماعة من أصحابه.

وظهر في خلافة (المطيع) قومٌ من التَّناسخيّة، فيهم شاب يزعُم أنَّ روح عليٍّ انتقلت إليه، وامرأتهُ تزعم أنَّ روح فاطمة انتقلتْ إليها.

وآخر يدَّعي أنَّه جبريل.

وفي خلافة (المستظهر بالله) في سنة تسع وتسعين وأربعمئة ظهر رجلٌ بنواحي نهاوند فادَّعى النُّبوة وتبعَه خلقٌ كثير، أُخذوا فقتلوا.

وخرج جماعةٌ آخرون بالمغرب وغيرها من الرِّجال والنِّساء.

فمنهم رجل يسمى بـ: (لا) وحرَّف الحديث المشهور «لا نبي بعدي»[1].

ومنهم (الغازاري) السَّاحر. وقُتل.

ومنهم امرأةٌ ادَّعت النُّبوة، فذكروا لها الحديث، فقالت: إنَّما قال: (لا نبي)، ولم يقل (لا نبية).

والحاصل أنَّ عدد سبعة وعشرين قد تمَّ أو كاد أن يتم.

وأما مطلق الكذَّابين فلا حصر لهم، ومن هذا القسم من يدَّعي أنَّه المهدي، وهؤلاء كثيرون، انتهى[2].

قلت: ومنهم السَّيد محمد الجُونْفُوري ادعى المهدوية في الهند في سنة خمس وتسعمئة، وقال: إنَّه يُوحى إليه، ومن وحيه الشَّيطاني قوله: علمت من الله بلا واسطة جديدة اليوم، قل إنّي عبد الله تابعُ محمد رسول الله، محمد

---

(١) متواتر وممن أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٤٥٥) ومسلم في الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة ﷺ وراجع نظم المتناثر في الحديث المتواتر للكتاني ص (١٣٢).

(٢) الإشاعة ص (٧٢ ـ ٧٦).

مهدي الزَّمان، وارث نبي الرَّحمن، عالم علم الكتاب والإيمان، مبيّن الحقيقة والشَّريعة والرّضوان. انتهى نقلاً عن (أمّ العقائد) من كُتب المهدويَّة.

ثمَّ إنَّه طاف بلاد الهند، وحجَّ ولم يزور النبي ﷺ وأُخرج من أكثر البلاد بحكم ملوكهم إلى أن مات ببلدة (فراه) في سنة عشرة وتسعمئة. وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وللشيخ أبي الرَّجاء محمد الهندي نزيل حيدر أباد ـ المتوفى في سنة ثلاث وتسعين ومئتين وألف ـ كتابٌ في ردِّه وردٍّ من تبعه باللِّسان الهندي سمَّاه (الهدية المهدوية) أوضح فيه جميع أحوالِهِ من يوم المهد إلى اللَّحدِ، وردَّ على الفِرْقَةِ المهدوية رداً مُشْبَعاً، وهو كتابٌ نافعٌ جداً.

ومنهم رجل أصلُه من بلدة (كشمير) ونشأ هو في بلدة (دهلي) وتوسَّل بالنَّصارى حكام الهند اليوم يُسمَّى بسيد أحمد خان، أوجد ملة جديدة سماها (نيجرية) يُنكر وجود الملائكة والشَّياطين، ويحرِّف معاني نصوص الكتاب والسُّنة وهو اليوم حي، وتبعه قوم ممن أُشربت قلوبهم حبّ الدنيا الذي هو رأس كلِّ خطية، وقد قيَّض الله ﷻ لردِّه ورد أقوال من تبعه جماعة من المسلمين والمتَّسمين بالعلم، يتعقَّبونه في كل نقير وقطمير، وكذلك أكثر أهل الجوائب الهندية، وبالله التوفيق، وهو المستعان.

وقال في (الإشاعة): ومنهم من ادَّعى أنَّه صحابي رأى النَّبيَّ ﷺ كالمُعمَّر المشهور بالرَّتن الهندي، ولا شكَّ أنَّ ما أخبر به الصَّادقُ لصادِقٌ، وإن الدِّينَ لواقعٌ، انتهى[1].

* * *

ومنها فتح بيت المقدس، وقد فُتِح مرَّتين؛ مرَّة في زمن عمر بن الخطاب

---

(١) الإشاعة ص (٧٦).

ﷺ ومرَّةً في زمن الأكراد الأيوبية فتحة السُّلطان (صلاح الدين) الملك المؤيَّد، وكان من أعظم فتوح الإسلام، ثمَّ بعد موته ردَّه بعض أولاده إلى النَّصارى، ثمَّ استردَّه حفيده داود (الملك الناصر)، وهو اليوم بيد سُلطان الروم، ولله الحمد.

* * *

ومنها فتح المدائن وهي كثيرةٌ جداً من عهد الصَّحابة، لا سيما من زمن عمر بن الخطاب ﷺ إلى آخر سلطنة الإسلام في بغداد، وقد بيَّن السيوطي في (تاريخ الخلفاء) أسماءَها على ترتيب الفتوح، لا نطول بذكرها.

ومنها هلاك العرب: أعني زوال ملكهم، وهو من أشراط السَّاعة.

عن طلحة بن مالك قال: «مِنِ اقتِرابِ السَّاعة هَلاكُ العَرَبِ» رواه الترمذي[1]، وقد زال ملك العرب بزوال الملك عن بني العبَّاس.

* * *

ومنها كثرة المال وفيضُه، وفيها حديث أبي هريرة ﷺ عند الشَّيخين[2]، وهذا قد وَقَعَ في زمن (عثمان) حين اقتسموا أموالَ الفُرس والرُّوم، ووقع في زمن (عمر بن عبد العزيز) وسيقع في آخر الزَّمان في زمن عيسى عليه السلام.

* * *

ومنها أن تزول الجبالُ عن أماكنها، وكما رواه الطَّبراني عن سمرة

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب فضل العرب (٣٩٢٩).

(٢) «لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض» أخرجه البخاري في الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات (١٠٣٦)، مسلم في الزكاة باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها (١٥٧).

يرفعه[١]، وكما سار جبل باليمن عليه مزارع لأهله، حتَّى أتى مزارعُ آخرين في خلافة (المتوكِّل) في سنة (٢٤٢هـ).

وساخ جبلٌ بدينَورَ في الأرض، وخرج من تحته ماءٌ كثيرٌ أغرقَ القرى في خلافة المقتدر في سنة (٣٠٠هـ).

* * *

ومنها وقوع ثلاث خسوفات: (خسفٌ بالمشرِق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ في جزيرة العرب) رواه الستة إلَّا البخاري[٢].

وهذه الخسوفات وقعت في خلافة (سليمان بن عبد الملك) وخلافة (المطيع) وغيرِهما ببُخارى وبالرَّي ونواحيها، وببلدة طالقان وبقرية من أعمال بصرى وأذربيجان وغيرهما من ديار العجم، ولا تكاد تنحصر الخسوفات، وخُسف في زماننا هذا بعدّة قرى كثيرة.

* * *

ومنها كثرةُ الزَّلازل وكثرةُ القتل والرَّجف، وهي من أشراط الساعة، وفي ذلك أحاديث عند أهل السُّنن والصَّحيح.

وضبط في (الإشاعة) تلك الزلازل وقال: وأما الصِّغار منها فلا تكاد تنحصر[٣].

* * *

(١) «لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها» المعجم الكبير للطبراني، مسند سمرة بن جندب (٦٨٥٧).

(٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (٢٩٠١)، وأبو داود في الملاحم، باب أمارات الساعة (٤٣١١). والترمذي في الفتن، باب ما جاء في الخسف (٢١٨٣)، والنسائي في السنن الكبرى، في التفسير، سورة النمل (١١٣٨٠)، وابن ماجه في الفتن، باب أشراط الساعة (٤٠٤١) من حديث حذيفة بن أسيد ﷺ.

(٣) الإشاعة ص (٧٩ ـ ٨١).

ومنها المسخُ والقذفُ، وفيهما أحاديث عند مسلم وأحمد والحاكم والطبراني والترمذي والبغوي وغيرهم، ذكرها في (الإشاعة) وضبطها[١].

* * *

ومنها الرّيحُ الحمراء الشديدة، والأمورُ العظام، كالقحط والنار وغلبة الإفرنج والزّنج، والغلاء والوباء، والصيحةُ العظيمةُ من السماء، ونحوها، وذكَرَ ذلك في (الإشاعة) وذكر سِنيَّ وقوعها[٢].

ومنها انقطاعُ طريق الحجِّ، ورفعُ الحجر الأسود من الكعبة، وفي ذلك حديث أبي سعيد ﷺ يرفعه عند الحاكم وصحّحه، والبزّار وأبي يعلى وابن حبان، وعن ابن عمر عند السِّجزي أورده في (الإشاعة)[٣] وذكر سنين فيها انقطع الحجُّ.

وكان رفعُ الحَجَر في خلافة (المقتدر) زمن القرامطة.

وأمَّا هدم البيت كلِّه، وانقطاع الحجّ بالكلية فإنَّما يكون في آخر الزَّمان، وكذا رَفْعُ القرآن والعياذ بالله.

ومنها رضخُ رؤوس أقوامٍ بكواكب من السَّماء باستحلالهم عمل قوم لوط، ووقع في سنة (٥٩٣هـ) وسنة (٢٤١هـ) وسنة (٣٢٣هـ).

---

(١) الإشاعة ص (٨١ ـ ٨٤).

(٢) الإشاعة ص (٨٤ ـ ٨٩).

(٣) «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت» أخرجه الحاكم في مستدركه في الفتن والملاحم (٤/ ٤٥٣) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب التاريخ، باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث (٦٧٥٠)، وأبو يعلى في مسنده (٩٩١)، ولم أجده في مسند البزار.
أما حديث ابن عمر ﷺ عند السجزي كما في كنز العمال (٣٨٤٨٩) ولكن عن عمر بن الخطاب ﷺ بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والقرآن». وانظر الإشاعة ص (٨٩).

ومنها ظهورُ كوكبٍ له ذنب، وقد ظهر مراراً كما ضبطناه في (حجج الكرامة).

* * *

ومنها كثرةُ الموت، وفي الحديث «ثُمَّ مَوَتانٌ كقُعاصِ الغَنم» رواه البخاري وابن ماجة والحاكم[١]، وهذا وقَع في زمن عمر ﷺ في طاعون عَمْواس وغيرِه.

والطَّواعين، والوباءات الواقعة في أقطار الأرض كثيرةٌ لا تكاد تنحصر.

ووقع في سنة (٤٢٣ هـ) طاعونٌ عظيمٌ ببلاد الهند، والعجم ويقعُ إلى الآن بعد أعوام في قطر من أقطارها، على ضعفٍ في بعضٍ، وقوّةٍ في بعضٍ، ووقع في هذا العام الحاضر في قطر من الدَّكنِ، وضبطَ في (الإشاعة) الطَّواعين كلَّها بسنوات[٢].

ومنها استباحةُ مكَّة المكرمة، وهذه وقعت في زمن يزيد وزمن أبي طاهر القِرْمِطي، وبعد ذلك مرات، وسيقعُ قبل خروج المهدي؛ وآخرُ من يستبيحها ذو السُّويقَتَيْن من الحَبَشة[٣]، كما ورد في الأحاديث.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري في الجزية، باب ما يحذر من الغدر (٣١٧٦)، وابن ماجه في الفتن، باب أشراط الساعة (٤٠٤٢)، والحاكم في المستدرك، في معرفة الصحابة، مناقب عوف بن مالك (٣/ ٥٤٦) من حديث عوف بن مالك ﷺ.

(٢) الإشاعة ص (٩٣ ـ ١٠٣).

(٣) قال عليه الصلاة والسلام: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة» أخرجه البخاري في الحج، باب هدم الكعبة (١٥٩٦)، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه (٢٩٠٩)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

إلى غير ذلك مما أخبر به النَّبي ﷺ أنَّه من أمارات السَّاعة فظهر ومضى وانقضى.

والمقصود التَّنبيه على وقوع ذلك لا التَّحذيرُ منها، فإنَّها فاتَتْ، وإنَّما الحَذَر مما يأتي من أمثالها.

واللهَ نسألُ أن يُميتَنا على الإيمان، غير مَفْتونين ولا مُبَدِّلين، وكلُّ واحدةٍ من هذه الفتن تحتمل مجلداً بل مجلدات، وتفصيلُها يُورث قسوةَ القلب والضَّغائن، وما لا ينبغي.

والمهم ذِكْرُ ما يُلِيِّنُ الفؤادَ، ويُحْزِنه، ويزجُره عن الغَفْلَة، وبالله التوفيق.

❀ ❀ ❀

باب الفتن المتوسطة التي ظهرت ولم تنقص بل تتزايد إلى أن تتكامل وتتصل بالقسم الثالث وهي أمور تكون بين يدي الساعة

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تَقُومُ السَّاعة حتى تَقْتَتِل فئتانِ عظيمَتانِ يكونُ بينهما مقتلة عظيمة دَعواهُما واحدة، وحتَّى يُبعث دجّالون كذّابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنَّه رسول الله، وحتَّى يُقبَضَ العِلم، وتكثُر الزلازِلُ ويتقاربَ الزَّمانُ، وتظهر الفتن ويكثُرَ الهَرجُ ـ وهو القتل ـ وحتَّى يكثُر فيكم المالُ فيفيضَ، وحتَّى يهمَّ ربُّ المال من يَقْبَلُ صدَقَتَه، وحتَّى يعْرضَه فيقولُ الذي يعْرضُه عليه: لا أَرَبَ[1] لي فيه، وحتَّى يتطاول النَّاس في البُنيان، وحتَّى يمرَّ الرَّجل بقبر الرَّجل، فيقول: ياليْتَني مكانَهُ، وحتَّى تطلعَ الشَّمسُ من مغربها، فإذا طلَعَتْ ورَآها النَّاس أجمعون، فـذلـك حـيـن ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]. ولَتَقُومَنَّ السَّاعةُ وقد نشَر الرَّجُلان ثوبَهُما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومَنَّ السَّاعة وقد انصرف الرَّجل بلَبَنِ لِقْحَته فلا يطْعَمْه، ولتقومنَّ السَّاعة وهو يليطُ حوضَه فلا يَسقي فيه، ولتقومنَّ السَّاعةُ وقد رَفع أُكْلَته إلى فيه فلا يَطْعَمُها» أخرجه البخاري[2].

---

(١) الأرب: الحاجة والشهوة.

(٢) أخرجه البخاري في الفتن، باب خروج النار (٧١٢١).

قال أهل العلم على مافي (التَّذكرة) للقُرطبي: هذه ثلاث عشرة علامة جمعها أبو هريرة ﷺ في حديثٍ واحدٍ، ولم يبْقَ بعد هذا ما يُنظر من صحيح العلامات والأشراط، وفي عموم إنذار النَّبيِّ ﷺ بفساد الزَّمان، وتغيُّرِ الدِّين وذهابِ الأمانة ما يُغني عن ذكر التَّفاصيل الباطلة، والأحاديث الكاذبة في أشراط السَّاعة، من ذلك حديث رووه عن أنس ﷺ مرفوعاً: «أنَّ في سنة المئتين يكون كذا وكذا، وفي العشر والمئتين كذا وكذا...» الحديث بطوله[1]، فهل كان هكذا وقد مضت هذه المدَّة؟ وهذا شيءٌ يعمُّ، وسائِرُ الأُمور التي ذُكرت قد تكونُ في بلدة وتخلو منها أُخرى.

وأيضاً دلالة أُخرى على أنَّه مُفْتَعلٌ أنَّ التاريخ لم يكن على عهد رسول الله ﷺ وإنَّما وضعوه على عهد (عمر)، فكيف يجوز هذا على عهد رسول الله ﷺ أن يُقال: في سنة كذا يكون كذا؟ والذي ينبغي أن يقال به في هذا الباب: إنَّ ما أَخبرَ به النَّبيُّ ﷺ من الفِتَن والكوائن أنَّ ذلك يكون، وتعيين الزَّمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العُذْر.

وإنَّما ذلك كوقت قيام السَّاعة فلا يعلم أحدٌ أيّ سنة هي، ولا أيُّ شهر.

أما أنَّها تكون في يوم الجمعة في آخر ساعةٍ منه، وهي الساعة التي خلق الله تعالى فيها آدم عليه السلام، ولكن أيّ جمعة؟! لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلَّا اللهُ وَحْدَه لا شريك له، وكذا ما يكون من أشراط تعيّين الزَّمان لها لا يُعلم، والله أعلم.

وأمَّا الثلاث عشرة خصلة فقد ظهر أكثَرُها، من ذلك قوله: «حتى تقتتل فئتان»[2] يُريد فتنة معاوية وعليّ ﷺ بصفّين، وقد تقدَّم الإشارة إليهما.

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات، في الملاحم والفتن، باب ما يكون بعد المئتين (٣/ ١٩٨) بلفظ: (الآيات بعد المئتين).

(٢) تقدم تخريجه في أول هذا الكتاب.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: وهذا أوَّل خطبٍ طرق في الإسلام[١].

قال القرطبي: بل أول أمر دَهَم الإسلام موتُ النَّبيِّ ﷺ ثمَّ بعده موت عمر رضي الله عنه، وكان أوَّلُ ظهور الشَّر بارتداد العرب، وغير ذلك.

والدَّجال يطلق في اللغة على أوجهٍ كثيرة، أحدها: الكذَّاب.

قال مالك بن أنس في محمد بن إسحاق: إنَّما هو دجَّال من الدَّجاجلة نحنُ أخرجناه من المدينة[٢].

وقوله: «قريباً من ثلاثين» قد جاء عددُهم معيَّناً من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكونُ في أُمَّتي دجَّالون كذَّابون سبعةٌ وعشرون منهم أربعُ نُسوةٍ، وأنا خاتم النَّبيين، لا نبي بعدي» خرَّجه الحافظ أبو نعيم، وقال: هذا حديث غريب، تفرّد به معاذ بن هشام، وحدَّث به الإمام أحمد عن علي[٣].

قال القاضي عياض: هذا الحديث قد ظهر، فلو عُدَّ من تنبأ من زمن النَّبيِّ ﷺ إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعةٌ على ضلالته لوُجِد هذا العددُ فيهم.

---

(١) التذكرة القرطبي ص (١٢٢٠) وما بعدها.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٦/ ١٠٣). قال الخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ٢١) وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غيرُ واحد من العلماء لأسباب، منها: أنه كان يتشيع وينسب إلى القدر، ويدلس في حديثه، فأما الصدق فليس بمدفوع عنه، وقال ابن حجر في التقريب (ت ٥٧٢٥): إمام المغازي، صدوق يدلس، ورمي بالتشيع والقدر.

(٣) علي هو ابن المديني، وقوله ﷺ: «سبعة وعشرون» ليست في رواية أبي نعيم، انظر حلية الأولياء، ترجمة همام بن الحارث النخعي (٤/ ١٧٩).
والحديث باللفظ المذكور أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، مسند حذيفة (٣٠٢٦).
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦٤٢): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح.

ومن طالع كُتبَ الأخبار والتَّواريخ عرف صحَّة هذا[١].

وقوله: «حتَّى يُقبض العلم» فقد قُبض العملُ به، ولم يبق إلَّا رسمُه.

وأما كثرة الزَّلازل فقد ذكر ابن الجوزي أنَّه وقع منها بعراق العجم كثيرٌ[٢]، وقد شاهدنا بعضها بالأندلس.

وقوله «يتقارب الزَّمان» معناه: تتقارب أحوال أهله في قلَّة الدِّين حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروفٍ، ولا من يَنهى عن مُنكرٍ، كما هو اليوم لغلبة الفسق، وظهور أهله.

وأمَّا كثرةُ المالِ فهذا مما لم يقَعْ.

وأمَّا التَّطاولُ في البنيان، فهذا مشاهدٌ في الوجود يُغني عن الكلام فيه.

وأمَّا قوله «ياليتَني مكانه» فذلك لما يَرى من عظيم البلاء، وربح الأعداء، وغَبْنِ الأولياء، ورياسة الجُهلاء، وخمول العلماء، واستيلاء الباطل في الأحكام، وعموم الظلم والجهر بالمعاصي والظُّلم واستيلاء الحرام على أموال الخلق، والتَّحكُّم في الأبدان والأموال والأعراض بغير حقٍّ كما في هذه الأزمان، وهذا هو ذلك الزمان الذي قد استولى فيه الباطلُ على الحقِّ، وتغلَّب فيه العبيد على الأحرار من الخَلق فباعوا الأحكام، ورضيَ بذلك منهم الحُكَّام، وصار الحُكم مُكساً، والحقَّ عكساً، لا يُوصَل إليه، ولا يُقْدر عليه، بدَّلوا دين الله وغيروا حُكمه ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢] ـ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ـ و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] ـ و﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

---

(١) إكمال المعالم بفوائد مسلم القاضي عياض (٨/ ٤٦٣).

(٢) ذكر ابن الجوزي في المنتظم وقوع الكثير من الزلازل في العراق والأهواز وتلك البلاد. انظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أحداث سنة (٣٤٧هـ) (٦/ ٣٨٧)، وسنة (٤٤٤هـ) (٨/ ١٥٤).

والآيةُ عامةٌ فيمن بدَّل حكم الله وغيَّره، ولقد أحسن ابن المبارك حيث يقول في أبيات شعر:

وهل أفسد الدِّينَ إلا الملوكُ وأحبارُ سوءٍ ورُهبانُها

وعن أنسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيَكُونُ في آخِرِ الزَّمانِ عبَّادٌ جُهَّالٌ وقُرَّاءٌ فَسَقَة» أخرجه أبو نُعيم، وهذا حديث غريب، وفيه نكارة[1].

قال القرطبي: وهو صحيحٌ معنىً، لما ظهر في الوجود من ذلك.

قال مكحول: يأتي على النَّاس زمانٌ يكون عالِمُهُم أنتنَ من جيفة حمار[2].

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: «سيَبْلى القرآن في صدور أقوام كما يَبْلى الثوبُ فيتهافتُ، يقرؤونَه لا يجدون له شهوةً ولا لذَّةً، يلبَسون جلود الضَّأن على قلوب الذِّئاب، أعمالُهم طَمَعٌ لا يخالطه خوفٌ، إن قصَّروا قالوا: سنبلغ، وإن أساؤوا قالوا: سيُغفر لنا، وإنَّا لا نُشرِك بالله شيئاً» أخرجه أبو محمد الدَّارمي[3].

وعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى تقتُلُوا إمامكُم وتجتلِدوا بأسيافكُم، ويرثَ دُنياكم أشرارُكُم» أخرجه الترمذي وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وخرَّجه ابن ماجه أيضاً[4]، وكلُّ ذلك وُجِد في الخارج.

---

(١) حلية الأولياء، ترجمة ثابت البناني (٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٢)، وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: أخرجه الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف، وانظر التذكرة للقرطبي ص (١٢٢٤) رما بعدها.

(٢) حلية الأولياء، ترجمة مكحول الدمشقي (٥/ ١٨١).

(٣) أخرجه الدارمي في فضائل القرآن، باب في تعاهد القرآن (٣٣٤٦).

(٤) أخرجه الترمذي في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢١٧٠)، وأخرجه ابن ماجه في الفتن باب أشراط الساعة (٤٠٤٣).

وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ بين يديِّ السَّاعةِ التَّسليمَ على الخاصَّة، وفشُوَّ التِّجارةِ حتَّى تُعين المرأةُ زوجَها على التِّجارة، وقطْعَ الأرحام، وفُشُوَّ القلم ـ أي ظهور الكتاب ـ وشهادةَ الزُّور، وكتمانَ شهادةِ الحقِّ» أخرجه أبو عمرو بن عبد البر[١].

وعن معاوية ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ من أشراطِ السَّاعة أن يقلَّ العِلمُ ويكثُر الجهل، ويظهر الزِّنى وتكثرَ النِّساء، ويقلَّ الرِّجالُ حتّى يكون لخمسين امرأةً القيِّمُ الواحدُ» أخرجه البخاري، وخرَّجه مسلم عن أنس ﷺ[٢].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ليأتينَّ على النَّاس زمانٌ يطوف الرَّجل بالصَّدقة من الذَّهب، ثمَّ لا يجدُ أحداً يأْخُذُها منه، ويُرى الرَّجل الواحد يتبعُه أربعون امرأةً يلذنَ به من قلَّة الرِّجال وكثرة النِّساء» أخرجه مسلم[٣].

قال القرطبي: يريد ـ والله أعلم ـ أنَّ الرِّجال يُقْتلون في الملاحم، وتبقى نساؤهم أرامل، فيُقْبِلون على الرَّجل الواحد في قضاء حوائجهنَّ ومصالح أمورهنَّ، كما في الحديث قبله: «حتى يكون لخمسين امرأةً القيِّمُ الواحدُ» الذي يسوسهنّ، ويقوم عليهنَّ من بيعٍ وشراء، وأخذٍ وعطاءٍ، وقد كان هذا عندنا، أو قريبٌ منه بالأندلس.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد، باب الفتن، عبد الله بن أبي بكر بن حزم (٧/ ٢٩٧)، والحاكم في المستدرك، في الأحكام، (٤/ ٩٨)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري في العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل (٨١)، ومسلم في العلم، باب رفع العلم وقبضه، (٢٦٧١)، كلاهما عن أنس ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم في الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها (١٠١٢).

وقيل: لقلّة الرِّجال، وغلبة الشَّهوة على النِّساء تتَّبعُ الرَّجلَ الواحد أربعون امرأةً، كلُّ واحدةٍ تقول: انكحني انكحني، والأوَّل أشبه.

ويكون معنى «يَلُذْن» يسترن، من الملاذ الذي هو السّتر لا من اللَّذة.

وقد أخبرنا صاحبُنا أبو القاسم رحمه الله أنَّه ربط نحواً من خمسين امرأةً واحدةً بعد أُخرى في حبل واحدٍ مخافة سبي العدوِّ لمَّا خرجوا من قرطبة.

وأمَّا ظهور الزِّنى فذلك مشهورٌ في كثير من البلاد المصرية، انتهى[1].

قلت: وهذه الشَّنيعة أكثر ما تكون في بيوت الملوك والرُّؤساء حتَّى إنَّ في أكثر بيوتهم أنَّهم يرون النِّكاح مُنكراً، والسِّفاح معروفاً، زعماً منهم أنَّ في ذلك كسرَ شوكةِ الإمارة، ونقصَ شأن الرِّياسة، فتدخل النِّساءُ عليهم بغير عقدٍ شرعي، وتلدن منهم لهم حتَّى إنَّ بعضهم يقع على أزواج الآباء والأبناء، ولا يبالي به ولا يخاف الله تعالى ولا بطشه في الدنيا والآخرة، فغالب أولادهم ولدُ السِّفاح.

وهذا من أعظم ما أُصيب به الإسلام منذ أزمانٍ في أكثر أقطار الأرض كلِّها العرب منهم والعجم. ولذلك ترى أنه لا يستقيم صحَّة النَّسب لأكثر هؤلاء، وإنَّما النِّكاح في غرباء الإسلام وأداني المسلمين والله يختص برحمته من يشاء.

قال القرطبي: «وأما قلَّة العلم وكثرةُ الجهل» فذلك شائع في جميع البلاد وذائع، وأعني برفعه وقلّته تركَ العمل به، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس حفظُ القرآنِ بحفظ الحروفِ، ولكنْ إقامة حدوده[2].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ الله

---

(١) التذكرة للقرطبي ص (١٢٣٠) وما بعدها.

(٢) أخرج ابن المبارك في الزهد نحوه عن الحسن، باب ما جاء في ذم التنعم في الدنيا (٧٩٣).

لا ينزعُ العلم بعد أنَّ أعطاكمُوه انتزاعاً، ولكن ينزَعُهُ منهم مع قبض العلماء، فيبقى ناسٌ جهّالٌ يُستفتون برأيهم فيُضِلُّون ويَضِلّون» أخرجه البخاري ومسلم[١]. وفي رواية: «حتَّى إذ لم يَبْقَ عالمٌ أخذ النَّاسُ رؤساء جُهالاً فسُئِلوا فأفتُوا بغير علمٍ فضَلّوا وأَضَلّوا»[٢].

وعن سلامة بنت الحر رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ من أشراطِ السَّاعة أنَّ يتدافع أهلُ المسجد إماماً، فلا يجدون إماماً يُصلِّي بهم» أخرجه أبو داود[٣].

قال القرطبي: في (التذكرة) قال علماؤنا رحمهم الله: ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ في هذا الباب وغيره مما تقدَّم ويأتي، قد ظهر أكثرُهُ، وشاع في الناس معظمُهُ، فوسِّد الأمرُ إلى غير أهلِهِ، وصار رؤوس النَّاس أسافِلَهُم، عبيدَهُم وجُهَّالَهم، فيملكون البلادَ، والحكم في العباد، فيجمعون الأموال، ويطيلون البُنيان، كما هو مشاهد في هذه الأزمان، لا يسمعون موعظةً، ولا ينزجرون عن معصية.

قال قتادة: فهم صمٌّ عن استماع الحقِّ، بُكمٌ عن التَّكلم به، عُميٌ عن الإبصار له[٤].

وهذه صفة أهل البادية والجهالة.

وأما «أنْ تَلِدَ الأمةُ ربّتها»، فقال وكيعٌ: هو أن تَلِد العَجَمُ العربَ[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس (٧٣٠٧)، ومسلم في العلم، باب رفع العلم وقبضه (٢٦٧٣).

(٢) وهي إحدى روايات مسلم بنفس التخريج السابق.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب في كراهية التدافع عن الإمامة (٥٨١). وانظر التذكرة للقرطبي ص (١٢٤١ ـ ١٢٤٢).

(٤) وذكره أيضاً القرطبي في تفسيره الآية (١٨) من سورة البقرة (١/ ٢١٥).

(٥) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب في الإيمان (٦٣).

قال علماؤنا: وذلك بأن يستولي المسلمون على بلاد الكُفر فيكثُرُ التَّسرِّي، فيكون ولد الأمة من سَيِّدها بمنزلة سيِّدها، لشرَفه ومنزلته بأبيه.

وعلى هذا فالذي يكون من أشراط السَّاعة استيلاءُ المسلمين، واتساعُ خُططهم، وكثرةُ الفتوح، وهذا قد كان.

وقيل: إنَّما كان سيِّدها وربُّها، لأنَّه كان سببَ عِتقها، كما قال ﷺ في مارية: «أَعْتَقَها وَلَدُها»[1].

وسمعتُ شيخنا أحمد بن محمد، المعروف بابن حِجَّة يقول غير مرَّة: هو الإخبار عن استيلاء الكفَّار على بلاد المُسلمين، كما في هذه الأزمانَ التي استولى فيها العدو على بلاد الأندلس وخُراسان وغيرها من البلاد، فتُسبى المرأةُ وهي حُبلى، أو ولدها صغير، فيفرَّق بينهما فيكبر الولدُ، فربما يجتمعان ويزوَّجان كما قد وقع من ذلك كثير، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ويدلُّ على هذا قوله: «إِذَا وَلَدَتْ المَرأَةُ بَعْلَها»[2]، وهذا هو المطابق للأشراط مع قوله ﷺ: «لا تقومُ السَّاعَةُ حتَّى تَكونَ الرُّوم أَكْثَر أهلِ الأرضِ» انتهى[3].

ولعلّ المراد بالرُّوم النَّصارى، والله أعلم.

وعن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا فَعَلَتْ أُمَّتي خَمْسَ عَشَر خَصْلَةً حَلَّ بها البَلاءُ» قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «إذا كانَ

---

(١) أخرجه الدار قطني في المكاتب (٤٢٣٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٤/ ٥٢٠) في إسناده حسين بن عبد الله وهو ضعيف جداً.

(٢) لم أجد رواية للحديث بهذا اللفظ.

(٣) «تقوم الساعة والروم أكثر الناس» أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس (٢٨٩٨)، من حديث المستورد القرشي.
وانظر التذكرة للقرطبي ص (١٢٤٦) وما بعدها.

المَغْنَمُ دُولاً[١]، والأَمانَةُ مَغْنَماً، والزَّكاةُ مَغْرماً[٢]، وأطاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ، وَعَقَّ أُمَّهُ، وبَرَّ صَديقَهُ، وجفا أَباهُ، وارتَفَعَتِ الأَصْواتُ في المساجِدِ، وَكَانَ زَعيمُ القَوْمِ أَرْذَلَهم، وأُكْرِمَ الرَّجُلُ مخَافَةَ شَرِّهِ، وشُرِبَتِ الخُمورُ، ولُبِسَ الحريرُ، واتُّخِذَتِ القَيْناتُ[٣] والمعازفُ، ولَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الأُمَّة أَوَّلَها، فَلْيَرْتَقبوا عِنْد ذلِكَ ريحاً حَمْراءَ، أوْ خَسْفاً أو مَسْخاً» أخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب[٤].

وخرجه أيضاً من حديث أبي هريرة ﷺ، وزاد: «وقذفاً وآياتٍ تتابع كنظامٍ قُطِعَ سِلْكُه» وقال: غريبٌ لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه[٥].

وذكر في (الإشاعة) أنَّ منها ـ أي من أشراط السَّاعة ـ.

كثرة الفُحش والتَّفحُّش، وتخوين الأمين، وائتمانُ الخائن، وانتفاخُ الأهلَّة، وكثرة القَطْر، وقِلَّة النَّبات، وكثرة القرّاء، وقِلَّة الفقهاء، وكثرة الأُمراء، وقِلَّة الأُمناء، وكون الزُّهدِ رواية، والورعِ تصنّعاً، والولدِ غيظاً، والمطرِ قيظاً، وإفاضةُ الأشرار فَيْضاً، وتصديقُ الكاذب، وتكذيبُ الصَّادق، وتقريب الأباعد، وتبعيد الأَقارب، وزخرفةُ المحارب، وخراب القلوب، واكتفاء الرِّجال بالرِّجال، والنِّساء بالنِّساء، ـ وهذا كناية عن اللِّواط. والسِّحاق ـ وتعمير خراب الدنيا، وتخريب عمرانها، كما نُقلت مصرُ إلى القاهرة وكوفةُ إلى نجف[٦].

---

(١) دولاً: متداولاً بين قوم دون آخرين.

(٢) مغرماً: الدين الذي يعجز عن أدائه.

(٣) القينات: المغنيات.

(٤) أخرجه الترمذي في الفتن، باب علامة حلول المسخ والخسف (٢٢١٠).

(٥) أخرجه الترمذي في الفتن، باب علامة المسخ والخسف (٢٢١١)
النظام: العقد من الجوهر والخرز ونحوهما.

(٦) الإشاعة ص (١١٢ ـ ١١٣). وقد ورد ذكر هذه الأشراط في عدد من الأحاديث لا تخلو =

قلت: و(أكرة) إلى دهِلي، وسورة إلى (بمبي) إلى غير ذلك مما ذكره أهلُ التاريخ.

وهذا النَّقل كثيرٌ جداً، وقع مراراً، ويقع في كلِّ قطرٍ من الأرض، في كلِّ زمنٍ، وفي كلِّ حكومةٍ جديدةٍ وسلطنةٍ حادثةٍ، لا تكاد تنحصر وتُحصى.

قال: وظهورُ المعازف، وشربُ الخمور، وكثرة الشُّرَط ـ أي أعوان السَّلطان ـ وكثرة الهُمَزَةِ اللُّمَزَة الغمَّازين، وتسمية الخمر بالنَّبيذ، والرِّبا بالبيع، والسُّحت بالهدية، والتَّعلم لغير دين الله، وإمارةُ الصّبيان، وجَوْرُ السُّلطان، وتطفيفُ المكيال والميزان، وإتيانُ الشَّياطين في صورة الرِّجال، وتحديثُهم النَّاس بالأحاديث الكاذبة، وتربية الرَّجل جرواً، وتركه ولداً، وترك توقير الكبير، والرَّحم على الصَّغير، والفاحشةُ في الكبار، والمُلك في الصغار، والعلم في الأراذل، والجهل في أولاد الأفاضل، والمداهنةُ في الخيار، والتماس العلم عند الصِّغار، وقتلُ الرجل أباه وأخاه، ورفع الوضيع، وخفض الرفيع، وكثرةُ الخطباء، وركونُ العلماء إلى الولاة، والفتوى بما يشتهون، وتعلُّم العلم لجمع الدَّراهم والدَّنانير، واتِّخاذ القرآن تجارةً، وقراءتُه بالأُجرة، والتَّلاعنُ عند الملاقاة ـ وهذا كثيرٌ في الفلَّاحين والجمَّالين والسَّفلة والسَّوقة والباعة، وأهل العساكر، وأصحاب المواكب، فيبدأُ أحدهم بشتم صاحبه عند اللِّقاء مكان السَّلام، ويمضي كلٌّ منهم ولا يعرف تحيَّة الإسلام ـ وأخذُ المال والعَرَض بغير حقٍّ، وسفكُ الدِّماء، ونقص الأعمار والأبناء والثِّمار، وقِصَرُ الأيام والليالي، وكثرة الهَرج والمرج، وبناء القصور العالية، وظهورُ البغي والرّشا والحمَّيةِ الجاهلية والشُّحِّ، والعصبيَّة واختلافُ الأهواء، وتباين الآراء، وإحداثُ البدع والشُّرور، وترك الصَّواب من الأُمور، واتِّباع الهوى، والقضاء بالظَّنِّ، وأكل

= من ضعف، ومن أجمعها ما رواه أبو نعيم عن حذيفة بن اليمان ﷺ بسندٍ فيه ضعف. ينظر حلية الأولياء: ٣/ ٣٥٨.

النَّاس بالألسنة كأكلِ البقر بألسنتها، وتسافدُهم في الطُّرق كالبهائم، وتناكُر القلوب، واختلافُ الأخوين من الأبوين في الدِّين، والاستيجار على الغزو، وحيفُ الولاة، وجور الأئمة، والتَّصديق بالنُّجوم، والتَّكذيبُ بالقدر، والقول بخلق القرآن، ونكاح الرَّجل امرأته وأمته في الدُّبُر، واستشارة الإماء، وسلطان النِّساء، وإمارة السُّفهاء، والسَّلام على المعرفة، وافتراق الكلمة، وترك الغزو، واتِّخاذ المساجد طُرقاً، والغشُّ في التُّجار، وتحوُّل شرار الشَّام إلى العراق وخيارها إلى الشَّام، واستخفاء المؤمن كالمنافق؛ وعدم الاستحياء من الحليم، وعدم اتّباع من هو بالقرآن والسُّنَّة عليم، وعدم عرفان المعروف، ومعرفة المنكر، والاستهزاء بالصَّالحين، وتحميق المتَّقين، وهلاك البيوت بالرَّواجف، وهلاك الدَّواب بالصَّواعق، وكثرةُ الطَّواعين، والهلاك بالجُدري، وتحليةُ المصاحف، وعدمُ التَّدبُّر فيها مع كثرة التِّلاوة، وتقارب الأسواق بقلَّة الأرباح، وفُشُوّ الغيبة والسِّعاية والنَّميمة، ومكابرة العلماء؛ وردّ بعضهم بعضاً في الفتوى، والطَّعن على السَّلف، والتَّشنيع على الخلف، وكثرة البغايا وأولادهم، وظهور المنكر معروفاً وبالعكس، وسوء الجوار، وتعطيل السُّيوف عن الجهاد، واختيار الدُّنيا على الدِّين، وإيثار الرَّأي على النَّصّ، وقلَّة البركات في كلِّ شيءٍ، وفوتُ البدار، وموت الفُجاءة، وركوب المياثر. وظهور النِّساء الكاسيات العاريات المميلات المائلات على رؤوسهن كأسنِمة البُخْت، وظهور قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها النَّاس، ويمنعونهم عن الدُّخول على الولاة. وإضاعةُ الصَّلوات، والميلُ مع الهوى، وفعل السيئات، وتعظيم ربِّ المال، وإهانةُ صاحب العلم، وإكثارُ العلم وإضاعة العمل، وائتلاف الألسن، واختلاف القلوب، واليقظة للدُّنيا، والذُّهول عن الآخرة، وتباين المذاهب، وتخالف الملل، وكثرة النِّحل، وابتلاء المسلمين

بالشِّرك من حيث لا يشعرون. كما قال تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦][(١)].

والفتن كثيرة لا تُحصى والأخبار فيها غزيرةٌ لا تُستقصى، ذكر طرفاً صالحاً منها الشيخ العلامة محمد الحنبلي السَّفَّاريني في كتاب (البحور الذاخرة من علوم الآخرة).

وهذه الجملة من الأشراط للسَّاعة موجودة تحت أديم السَّماء، وهي في التزايد يوماً فيوماً، وقد كادت أن تبلغ الغاية، أو قد بلغت ولم يبقَ إلَّا الأشراط الكُبرى التي أَولها ظهور المهدي عليه السلام.

قال القرطبي: كلُّ ما وقع في الأخبار من الأشراط، فقد شاهدناه بتلك البلاد وعاينَّا مُعظمه إلَّا خروج المهدي[(٢)].

قال: وقال العلماء: الحكمة في تقديم الأشراط، ودلالة النَّاس عليها تنبيهُ النَّاس عن رقدَتِهم، وحثُّهم على الاحتياط لأنفسهم بالتَّوبة والإنابة كيلا يُباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للنَّاس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانفطموا عن الدُّنيا، واستعدّوا للسَّاعة الموعود بها، والله أعلم.

وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدُّنيا وانقضائها، ولا بدَّ من ذكرها حتَّى يُوقَفَ عليها، ويتحقَّقَ بذلك معجزةُ النَّبيِّ ﷺ وصدقُه في كلِّ ما أخبر به ﷺ انتهى[(٣)].

---

(١) الإشاعة ص (١١٣) وما بعدها. سرد المؤلف رحمه الله هنا مجموعة من كتب الردود والجدل والعقيدة خارجة عن سياق الموضوع آثرت حذفها لتابع الموضوع. فليتنبه.

(٢) التذكرة للقرطبي ص (١٢٠٧ ـ ١٢٠٨).

(٣) التذكرة للقرطبي ص (١٢١٧).

فهذه قطرةٌ من بحار أشراط السَّاعة ذات الفتن والأهوال، وذرّةٌ من وادي علاماتها وأماراتها التي وردت بها الأخبار والآثار والأقوال.

وقد ساق السُّيوطيُّ أحاديث الأشراط في (الدر المنثور) وغيره في غيره من المسطور.

نسأل الله سُبحانه أن يجنِّبنّا الفتن، ويعصمنا من المحن، ويميتنا على السُّنن، ويغفر لنا الذُّنوب التي جنيناها في السِّر والعلن، إنَّه قريبٌ مجيبٌ، وهو وليُّ التَّوفيق.

❀ ❀ ❀

باب في الفتن العظام والمحن التي تعقبها الساعة وهي أيضاً كثيرة جداً

[ظهور المهدي]

منها المهدي الموعود المنتظر الفاطمّي.

وهو أوّلها، والأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها كثيرةٌ جداً، تبلغ حدَّ التَّواتر، وهي في السُّنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد.

وقد أوضح القولَ فيها القاضي مؤيَّد الدِّين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي في كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر) حيث قال: يحتجّون في الباب بأحاديث خرَّجها الأئمة، وتكلَّم فيها المنكرون لذلك، وربما عارضوها ببعض الأخبار... وللمنكرين فيها من المطاعن... فإذا وجدنا طعناً في بعض رجال الأسانيد، بغفلةٍ أوبسوء حفظٍ أو ضعف أو سوء رأي تطرَّق ذلك إلى صحَّة الحديث، وأوهن منها... إلى آخر ما قال[1].

وليس كما ينبغي، فإنَّ الحقَّ الأحق بالاتباع، والقول المحقَّقَ عن المحدّثين، المميزين بين الدّار والقاع أنَّ المُعْتَبَرَ في الرُّواة، ورجال

---

(١) مقدمة ابن خلدون، الفصل الثاني والخمسون في أمر الفاطمي ومايذهب إليه الناس في شأنه ص (٣٨٨ ـ ٣٨٩).

الأحاديث أمران لا ثالث لهما، وهما: الضبط والصدق، دون ما اعتبره عامَّة أهل الأُصول من العدالة وغيرها، فلا يتطرَّق الوهنُ إلى صحَّة الحديث بغير ذلك، كيف ومثلُ ذلك يتطرَّق إلى رجال الصَّحيحين؟! وأحاديث المهدي عند الترمذي، وأبي داود، وابن ماجه والحاكم، والطَّبراني، وأبي يعلى الموصلي، وأسندوها إلى جماعةٍ من الصَّحابة، فتعرُّضُ المنكرين لها ليس كما ينبغي.

والحديث يشدُّ بعضُه بعضاً ويتقوَّى أمرُه بالشَّواهد والمتابعات، وأحاديثُ المهدي بعضُها صحيحٌ، وبعضُها حسنٌ، وبعضها ضعيفٌ، وأمره مشهورٌ بين الكافَّة من أهل الإسلام على ممرِّ الأعصار، وأنَّه لا بدَّ في آخر الزَّمان من ظهور رجلٍ من أهل البيت النَّبوي يؤيِّد الدِّين ويُظهر العدل ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمَّى بالمهدي.

ويكون خروج الدَّجال، وما بعده من أشراط السَّاعة الثَّابتة في الصَّحيح على أثره.

وأنَّ عيسى ينزل من بعده فيقتل الدَّجال أو ينزل معه فيساعدُه على قَتْلِهِ ويأتمُّ بالمهدي في صلواته إلى غير ذلك.

وأحاديثُ الدَّجال، وعيسى أيضاً بلغت حدَّ التواتر والتَّوالي، ولا مساغ لإنكارها كما بيَّن ذلك القاضي العلامة محمد بن علي الشَّوكاني اليمني رَحِمَهُ اللَّهُ في (التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر، والدجال، والمسيح).

قال: والأحاديثُ الواردة في المهديِّ التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً فيها الصَّحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترةٌ بلا شك ولا شُبهة، بل يصدُق وصف التَّواتر على ما هو دونها على جميع الاصطلاحات المحرَّرة في الأُصول، وأمَّا الآثار عن الصَّحابة المصرَّحة

بالمهدي فهي كثيرة أيضاً، لها حكم الرَّفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك، انتهى.

وقد جمع السيد العلامة بدر الملة المنير محمد بن إسماعيل الأمير اليماني الأحاديث القاضية بخروج المهدي، وأنَّه من آل محمد ﷺ وأنَّه يظهر في آخر الزَّمان.

ثمَّ قال: ولم يأت تعيين زمنه إلَّا أنَّه يخرج قبل خروج الدجال، انتهى.

وتكلَّم في (الإشاعة) في المهدي في مقامات:

الأوَّل: في اسمه ونسبه ومولده ومبايعته ومهاجره وحليته وسيرته.

والثاني: في العلامات التي يُعرفُ بها، والأمارات الدَّالة على قُرب خروجه عليه السَّلام.

والثالث: في الفتن الواقعة قبل خروجه.

ثمَّ ذكر الفتن والملاحم الواقعة في زمنه عليه السَّلام، وهي من أشراطها العظام القريبة[1].

وأمَّا نحن فنسوق الأحاديث الثابتة في المهدي هنا مساقاً واحداً تقريباً إلى فهم العوام، لأنَّا قد قضينا الوطر من هذا المرام في كتابنا الكبير المسمى بـ (حجج الكرامة في آثار القيامة)، فلا نُعيد الكلام.

نعم نوضِّح في مطاوي سردها حال الرِّواية والرَّاوي جرحاً وتعديلاً، تتميماً للفائدة، وتكميلاً للعائدة، فنقول ـ وبالله أجول وأصول ـ:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَذْهَبُ الدُّنيا

(١) الإشاعة ص (١٣٩) وما بعدها.

ولا تنْقَضي حتَّى يملكَ العرب رجلٌ من أهل بيتي يُواطئ اسمه اسمي» أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي[١].

وعنه أيضاً بلفظ: «يلي رجلٌ من أهلِ بيتي يواطئ اسمُه اسمي لو لم يبْقَ من الدُّنيا إلَّا يومٌ لطوَّل الله ذلك اليوم حتَّى يلي».

وزاد أبو داود: «حتَّى يبعث الله فيه رجلاً من أُمَّتي - أو من أهل بيتي - يُواطئ اسمُه اسمي واسم أَبيه اسمُ أبي» وسكت عليه[٢]، وقال في رسالته المشهورة: إنَّ ما سكت عليه فهو صالح[٣].

وكلاهما حديثٌ حسن صحيح، ورواه أيضاً من طريق موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه[٤].

وقال الحاكم: رواه الثَّوري وشُعبة وزائدة، وغيرُهم من أئمة المسلمين عن عاصم قال: وطُرق عاصم عن زِرّ عن عبد الله بن مسعود كلّها صحيحة على ما أَصَّلْتُ من الاحتجاج بأخبار عاصم، إذ هو إمام من أئمة المسلمين، انتهى[٥].

وقال فيه أحمد بن حنبل: كان رجلاً صالحاً قارئاً للقرآن، خيِّراً ثقة، والأعمش أحفظ منه، وكان شعبة يختار الأعمشَ عليه في تثبيت الحديث.

وقال العِجْلي: كان يُخْتَلَف عليه في زِرٍّ وأبي وائل. يشير بذلك إلى ضعف روايته عنهما.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٣٧٦)، وأبو داود في كتاب المهدي (٤٢٨٢)، والترمذي في الفتن، باب المهدي (٢٢٣٠) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) سبق تخريجه من سنن أبي داود في الحاشية السابقة.

(٣) رسالة الإمام أبي داود إلى أهل مكة في وصف سننه ص (٣٨).

(٤) أخرجه الترمذي في الفتن، باب المهدي (٢٢٣١). هو مرفوع عند ابن ماجه في الجهاد، باب ذكر الديلم وفضل قزوين (٢٧٧٩).

(٥) المستدرك للحاكم، كتاب الفتن والملاحم (٤/ ٥٥٧).

وقال محمد بن سعد: كان ثقة إلَّا أنه كثير الخطأ في حديثه.

وقال يعقوب بن سفيان: في حديثه اضطراب[١].

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم، قلت لأبي: إنَّ أبا زرعة يقول: عاصمٌ ثقة، فقال: ليس محلّة هذا، وقد تكلَّم فيه ابن عُلَيَّة فقال: كلٌّ من اسمه عاصم سيءُ الحفظ.

وقال أبو حاتم: محلّه عندي محلّ الصّدق صالح الحديث، ولم يكن بذاك الحافظ.

واختلف فيه قول النسائي.

وقال ابن خراش: في حديثه نُكرة.

وقال أبو جعفر العُقيلي: لم يكن فيه إلا سوء الحفظ.

وقال الدَّار قطنيُّ: في حفظه شيء.

وقال يحيى القطان: ما وجدت رجلاً اسمه عاصم إلَّا وجدته ردئ الحفظ.

وقال أيضاً: سمعت شعبة يقول: حدثنا عاصم بن أبي النّجود، وفي النَّفْس ما فيها.

وقال الذهبي: ثَبْتٌ في القراءة، وهو في الحديث دون الثبَّت صدوق فَهِم، وهو حسن الحديث وأخرج الشيخان له مقروناً بغيره[٢].

ولم يزد في الخلاصة على قوله: (عاصم بن أبي النُّجود وهو ابن بهدلة) ورمز لإخراج السّتة له[٣].

---

(١) زاد يعقوب: وهو ثقة.

(٢) انظر الأقوال السابقة في ترجمة عاصم بن بهدلة في كل من تهذيب الكمال (١٣/ ٤٧٣) وميزان الاعتدال (٢/ ٣٥٧).

(٣) خلاصة: تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي ص (١٨٢).

وعن أُمِّ سلمة رضي الله عنها بلفظ: «المهديُّ من عِتْرَتي، مِنْ وَلَدِ فاطمة». رواه أبو داود وابن ماجه[١].

والحاكمُ في (المستدرك) من طريق علي بن نُفيل، عن سعيد بن المسيِّب، عن أمِّ سلمة، ولفظه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يذكُر المهديَّ، فقال: «هو حقٌّ، وهو من بني فاطمة» ولم يتكلّم عليه بتصحيح ولا غيره[٢].

وقد ضعفه أبو جعفر العُقيليُّ، وقال: لا يُتابع عليه، ولا يُعرَف إلَّا به[٣].

وفي الخلاصة: علي بنُ نُفيل النَّهديُّ أبو محمد الحرّاني عن ابن المسيِّب، وعنه الثَّوريُّ، وأبو المليح الرَّقي، قال أبو حاتم: لا بأس به، قال أبو عروبة: مات سنة خمس وعشرين ومئة، أخرج له أبو داود وابن ماجه[٤].

وعن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه بلفظ: «المهديُّ منَّا ـ أهلَ البيتِ ـ يُصْلِحه الله في ليلة» أخرجه أحمد وابن ماجه من رواية ياسين العِجْلي، عن إبراهيم بن محمد ابن الحنفية، عن أبيه عن جدِّه[٥].

وفي رواية: «يُصلحُ الله بهِ في ليلةٍ»[٦].

والعِجْلي قال فيه ابن مَعين: ليس به بَأْسٌ. وقال البخاري: فيه نظرٌ.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب المهدي (٤٢٨٤)، وابن ماجه في الفتن، باب خروج المهدي (٤٠٨٦).

(٢) أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٥٥٧).

(٣) الضعفاء للعقيلي، ترجمة على بن نفيل (٣/ ٢٥٣).

(٤) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي ترجمة علي بن نفيل ص (٢٧٨).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٨٤)، وابن ماجه في الفتن، باب خروج المهدي (٤٠٨٥).

(٦) لم أجد من أخرج هذه الرواية.

ونحوه في (الخلاصة) وزاد: أخرج له ابن ماجه[١].

وأورد له ابن عَدي في (الكامل) والذَّهبي في (الميزان) هذا الحديث على وجه الاستنكار، وقال: هو معروف[٢].

وعن أمِّ سلمة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يكونُ اختلافٌ عندَ موتِ خليفةٍ، فيخرجُ رجلٌ من أهل المدينة هارباً إلى مكَّة، فيأتيه ناسٌ من أهل مكّة فيُخْرِجونَه وهو كارِهٌ فيُبايعونَه بينَ الرُّكنِ والمقام، فيُبْعثُ إليه بَعثٌ من الشَّام فيُخسف بهم بالبيداء بين مكَّة والمدينة، فإذا رأى النَّاس ذلك أتاه أبدال أهل الشَّام، وعصائب أهل العراق فيبايعونه، ثمَّ ينشأُ رجلٌ من قريش أخوالُه كلبٌ، فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم، وذلك بعثُ كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسمُ المال، ويعمل في النَّاس بسنَّة نبيّهم ﷺ ويُلقي الإسلام بِجرانه[٣] إلى الأرض فيلبث سبَعَ سنين، ـ وقال بعضهم: تسع سنين ـ ثمَّ يُتوفَّى ويُصلِّي عليه المسلمون». أخرجه أحمد[٤].

ورواه أبو داود أيضاً من رواية صالح بن الخليل عن صاحبٍ له، عن أمِّ سلمة ﵂.

ثمَّ رواه أبو داود من رواية ابن الخليل، عن عبد الله بن الحارث، عن أمِّ سلمة ﵂[٥] فبين بذلك المبهم في الإسناد الأول ورجالُه رجالُ الصّحيح، لا مطعن فيهم، ولا مغْمَز.

---

(١) ذكر الخزرجي الأقوال السابقة في ترجمته لياسين العجلي. انظر خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص (٤٢٠).

(٢) أي أن ياسين العجلي يعرف بهذا الحديث. انظر الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ١٨٥)، وميزان الاعتدال (٤/ ٣٥٩).

(٣) الجران: باطن العنق، والمراد استقرار الأمر.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٣١٦).

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب المهدي (٤٢٨٦)، (٤٢٨٨).

وقد يقال: إنَّه من رواية قتادة عن ابن الخليل، وقتادةُ مُدلِّسٌ، وقد عنعنه. والمُدلِّس: لا يُقبل من حديثه إلَّا ما صَرَّح فيه بالسَّماع.

والحديث وإن كان ليس فيه تصريح بذكر المهدي، إلَّا أنَّ أبا داود ذكره في أبوابه، ورواه الحاكم في المستدرك أيضاً[١].

قال الشّوكاني: وفي الصَّحيح أيضاً طرفٌ منه، وأخرجه أيضاً الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصّحيح[٢].

وفي (الخلاصة) صالح بن خليل في ابن أبي مريم أخرج له الستة[٣]، وقتادة بن دِعامة السَّدوسي أبو الخطاب البصريُّ أحدُ الأئمة الأعلام، حافظٌ مدلِّس. قال ابن المسيب: ما أتاني عراقيّ أحفظ منه. وقال ابن سيرين: قتادة أحفظُ النَّاس. وقال ابن مهدي: أحفظُ من خمسين مثل حُمَيد، وقد احتجَّ به أرباب الصحاح[٤].

وعن أم سلمة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يَسير مَلِكٌ المشرق إلى المغرب فيقتلُهُ، فيبعثُ جيشاً إلى المدينة فيُخْسَف بهم، فيعوذ عائذٌ بالحرم فيجتمع النَّاس إليه كالطَّير الواردة المتفرِّقة، حتَّى يجمع إليه ثلاثمئة وأربعة عشر رجلاً فيهم نِسوة، فيظهر على كلِّ جبّار وابن جبّار، ويُظْهِر من العدل ما يتمنى له الأحياء أمواتَهُم، فيَحيى سبع سنين، ثمَّ ما تحت الأرض خيرٌ مما فوقها».

أخرجه الطبراني في الأوسط، وفي إسناده (ليثُ بن أبي سُليم) وبقية

---

(١) أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٤٣٠).

(٢) المعجم الأوسط للطبراني، من اسمه أحمد (١١٥٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦١٣): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح.

(٣) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص (١٧٢)، وقد أشار الخزرجي هنا إلى أن صالح قد سبق ذكره في كتابه باسم صالح بن أبي مريم ص (١٧١).

(٤) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، ترجمة قتادة بن دعامة ص (٣١٥).

رجاله رجال الصحيح[١]. قال في (الخلاصة): قال أحمد مضَّطرب الحديث. وقال الدار قطني: إنَّما أنكروا عليه الجمع بين عطاء وطاوس ومجاهد[٢].

وعن أمِّ سلمة رضي الله عنها أيضاً بنحو ألفاظ الحديث الأول باختصار.

وفي الصّحيح طرفٌ منه، ورواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفي إسناده عِمْران القطَّان، وثَّقه ابنُ حبان، وضعَّفه جماعةٌ، وبقية رجاله رجالُ الصحيح[٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُبشِّرُكُم بالمهدي، رجلٌ من قريش من عترتي، يُبعث على اختلاف من النَّاس وزلازل، فيملأُ الأرض قِسْطاً وعَدْلاً، كما مُلِئت جَوْراً وظُلْماً، يرضى عنه ساكنُ السَّماء وساكنُ الأرض، يقسم المال صِحاحاً». فقال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: «بالسَّوية بين النَّاس، ويملأُ الله قلوبَ أُمةِ محمدٍ ﷺ غناء، ويسعُهُم عدْلُه حتَّى يأمُر منادياً فيُنادي، فيقول: من له في مالٍ حاجةً؟ فما يقوم من النَّاس إلَّا رجلٌ واحدٌ فيقول: أنا، فيقول: ائْتِ السَّادن ـ يعني الخازن ـ فقل له: إنَّ المَهْدِيَّ يأمر أن تُعطيني مالاً، فيقول له: احْثُ، حتى إذا جعلَه في حِجْره ندم، فيقول: كنت أجشع أمة محمد... فيردُّه، فيقال له: إنّا لا نأخذُ شيئاً أعطيناه، فيكون كذلك سبع سنين أو تسعَ سنين. ثمَّ لا خيرَ في العيش بعدَه» أخرجه أحمد في المسند وأبو يعلى[٤] ورجالهما ثقات، وقد أخرجه الترمذي مختصراً[٥].

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني، من اسمه محمد (٥٤٧٣) وقد نقل القنوجي تعليق الهيثمي على الحديث من مجمع الزوائد (٧/ ٦١٢).

(٢) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، ترجمة قتادة بن دعامة ص (٣١٥).

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي (٧/ ٦١٢).

(٤) قال الهيثمي: وأبو يعلى بإختصار كثير.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٧)، وقد نقل القنوجي تعليق الهيثمي على الحديث في مجمع الزوائد (٧/ ٦١٠).

وعن أبي سعيدٍ ﷺ أيضاً بلفظ: «ليقومنَّ على أُمَّتي رجلٌ من أهل بيتي يوسِعُ الأرض عدلاً، كما وسِعَت ظُلماً، يملك سبعَ سنين» أخرجه أبو يعلى[١]، وفيه عدي بن أبي عمارة: قال العُقَيلي: في حديثه اضطراب وبقية رجاله رجال الصحيح، قاله الشوكاني[٢].

وعنه أيضاً بلفظ: «المهدي منّي، أَجلى الجبهة، أَقْنى الأنف، يملأُ الأرض قِسْطاً وعَدْلاً كما مُلئت جَوْراً وظلماً، يملك سبع سنين» أخرجه الحاكم في المستدرك، وأبو داود وسكت عليه واللفظ له[٣].

وهو من طريق عِمْران القطان عن قَتادة عن أبي نَضْرة، وعِمْرانُ مختلفٌ في الاحتجاج به، إنَّما أخرج له البخاري استشهاداً لا أصلاً وكان يحيى القطان لا يحدِّث عنه. وقال ابن معين: ليس بالقويّ. وقال مَرَّةً: ليس بشيءٍ. وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث. وقال يزيد بن زريع: كان حَرُوْرِيّاً، وكان يرى السَّيف على أهل القبلة. وقال النَّسائي: ضعيف. وقال أبو عبيد الآجُرِّي: سألت أبا داود عنه، فقال: من أصحاب الحسن، وما سمعتُ إلَّا خيراً، وسمعته مرَّة أخرى ذكره، فقال ضعيف، أفتى في أيام إبراهيم بن عبد الله بن حسن بفتوى شديدة، فيها سفكُ الدِّماء[٤]. ولكن ذلك كلّه لا ينافي الضبط والصّدق الذين عليهما مدار الصّحة والقوَّة، والله أعلم.

وعنه أيضاً قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يخرجُ رجلٌ من أُمَّتي يقول بسنَّتي، يُنزل الله عزَّ وجلَّ له القَطْر من السَّماء، وتُخرجُ له الأرض

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (١١٢٨).

(٢) قلت: هذا كلام الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦١١).

(٣) أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٥٥٧)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي: عِمْران ضعيف ولم يخرج له مسلم، وأخرجه أبو داود في كتاب المهدي (٤٢٨٥).

(٤) انظر الأقوال السابقة في تهذيب الكمال للمزي ترجمة عمران بن داود (٢٢/ ٣٢٨).

بركتها، وتُملأُ الأرض منه قِسطاً وعَدلاً، كما مُلِئَت جوراً وظُلماً، يعمل على هذه الأُمة سبع سنين، وينزل بيت المقدس» أخرجه الطبراني في الأوسط[١]، قال الشَّوكاني: وفي إسناده من لم يُعْرف، ولكنه أخرجه الترمذي، وابن ماجه باختصار، انتهى[٢].

قلت: قال الطبراني فيه: رواه جماعة عن أبي الصِّدِّيق، ولم يُدخل أحدٌ منهم بينه وبين أبي سعيد أحداً إلَّا أبا الواصل، فإنَّه رواه عن الحسن بن يزيد عن أبي سعيد، انتهى[٣].

وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن أبي حاتم، ولم يعرِّفه بأكثر مَّما في هذا الإسناد من روايته عن أبي سعيد، ورواية أبي الصِّدِّيق عنه[٤]، وقال الذهبي في (الميزان): إنَّه مجهول[٥]، ولكن ذَكَره ابن حبّان في (الثقات)[٦].

وأما أبو الواصل الذي رواه عن أبي الصِّدِّيق فلم يُخرِّج له أحدٌ من السِّتة، ذكره ابن حبَّان في الطبقة الثانية، وقال فيه: يروي عن أنس، وروى عنه شعبة، وعتَّاب بن بشير والله أعلم[٧].

وعنه أيضاً بلفظ: «يكون في آخر الزَّمان خليفةٌ يقسمُ المال ولا يعدُّ» أخرجه أحمد في (المسند)[٨] وليس فيه تصريح بالمهدي، ولكن يشهد له

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه أحمد (١٠٧٥).
(٢) هذا كلام الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦١٧).
(٣) المعجم الأوسط للطبراني (١٠٧٥).
(٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣/ ٤٢) ت ١٨١.
(٥) ميزان الاعتدال (١/ ٥٢٧).
(٦) الثقات لابن حبان (٤/ ١٢٤).
(٧) الثقات لابن حبان (٥/ ١٢٦).
(٨) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٨)، وهو في صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه (٢٩١٤).

حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر أُمتي خليفةٌ يحثي المال حثياً، ولا يعدُّه عداً»[١].

وعن أبي سعيد أيضاً من طريق أخرى، قال «من خلفائكم خليفة يحثو المال حثياً»[٢].

ولكن لم يقع في هذين الحديثين أيضاً ذكر المهدي ولا دليل يقوم على أنَّه المراد منهما، والله أعلم.

وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقتَتِل عند كنزكم هذا ثلاثةٌ كلُّهم ابنُ خليفة، ثمَّ لا يصير إلى واحدٍ منهم، ثمَّ تطلع الرَّاياتُ السُّود من قِبَل المشرق فيقتلوهم قتلاً لم يُقْتَلْهُ قومٌ» ثمَّ ذكر شيئاً لا أحفظه: فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حَبْواً على الثَّلج، فإنه خليفةُ الله المهديُّ. أخرجه ابن ماجه[٣] ورجاله رجال الصَّحيحين إلَّا أن فيه أبا قِلابة الجِرمي، ذكر الذَّهبي وغيره أنَّه مدلِّس[٤]. وفيه سفيان الثَّوري وهو مشهور بالتَّدليس، وكلٌّ منهما عنعن، ولم يُصرِّح بالسَّماع.

وفيه عبد الرزاق بن همام، وكان مشهوراً بالتَّشيع، وعَمِي في آخر وقته فخلَّط، قال ابن عديّ: حدَّث بأحاديث في الفضائل لم يوافقه عليها أحد، ونسبوه إلى التَّشيع[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه (٢٩١٣).

(٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل (٢٩١٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب خروج المهدي (٤٠٨٤).

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي، ترجمة عبد الله بن زيد الجرمي (٢/ ٤٢٦).

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، ترجمة عبد الرزاق الصنعاني (٥/ ٣١١).

وأخرجه الحاكم أيضاً في (المستدرك)[١].

وفي لفظ من حديثه أخرجه الديلمي: «ستطلع عليكم راياتٌ سودٌ من قِبَلِ خُراسان فأْتوها ولو حبواً على الثلج، فإنَّه خليفةُ الله المهديُّ»[٢].

وقد حمل قومٌ من علماء الهند هذا الحديث على خروج السَّيد أحمد البريلوي[٣] بتكلُّفاتٍ باردة مع أنَّ السَّيد كان رجلاً صالحاً، حجَّ وجاهد وغزا، ولم يدَّع المهدوية قطّ، ولم تكن تنبغي له هذه الدَّعوى.

وعن قُرَّة بن إياس قال: قال رسول الله ﷺ: «لتُملأَنَّ الأرض جوراً وظلماً، فإذا مُلئت جوراً وظلماً بعث الله رجلاً من أُمتي اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي يملأُها عدلاً وقِسْطاً كما مُلئت جوراً فلا تمنع السماء شيئاً من قَطْرِها ولا الأرض شيئاً من نباتها، يلبثُ فيهم سبعاً أو ثمانياً أو تسعاً ـ يعني سنين ـ» أخرجه البزَّار، والطبراني في الكبير، والأوسط من طريق داود بن المحبَّر عن أبيه، وكلاهما ضعيف جداً.

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج ناسٌ من المشرق فيوطؤون للمهدي سُلطانه» أخرجه ابن ماجه، والطبراني في الأوسط، وفيه عمرو بن جابر الحضرمي، وهو كذَّاب قال الطبراني: تفرَّد به ابن لهيعة، وهو ضعيف، وإنَّ شيخه عمرو بن جابر أضعف منه[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم (٤/٤٦٣)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي (٣٤٧٠).

(٣) السيد أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي، ينسب إلى قرية راي بريلي، وللسيد أبي الحسن الندوي كتاب في ترجمته وبيان جهاده وأحواله، بعنوان «إذا هبت ريح الإيمان».

(٤) أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب خروج المهدي (٤٠٨٨)، والطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه أحمد (٢٨٥)، وانظر مجمع الزوائد (٧/ ٦١٧).

قال في (الخلاصة) قال النَّسائي: ليس بثقة. وأخرج له الترمذي وابن ماجه[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدَّثني خليلي أبو القاسم ﷺ: «لا تقوم السَّاعة حتى يخرج عليهم رجلٌ من أهل بيتي، فيضربُهم حتَّى يرجعوا إلى الحقِّ» قال: قلت: وكم يملك؟ قال: «خمساً وائنتين» قال: قلت: وما خمساً وائنتين؟ قال: «لا أدري» أخرجه أبو يعلى[٢]، وفيه المرجَّى ابن الرَّجاء، وثَّقه أبو زُرعة، وضعَّفه ابنُ معين، وبقيَّة رجاله ثقات، قاله الشَّوكاني[٣].

قلت: وفيه بَشير ابنُ نَهيك، قال فيه أبو حاتم: لا يحتجُّ به. لكن احتجَّ به الشَّيخان، ووثَّقه النَّاس، ولم يلتفتوا إلى قول أبي حاتم فيه[٤].

نعم فيه المرجَّى اليشكري مختلف فيه، قال أبو زُرعة: ثقة. وقال ابن معين: ضعيف. وقال أبو داود مرَّة: صالح، ومرَّة: ضعيف. وعلَّق له البخاري في صحيحه حديثاً واحداً[٥].

وعنه أيضاً قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المحروم من حُرِم غنيمة كلب» أخرجه أحمد، وفي إسناده ابنُ لهيعة وهو ليّن[٦].

وعنه أيضاً قال: ذكر رسول الله ﷺ المهدي فقال: «يكون في أُمتي المهديُّ، إن قصَّر فسبعٌ وإلَّا فثمان، وإلَّا فتسعٌ، يملأُ الأرض عدلاً وقسطاً، كما مُلئت جوراً وظُلماً» رواه البزَّار ورجاله ثقات، قاله الشَّوكاني[٧].

---

(١) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص (٢٨٧).

(٢) مسند أبي يعلى (١٢/ ١٩).

(٣) هذا كلام الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦١٣).

(٤) ينظر تهذيب الكمال، ترجمة بشير ابن نهيك (٤/ ١٨١).

(٥) ينظر في تهذيب الكمال، ترجمة مرجى بن رجاء (٢٧/ ٣٦١).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٥٦)، وانظر مجمع الزوائد (٧/ ٦١٣).

(٧) هذا كلام الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦١٥). والحديث لم أجده في مسند البزار (ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة).

وعنه أيضاً كالذي قبله، وزاد فيه: «تَنْعَمُ أُمتي فيها نِعْمةٌ لم يَنْعَموا بمثلها، تُرسل السَّماء عليهم مِدْراراً، ولا تدَّخرُ الأرض شيئاً من النبات والمال كُدُوسٌ، يقوم الرَّجل يقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ» أخرجه الطبراني في الأوسط[١]، والبزار في مسنده، قال الشوكاني: ورجاله ثقات، انتهى[٢].

أقول: قال الطبراني، والبزار: تفرَّد به محمد بن مروان العِجْلي. زاد البزار: ولا نعلم أنه تابعه عليه أحدٌ. وهو وإن وثَّقه أبو داود وابن حبَّان أيضاً لمَّا ذكره في الثِّقات، وقال فيه ابن معين: صالح، وقال مرَّة: ليس به بأس، فقد اختلفوا فيه. وقال أبو زُرعة: ليس عندي بذاك.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: رأَيْتُ العِجلي حدَّث بأحاديث وأنا شاهد لم نكتبها، تركتها على عمدٍ، وكتب بعض أصحابنا عنه. كأنَّه ضعَّفه[٣].

وعنه أيضاً بلفظ: «لو لَمْ يبقَ من الدَّنيا إلَّا ليلةٌ لطوَّل الله تلك اللَّيلة حتَّى يلي رجلٌ من أهل بيتي» أخرجه الدَّيلمي[٤].

وعنه أيضاً بلفظ: «يخرجُ رجلٌ يقال له: السُّفيانيُّ في عُمق دمشق، وعامَّة من يتبعه من كَلْب، فيقتِلُ حتَّى يبقرَ البطون، ويقتل الصِّبيان فيجمع لهم قيس فيقتُلها حتى لا يمنع ذئب تلعَةٍ، ويخرج رجلٌ من أهل بيتي في الحرَّة فيبلغ السُّفياني، فيبعثُ إليه جُنداً من جُنده فيهزمُهم، فيسير إليه السُّفيانيُّ بمن

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه محمد (٥٤٠٦). كدوس: كثير فائضٌ.

(٢) هذا كلام الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦١٦).

(٣) انظر الأقوال السابقة في تهذيب الكمال، ترجمة محمد بن مروان (٢٦/ ٣٨٧).

(٤) الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي (٧٥٢٣)، وأخرجه ابن ماجه في الجهاد، باب ذكر الديلم (٢٧٧٩).

معه، حتى إذا صارَ ببيداءَ من الأرض خُسف به، فلا ينجو منهم إلَّا المُخبر عنهم» أخرجه الحاكم في المستدرك[١].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج في آخر أمتي المهدي يَسْقيه الله الغيثَ، وتُخرج الأرض نباتها، ويُعطي المال صحاحاً، وتكثرُ الماشية، وتعظمُ الأُمةُ، يعيش سبعاً أو ثمانية» ـ يعني حججاً ـ أخرجه الحاكم في (المستدرك) من طريق سليمان بن عبيد عن أبي الصّديق النَّاجي.

ورواه عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ أيضاً، وقال: حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه[٢]. مع أنَّ سليمان لم يخرج له أحدٌ من الستة، لكن ذكره ابن حبَّان في الثقات، ولم يرو أن أحداً تكلَّم فيه[٣].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في أُمتي خليفةٌ يحثو المال في النَّاس حثياً لا يعدّه» أخرجه الدَّار قطني، قال الشوكاني: رجاله رجال الصحيح، انتهى[٤]. وأصله في صحيح مسلم بلفظ «في آخر أُمتي»[٥].

وعن طلحة بن عبيد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ستكون فتنةٌ لا يسكن عنها جانب إلَّا جاش جانب، حتَّى يُنادي منادٍ من السَّماء أميركم فلان»

---

(١) أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٥٢٠)، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود وأبي سعيد الخدري في الفتن والملاحم (٤/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨).

(٣) الثقات لابن حبان (٦/ ٣٩٢).

(٤) لم أجده في سنن الدار قطني، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦١٥)، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٥) سبق ذكره مع تخريجه في ص (١٢٢).

أخرجه الطَّبراني في (الأوسط) وفيه مثنَّى بن الصَّباح، وهو متروكٌ وضعيفٌ جداً، ووثَّقه ابن معين في رواية، وضعَّفه أيضاً[١].

وليس في الحديث تصريحٌ بذكر المهدي، وإنَّما ذكروه في أبوابه وترجمته استئناساً.

وعن علي بن أبي طالب ﷺ أنَّه قال للنبي ﷺ: أَمِنَّا المهدي أم من غيرنا يا رسول الله؟ قال: «بل منَّا، بنا يَختمُ الله كما بنا فَتح الله، وبنا يُستَنْقذون من الشّرك، وبنا يؤلِّف الله بين قلوبهم بعد عداوة بيِّنةٍ كما ألَّف بين قلوبهم بعد عداوة الشّرك» قال عليٌّ: أمؤمنون أم كافرون؟ قال: «مَفْتونٌ وكافر» أخرجه الطبراني في الأوسط[٢]، وفيه: ابن لهيعة، وهو ضعيف معروف الحال.

وفيه عمرو بن جابر الحضرمي، وهو أضعف منه. وقال الشوكاني: هو كذاب[٣]. وقال أحمد: روى عن جابر مناكير وبلغني أنَّه كان يكذب.

وقال النسائي: ليس بثقة، وقال ابن لهيعة: كان شيخاً أحمق ضعيف العقل، وكان يقول: عليٌّ في السَّحاب، وكان يجلس معنا فيبصر سحابة، فيقول هذا عليٌّ قد مرَّ في السَّحاب[٤].

وعنه أيضاً أنَّ رسول الله ﷺ قال: «تكون في آخر الزَّمان فتنةٌ يحصل النَّاس فيها، كما يُحَصَّلُ الذَّهبُ في المعدَنِ فلا تسبوا أهل الشَّام، ولكن سبّوا شرارهم، فإنَّ فيهم الأبدال، يوشك أن يُرسل على أهل الشَّام سَيْبٌ من السَّماء

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه عبد الرحمن (٤٦٦٦)، وانظر مجمع الزوائد (٧/ ٦١٥).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه أحمد (١٥٧).

(٣) هذا كلام الهيثمي، في مجمع الزوائد (٧/ ٦١٦).

(٤) تهذيب الكمال، ترجمة عمرو بن جابر (٢١/ ٥٥٩).

فيفرق جماعتهم حتَّى لو قاتلتهم الثَّعالب غلبتهم، فعند ذلك يخرج خارجٌ من أهل بيتي في ثلاث رايات، المُكْثِرُ يقول: هم خمسة عشر ألفاً، والمُقِلُّ يقول هم اثنا عشر[١]، إمارتهم: «أَمِتْ أَمِتْ» يلقون سبع رايات، تحت كلِّ رايةٍ رجلٌ يطلب الملك، فيقتُلُهم الله جميعاً، ويردُّ الله إلى المسلمين أُلفتهم ونعيمهم وقاصيهم ودانيهم» أخرجه الطَّبراني في (الأوسط)[٢] وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف. قال الشَّوكاني: وبقيَّة رجاله ثقات، انتهى[٣].

ورواه الحاكم في (المستدرك) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرّجاه، وفي روايةٍ: «ثمَّ يظهر الهاشميُّ، فيردُّ الله النَّاس إلى أُلفتهم»[٤]. وليس في هذا الطريق ابن لهعية، وهو إسناد صحيحٌ كما ذَكَر.

وعنه أيضاً من رواية أبي الطُّفيل عن محمد بن الحنفية قال: كنَّا عند عليٍّ ﷺ فسأله رجلٌ عن المهدي؟ فقال علي: (هيهات) ثمَّ عقد بيده سبعاً، فقال: «ذلك يخرج في آخر الزَّمان إذا قال الرَّجل: الله! الله! قُتل، ويجمع الله له قوماً قُزَعاً كقُزَع السَّحاب يؤلِّف اللهُ بين قلوبهم فلا يستوحشون إلى أحدٍ، ولا يفرحون بأحدٍ دخلَ فيهم، عدَّتهم على عدَّة أهل بدر، لم يسبقهم الأوَّلون ولا يدركهم الآخرون، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النَّهر.

قال أبو الطُّفيل: قال ابن الحنفية: أتريده؟ قلت: نعم.

قال: فإنَّه يخرج من هذين الأخشبين، قلت: لا جَرَمَ والله لا أدَعُها حتَّى أموتَ، ومات بها» يعني مكَّة.

---

(١) أي: أثنا عشر ألفاً.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه علي (٣٩٠٥).

(٣) هذا كلام الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦١٦).

(٤) أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٥٥٣)، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشَّيخين، انتهى[١].

وإنَّما هو على شرط مسلم فقط، فإنَّ فيه عمَّار الدُّهنيّ ويونس بن أبي إسحاق، ولم يخرج لهما البخاريُّ، وفيه عمرو بن محمد العَنْقَزي، ولم يخرج له البخاري احتجاجاً، بل استشهاداً.

ومع ما ينضمُّ إلى ذلك من تشيُّع عمَّار الدُّهني، وهو وإن وثَّقه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنَّسائي وغيرهم فقد قال علي بن المديني عن سفيان: إنَّ بشر بن مروان قطع عُرقوبيه، قلت: في أيّ شيءٍ؟ قال: في التَّشيع[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ جالساً في نفرٍ من المهاجرين والأنصار، وعلي بن أبي طالب عن يساره، والعبَّاس عن يمينه إذ تلاحى العبَّاس ورجل، فأغلظ الأنصاري للعباس، فأخذ النبيُّ ﷺ بيد العبَّاس وبيد عليٍّ، فقال: «سيخرج من صلب هذا من يملأُ الأرض قسطاً وعدلاً، فإذا رأَيْتم ذلك فعليكم بالفتى التميمي، فإنَّه يُقبل من قِبَلِ المشرق وهو صاحب راية المهدي» أخرجه الطَّبراني في الأَوسط[٣] وفيه ابن لهيعة، وعبد الله بن عمر العمري، وهما ضعيفان.

قال الهيثمي في (مجمع الزوائد): ولكنَّ الحديث منكرٌ، فإنَّ النبيَّ ﷺ لم يكن يستقبل أحداً في وجهه شيئاً يكرهه، وخاصَّة عمّه العبَّاس الذي قال فيه «إنَّه صِنْو أبيه»[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٥٥٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٢) انظر تهذيب الكمال، ترجمة عمار بن معاوية الدهني (٢١/ ٢٠٨).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه علي (٤١٣٠).

(٤) أخرج مسلم في الزكاة، باب في تقديم الزكاة، رقم (١٦٨٧) عن أبي هريرة مرفوعاً: «يا عمر، أما شعرتَ أن عمَّ الرجل صنو أبيه؟».

وعن أبي سعيد ﷺ بلفظ: «إنَّ في أُمَّتي المهدي يخرج ويعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً. فيجيء إليه الرَّجل فيقول: يا مهدي أعطني أعطني، فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله». أخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن؛ وقد رُوي من غير وجهٍ عن أبي سعيدٍ عن النبي ﷺ[١].

وأخرجه ابن ماجه والحاكم من طريق زيد العَمِّي عن أبي الصِّديق النَّاجي[٢].

وعن الحسين ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة ﷺ: «أَبْشري، المهدي منك». ذكره في كنز العمال، وقال فيه: موسى بن محمد البلقاوي عن الوليد بن محمد الموقَّري، وهما كذَّابان[٣].

وعن حُذيفة ﷺ بلفظ: «المهدي رجلٌ من ولدي وجهه كالكوكب الدُّريّ» أخرجه الروياني[٤].

وعن الصَّدفي بلفظ: «سيكون بعدي خُلفاء، ومن بعد الخلفاء أُمراء، ومن بعد الأُمراء ملوك، ومن بعد الملوك جبابرة، ثمَّ يخرج رجلٌ من أهل بيتي يملأُ الأَرض عدلاً كما مُلئت جوراً، يُؤمَّرُ بعده القحطاني، فو الذي بعثني بالحقِّ ما هو بدونه» أخرجه الطبراني في الكبير[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في الفتن، باب المهدي (٢٢٣٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب خروج المهدي (٤٠٨٣)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٥٥٨).

(٣) كنز العمال (٣٩٦٥٣) وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ترجمة زيد بن علي (١٩/ ٤٧٥).

(٤) عزاه كنز العمال (٣٨٦٦٦) للروياني. وقد ذكر الذهبي هذا الحديث في ميزان الاعتدال، ترجمة محمد بن إبراهيم الصوري (٣/ ٤٤٩)، وقال: روى عن رواد بن الجراح خبراً باطلاً ومنكراً في ذكر المهدي.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، مسند أبي جابر الصدفي (٢٢/ ٣٧٤) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣٤٤): فيه جماعة لم أعرفهم.

وعن ابن عبَّاس ﷺ بلفظ: «لنْ تهلك أُمَّة أنا في أَوَّلها، وعيسى بن مريم في آخرها، والمهدي في أوسطها» أخرجه أبو نعيم في (أخبار المهدي)[١].

وعن أبي سعيد بلفظ: «منَّا الذي يُصلي عيسى بنُ مريم خلْفَه» أخرجه أبو نعيم في كتاب (المهدي)[٢].

وعن عليٍّ بن أبي طالب ﷺ بلفظ: «لو لمْ يَبْقَ من الدَّهر إلَّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً» أخرجه أحمد في (المسند) وأبو داود في (السُّنن)[٣] وفيه فِطر بن خليفة وإن وثقه أحمدُ ويحيى بن القطان وابن معين والنسائي وغيرهم إلَّا أنَّ العِجْلي قال: حسنُ الحديث، وفيه تشيُّع قليل. وقال ابن معين مرة: ثقة شيعي. وقال أحمد بن عبد الله بن يونس: كنَّا نمرُّ على فِطر وهو مطروحٌ لا نكتب عنه. وقال مَّرةً: كنتُ أمرُّ به وأدَعُه مثل الكلب. وقال الدار قطني: لا يحتجُّ به. وقال أبو بكر بن عياش: ما تركت الرواية عنه إلَّا لسوء دينه. وقال الجرجاني: زائغ غير ثقة[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تجيش الرُّوم على والٍ من عترتي يواطيء اسمُه اسمي فَيُقْبلُون بمكان يقال له: العماق، فيقتتلون، فيُقتل من المسلمين الثلث أو نحو ذلك، ثمَّ يقتتلون اليوم الثالث، فيكرُّون على أَهل الرُّوم فلا يزالون حتَّى يفتحوا القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون فيها بالأَتراس إذ أتاهم صارخٌ أنَّ الدَّجال قد خلفكم في ذراريكم» أخرجه الخطيب في (المتفق والمفترق)[٥].

---

(١) كنز العمال (٣٨٦٧١).

(٢) كنز العمال (٣٨٦٧٣)، وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٨٢٦٢) ورمز إلى ضعفه.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٩٩)، وأبو داود في كتاب المهدي (٤٢٨٣).

(٤) انظر الأقوال السابقة في تهذيب الكمال، ترجمة فطر بن خليفة (٢٣/ ٣١٢).

(٥) المتفق والمتفرق للخطيب البغدادي، ترجمة إبراهيم بن يزيد البصري (١/ ٢٠٦) وكنز العمال (٣٩٦٥٦).

وعنه أيضاً بلفظ: «إنَّا أهلُ بيتٍ اختار الله لنا الآخرة على الدُّنيا، وإنَّ أهل بيتي سيلقون من بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً، حتَّى يأتي قومٌ من قبل المشرق معهم راياتٌ سودٌ، فيسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فينصَرُون، فَيُعْطونَ ما سألوا، فلا يقبلونَهُ حتَّى يدفعوها إلى رجلٍ من أهل بيتي يواطئُ اسمُه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملكُ الأرض فيملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملؤوها جَوْراً وظلماً، فمن أدرك ذلك منكم أو من أعقابكم، فليأْتِهم ولو حَبواً على الثَّلج» أخرجه ابن ماجه والحاكم في المستدرك[1].

هكذا ذكره الشَّوكاني في (التوضيح) وأورده ابن خلدون في كتابه (العبر) من حديث ابن مسعود، عن طريق يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم عن علقمة بلفظ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذْ أقبل فتيةٌ من بني هاشم، فلمَّا رآهم الرسول ﷺ ذَرَفت عيناه وتغيَّر لونه، قال: فقلت: ما نزال نَرَى في وجهك شيئاً نَكْرهُه؟ فقال: «إنَّا أهل البيت... إلخ».

وهذا الحديث يُعرف عند المحدِّثين بحديث الرَّايات، ويزيد بن أبي زياد راويه، قال فيه شعبة: كان رفاعاً يعني يرفع الأحاديث التي لا تُعرف مرفوعة.

وقال محمد بن الفضيل: كان من كبار أئمة الشِّيعة.

وقال أحمد بنُ حنبل: لم يكن بالحافظ، وقال مرَّة: حديثه ليس بذاك.

وقال يحيى بن معين: ضعيف.

وقال العِجْلي: جائز الحديث وكان بأَخَرَةٍ يُلقَّن.

وقال أبو زرعة: يُكتب حديثه، ولا يحتجُّ به.

وقال أبو حاتم: ليس بالقوي.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب خروج المهدي (٤٠٨٢)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٤٦٤)، وقال الذهبي: موضوع، كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقال الجرجاني: سمعتهم يضعِّفون حديثه.

وقال أبو داود: لا أعلم أحداً ترك حديثه، وغيرُهُ أحبُّ إليَّ منه.

وقالَ ابن عدي: هو من شيعة أهل الكوفة، ومع ضَعْفه يُكتب حديثه، وروى له مسلم لكن مقروناً بغيره.

وبالجملة فالأكثرون على ضعفه، وقد صرَّح الأَئمة بتضعيف هذا الحديث الذي رواه عن إبراهيم عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود ﷺ وهو حديث الرَّايات.

وقال وكيع بن الجراح فيه: ليس بشيء.

وكذلك قال أحمد.

وقال أبو قدامة: سمعت أبا أُسامة يقول في حديث يزيد عن إبراهيم في الرَّايات: لو حلف عندي خمسين يميناً قَسَامة ما صدَّقْته، أهذا مذهب إبراهيم؟! أهذا مذهب علقمة؟! أهذا مذهب عبد الله؟!.

وأورد العقيلي هذا الحديث في الضعفاء.

وقال الذهبي: ليس بصحيح[1].

وعن أبي هريرة ﷺ أيضاً بلفظ: «المهدي يواطئُ اسمُه اسمي واسم أبيه اسم أبي» ذكره في كنز العمال[2].

وعن أبي أمامة ﷺ بلفظ: «سيكون بينكم وبين الرُّوم أَرْبَعُ هُدَن، الرَّابعة على يد رجلٍ من آل هارون، يدوم سبْعَ سنين» قيل: يا رسول الله، مَنْ إمام

---

(١) مقدمة ابن خلدون، الفضل الثالث والخمسون في أمر الفاطمي ص (٣٩٥ ـ ٣٩٦)، وانظر تهذيب الكمال، ترجمة يزيد بن أبي زياد (٣٢/ ١٣٥)، وميزان الاعتدال (٤/ ٤٢٣).

(٢) كنز العال (٣٨٦٧٨) وعزي فيه لابن عساكر وهو في تاريخه، ترجمة محمد بن عبد الله بن محمد بن علي (٥٣/ ٤١٤).

النَّاس يومئذٍ؟ قال: «من ولدي، ابنُ أربعين سنة كأنَّ وجهه كوكبٌ دريٌّ، وفي خدِّه الأيمن خالٌ أسود، عليه عباءتان قطوانيتان[١]، كأنَّه من رجال بني إسرائيل يملك عشرين سنة يستخرج الكنوزَ ويفتحُ مدائن الشُرك» أخرجه الطبراني في الكبير[٢].

وعن أبي سعيد ﷺ بلفظ: «ستكون بعدي فِتنٌ: منها فتنة الأحلاس يكون فيها هَرَبٌ وحرب، ثمَّ بعدها فتن أشدّ منها، ثمَّ تكون فتنة كلما قيل: انقطعت تمادت، حتَّى لا يبقى بيت إلَّا دخلته، ولا مسلم إلَّا شكَّته حتَّى يخرج رجلٌ من عترتي» رواه نعيم بن حمَّاد في (الفتن)[٣].

وعن عمر بن شعيب عن أبيه، عن جدِّه بلفظ: «في ذي القعدة تجاذب القبائل، وعامئذٍ يُنهب الحاج فتكون ملحمةٌ بمنى حتَّى يهرب صاحبهم، فيبايع بين الرّكن والمقام، وهو كاره يبايعه مثل عدَّة أهل بدر، يرضى عنه ساكنُ السَّماء، وساكنُ الأرض» أخرجه نعيم بن حماد في (الفتن) والحاكم في (المستدرك)[٤].

وعن ابن عباس ﷺ بلفظ: «منَّا السَّفَّاح، ومنَّا المنصور، ومنَّا المهدي» أخرجه البيهقي ونعيم والخطيب[٥].

---

(١) العباءة القطوانية: هي عباءة بيضاء قصيرة الخمل.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، مسند أبي أمامة (٧٤٩٥). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٦١٩): فيه عنبسة بن أبي صغيرة هو ضعيف.

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن، تسمية الفتن التي هي كائنة (٩٥)، وأخرج الحاكم نحوه من حديث عبد الله بن عمر ﷺ في الفتن والملاحم (٤/ ٤٦٦)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن، اجتماع الناس بمكة وبيعتهم للمهدي (٩٨٦) والحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٥٠٣)، وقال الذهبي: سنده ساقط، ومحمد أظنه المصلوب.

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، جماع أبواب أسئلة اليهود (٦/ ٥١٤)، ونعيم بن حماد =

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ بلفظ: «منَّا القائم، ومنَّا المنصور، ومنَّا السَّفَّاح، ومنَّا المهدي، فأمَّا القائم فتأتيه الخلافة لم تُهرق فيها محجمةٌ بدم، وأما المنصور فلا تدركه رايةٌ، وأمَّا السَّفَّاح فهو يسفحُ المال والدم، وأمَّا المهدي فيملؤها عدلاً كما مُلِئت جَوراً» أخرجه الخطيب(١).

وعنه أيضاً بلفظ: «يكون في آخر الزَّمان عند تظاهرٍ من الفتن وانقطاعٍ من الزَّمن أميرٌ أول ما يكون عطاؤه للنَّاس أنَّ يأتيه الرَّجل فيحثي له في حِجْره، يهمُّه من يَقْبَل منه صدقةَ ذلك اليوم لما يُصيب النَّاسَ من الفَرج» أخرجه العُقيلي وابن عساكر(٢).

وعن عبدِ الرحمنِ بنِ قيس بنِ جابر الصَّدَفي وهو بلفظ حديث الصَّدفيِّ المتقدِّم، أخرجه نعيمُ بنُ حماد في (الفتن)(٣).

وعن شَهْر بنِ حَوْشب مرسلاً... بنحو حديث عمرو بن شُعيب السَّابق، أخرجه نعيم بن حمَّاد(٤).

وعن عثمان ﷺ بلفظ: «المهديُّ من ولدِ عبَّاسٍ عمي» أخرجه الدار قطني في (الأفراد) والسُّيوطيُّ في (الجامع الصغير)(٥).

وعن أبي هُريرة ﷺ بلفظ: «يا عم، إنَّ الله ابتدأَ الإسلام بي، وسيختمه

= في الفتن، ما يكون بعد المهدي (١٢٠٣)، والخطيب البغدادي في تاريخه، باب أخبار أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور (١/ ٣٦٩).

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه، ترجمة عبد الله أمير المؤمنين القائم بأمر الله (١١/ ٤٧).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، ترجمة يحيى بن سعيد (٦٤/ ٢٦٧) وعزاه في كنز العمال (٣٨٧٠٣) إلى العقيلي وابن عساكر، ولم أجده في الضعفاء للعقيلي.

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن، ما يكون بعد المهدي (١١٤٦).

(٤) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن، اجتماع الناس بمكة وبيعتهم للمهدي (٨٩).

(٥) ذكره ابن طاهر المقدسي في أطراف الغرائب والأفراد للدار قطني مسند عثمان ﷺ (٢١٥)، والسيوطي في الجامع الصغير (٩٢٤٢).

بغلامٍ من ولدك، وهو الذي يتقدَّم عيسى ابن مريم» أخرجه أبو نُعيم في (الحلية)[١].

وعن عمَّار بن ياسر ﷺ بلفظ: «يا عبَّاس إنَّ الله بدأ بي هذا الأمر وسيختمه بغلامٍ من ولدكِ يملؤها عدلاً كما مُلئِت جَوْراً، وهو الذي يُصلِّي بعيسى ابن مريم» أخرجه الدار قطني في (الأفراد) والخطيب وابن عساكر[٢].

قال الشَّوكاني في (التَّوضيح) قلتُ: ويُمكن الجمع بين هذه الثلاثة أَحاديث وبين سائر الأحاديث المتقدِّمة بأنَّه من ولد العباس من جهة أُمِّه، فإنْ أَمكن الجمع بهذا وإلَّا فالأَحاديث أنَّه من ولد النَّبي ﷺ أرجح.

وأمَّا حديث أَنَس ﷺ الذي أخرجه ابن ماجه والحاكم في (المستدرك) بلفظ: «لا يزداد الأمر إلَّا شدَّةً ولا الدُّنيا إلَّا إدباراً ولا الناس إلَّا شُحّاً، ولا تقوم السَّاعة إلَّا على شرار النَّاس، ولا مهدي إلَّا عيسى بن مريم»[٣] فيمكن أنْ يقال في تأويله: لا مهدي كاملٌ، ولا شكَّ أنَّ عيسى أكملُ من المهدي لأنَّه نبي الله.

وهذا التَّأويل متحتِّم لمخالفة ظاهره للأحاديث المتواترة كما سردناها، انتهى.

قلتُ: حديث «لا مهدي إلَّا عيسى» أخرجه محمد بن خالد الجَنَدي عن

---

(١) عزاه في كنز العمال (٣٨٦٩٣) لحلية الأولياء، ولم أجده في الحلية.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد، ترجمة أحمد بن الحجاج بن الصلت (٥/ ١٨٨) وابن عساكر في تاريخ دمشق، ترجمة العباس بن عبد المطلب ﷺ (٢٦/ ٣٥٠) ولم أجده في أطراف الغرائب والأفراد للدار قطني، وقد عزاه في كنز العمال (٣٨٦٩٤) للدار قطني في الأفراد والخطيب وابن عساكر.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب شدة الزمان (٤٠٣٩)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٤٤١) كلاهما من حديث محمد بن خالد الجندي عن أنس ﷺ.

أنَس أيضاً، وسنده مختلفٌ عليه، وفيه راوٍ مجهول وضعَّفه الحفّاظ، وفيه اضطراب وانقطاع كما قال الحافظ ابن القيم، وأحاديث المهدي أصح إسناداً منه[١].

وفي الباب روايات عن جماعة من الصَّحابة.

قال السَّفَّاريني: الصَّواب الذي عليه أهل الحقّ أنَّ المهدي غير عيسى، وأنَّه يخرج قبل نزوله ﷺ، وقد كثرت بخروجه الرُّوايات حتَّى بلغت حدَّ التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السُّنَّة، حتَّى عُدَّ من معتقداتهم[٢].

وعن عليِّ بن عليٍّ الهلالي [عن أبيه] ـ وهو حديثٌ طويل، والذي يتعلق بما نحن بصدده ـ: «يا فاطمة والذي بعثني بالحقِّ إنَّ منهما ـ يعني الحسنين ـ مهديّ هذه الأمة إذا صارت الدُّنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهرت الفتن، وتقطَّعت السُبل، وأغار بعضهم على بعضٍ فلا كبيرٌ يرحم صغيراً، ولا صغيرٌ يوقِّر كبيراً، فيبعث الله عند ذلك منهما من يفتح حصون الضَّلالة وقلوباً غُلْفاً يقوم بالدِّين آخر الزَّمان كما قُمْتُ به أول الزَّمان، ويملأ الدُّنيا عدلاً كما مُلئت جوراً» أخرجه الطبراني في (الكبير) و (الأوسط) بطوله.

وفيه: الهيثم بن حبيب، قال أبو حاتم: منكر الحديث وهو متَّهم بهذا الخبر، كذا نقله الهيثمي في فضائل أهل البيت من كتابه (مجمع الزوائد) فليُنْظَر هنالك[٣].

وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كذَّبَ بالمهدي فقد كفر، ومن كذَّب بالدَّجال فقد كذب».

---

(١) المنار المنيف لابن قَيِّم الجوزية ص (١٤١).

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٨٤).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، أخبار الحسن بن علي (٢٦٧٥)، وانظر مجمع الزوائد للهيثمي (١/ ٢٦٠).

وقال في طلوع الشَّمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب. أخرجه أبو بكر بن خثيمة في جَمْعِهِ للأحاديث الواردة في المهدي ـ على ما نقله السُّهيلي ـ.

ورواه أبو بكر الإسكاف في (فوائد الأخبار) مسنداً إلى مالك بن أنَس، عن محمد بن المنكدر عن جابر[١].

قال السفاريني: وسندهُ مرضيٌّ[٢].

قال ابن خلدون: وحسبك هذا غلواً، والله أعلم بصحة طريقه إلى مالك بن أنس، على أنَّ أبا بكر الإسكاف عندهم متَّهم وضَّاع[٣].

وعن أبي إسحاق السَّبيعي قال: قال عليٌّ ـ ونظر إلى ابنه الحسن ـ: «إنَّ ابني هذا سيِّد ـ كما سَّماه رسول الله ﷺ، وسيخرج من صُلبه رجلٌ يسمَّى باسم نبيكم، يُشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق يملأ الأرض عدلاً» أخرجه أبو داود عن طريق هارون بن المغيرة، عن عمرو بن أبي قيس، عن شعيب بن خالد، عن السَّبيعي.

وقال هارون: حدثنا عمرو بن أبي قيس عن مطرِّف بن طَريف، عن أبي الحسن، عن هلال بن عمرو سمعت علياً رضي الله عنه يقول: قال النبي ﷺ: «يخرجُ رجلٌ من وراء النَّهر يقال له: الحارث، على مقدمته رجلٌ يقال له: منصور، يوطِّئ أو يمكِّن لآل محمد، كما مكَّنت قريشٌ لرسول الله ﷺ، وجب على كلِّ مؤمن نصرُه، أو قال: إجابته» وسكت عليه أبو داود[٤].

وقال في موضع آخر في (هارون) هو من ولد الشيعة.

وقال السليماني: فيه نظر.

---

(١) الروض الأنف للسهيلي (٢/ ٤٣١).

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٨٤).

(٣) مقدمة ابن خلدون، الفصل الثالث والخمسون في أمر الفاطمي ص (٣٨٩).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب المهدي (٤٢٩٠).

وقال أبو داود في عمرو بن أبي قيس: لا بأس به، في حديثه خطأ.

وقال الذَّهبي: صدوق له أوهام[١].

وأما أبو إسحاق السَّبيعي وإنْ خرَّج عنه في الصَّحيحين، فقد ثبت أنَّه اختلط آخر عمره وروايته عن عليٍّ منقطعة، وكذلك رواية أبي داود عن هارون بن المغيرة.

وأما السَّند الثاني ففيه (أبو الحسن) وهلال بن عمرو وهما مجهولان، ولم يُعْرَف أبو الحسن إلَّا من رواية مطرِّف بن طريفٍ عنه، انتهى[٢].

وعن أبي سعيدٍ ﷺ بلفظ: «المَهدي منَّا ـ أَهلَ البيت ـ أَشمُّ الأَنف، أَقْنى أَجلى، يملأ الأَرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت جَوْراً وظُلماً، يعيش هكذا وبسط يساره وأُصبعين من يمينه ـ السبابة والإبهام ـ وعقد ثلاثة» أخرجه الحاكم في (المستدرك) وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم، ولم يخرِّجاه، انتهى[٣].

وفيه: عمران القطان عن قتادة عن أبي نضرة و(عمران) مختلفٌ في الاحتجاج به، إنَّما أخرج له البخاريُّ استشهاداً لا أصلاً كما تقدَّم[٤].

وعنه أيضاً نحو حديث أبي هريرة ﷺ المتقدِّم الذي فيه ذِكْر (كدوس) أخرجه ابن ماجه والحاكم من طريق زيد العمِّي، عن أبي الصِّدِّيق النَّاجي[٥].

---

(١) انظر تهذيب الكمال، ترجمة هارون بن المغيرة (٣٠/ ١١٠)، وميزان الاعتدال (٤/ ٢٨٧).

(٢) مقدمة ابن خلدون، الفصل الثالث والخمسون في أمر الفاطمي ص (٣٩١).

(٣) أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٥٥٧)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي: عمران ضعيف ولم يخرج له مسلم.

(٤) تقدمت ترجمته في ص (١٢٠ ـ ١٢١).

(٥) أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب خروج المهدي (٤٠٨٣)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٥٥٨).

وزيدٌ العمِّي وإن قال فيه الدار قطني وأحمد وابن معين: إنَّه صالح، وزاد أحمد: أنَّه فوق يزيد الرّقاشي وفضل بن عيسى. إلَّا أنَّه قال فيه أبو حاتم: ضعيف يُكتب حديثه، ولا يحتجُّ به.

وقال ابن معين في روايةٍ أُخرى: لا شيء.

وقال الجوزجاني: متماسك.

وقال أبو زُرعة: ليس بقويّ واهي الحديث ضعيف.

وقال أبو حاتم أيضاً: ليس بذاك، وقد حدَّث عنه شعبة.

وقال النَّسائي: ضعيفٌ.

وقال ابن عديّ: عامَّة من يروي عنهم وما يرويه ضعفاء، على أنَّ شُعبة قد روى عنه، ولعل شُعبة لم يرو عن أضعف منه[١].

وعنه أيضاً بلفظ: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «تُملأُ الأرض جَوْراً وظُلماً، فيخرُج رجلٌ من عترتي فيملك سَبْعاً أو تسعاً، فيملأُ الأرض عدْلاً وقسطاً كما مُلئت جَوْراً وظُلماً» أخرجه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم[٢].

وإنَّما جعله على شرط مسلم، لأنَّه أخرجه عن حمَّاد بن سلمة عن شيخه مَطَر الورَّاق، وأما شيخه الآخر وهو أبو هارون العبدي فلم يُخرج له، وهو ضعيف جداً متَّهم بالكذب، ولا حاجة إلى بسط القول عن الأئمة في تضعيفه.

وأمَّا الرَّاوي له عن حمَّاد بن سلمة وهو (أسد بن موسى) يلقب (أسد السُّنة) وإن قال البخاري: مشهورُ الحديث، واستشهد به في صحيحه، واحتجَّ به أبو داود والنَّسائي إلَّا أنَّه قال مرة أُخرى: ثقة لو لم يصنِّف كان خيراً له،

---

(١) تهذيب الكمال، ترجمة زيد بن الحواري العمي (١٠/٥٦).

(٢) أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم (٤/٥٥٨)، وسكت عنه الذهبي.

وقال فيه محمد بن حزم: منكر الحديث[١].

وعن أنَس بن مالك ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «نحنُ ولدُ عبدِ المطلب، سادات أهل الجنَّة أنا وحمزة وعليٌّ وجعفر والحسنُ والحسين والمهدي» أخرجه ابن ماجه من طريق سعدِ بنِ عبدِ الحميد بنِ جعفر، عن عليِّ بن زياد اليمامي عن عِكْرمة بن عمّار عن إسحاقِ بنِ عبدِ الله عن أنس[٢].

وعكرمة بن عمار، وإن أخرج له مسلم فإنَّما أخرج له متابعة، وقد ضعَّفه بعضٌ ووثَّقه آخرون.

وقال أبو حاتم الرازي: هو مدلِّس فلا يُقبل إلَّا أنَّ يصرَّح بالسَّماع[٣].

وعليُّ بنُ زياد قال الذهبي في (الميزان): لا ندري من هو؟ ثمَّ قال: الصَّواب فيهِ: عبدُ الله بنُ زياد[٤].

وسعدُ بنُ عبد الحميد، وإن وثَّقه يعقوبُ بنُ أبي شيبة، وقال فيه ابنُ معين: ليس به بأس، فقد تكلَّم فيه الثَّوريُّ، قالوا: لأنَّه رآه يُفتي في مسائل ويُخطئ فيها.

وقال ابنُ حبَّان: كان ممن فَحُشَ خطؤه فلا يحتجُّ به.

وقال أحمد: سعد يدَّعي أنَّه سمع عرض كُتب مالك، والناس ينكرون عليه ذلك. وهو ها هنا ببغداد لم يحجَّ فكيف سمعها؟

وجعله الذَّهبي: ممَّن لم يقدح فيه كلام من تكلَّم فيه[٥].

---

(١) تهذيب الكمال، ترجمة أشد بن موسى (٢/ ٥١٢)، وميزان الاعتدال (١/ ٢٠٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب خروج المهدي (٤٠٨٧).

(٣) تهذيب الكمال، ترجمة عكرمة بن عمار (٢٠/ ٢٥٦).

(٤) انظر ميزان الاعتدال، ترجمة علي بن زياد (٣/ ١٢٧)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٢٨٣).

(٥) انظر الأقوال السابقة في تهذيب الكمال، ترجمة سعد بن عبد الحميد (١٠/ ٢٨٥)، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ص (٤٢٩)، وميزان الاعتدال (٢/ ١٢٤).

وعن ابن عباس ﷺ موقوفاً عليه، قال مجاهد: قال لي ابنُ عبَّاس: لو لم أسمع أنَّك مثل أهل البيت ما حدَّثتك بهذا الحديث، قال: فقال مجاهد: فإنَّه في سِتْرٍ لا أذكره لمن يَكره قال: فقال ابن عبَّاس: منَّا أهل البيت أربعة: منا السَّفَّاح، ومنَّا المنُذر، ومنَّا المنصور، ومنَّا المهدي. قال: فقال مجاهد: بيِّن لي هؤلاء الأربعة؟ فقال ابن عباس ﷺ:

أمَّا السَّفاح فربَّما قتَلَ أنصاره وعفا عن عدوِّه.

وأما المُنذر أراه قال: فإنَّه يعطي المال الكثير، ولا يتعاظم في نفسه ويُمسك القليل من حقِّه.

وأمَّا المنصور فإنَّه يُعْطَى النَّصر على عدوِّه الشَّطر مما كان يُعطى رسولُ الله ﷺ ويَرهبُ منه[1] عدوُّه على مسيرة شهرين، والمنصور يَرهبُ منه عدوُّه على مسيرة شهر.

وأمَّا المهدي فالذي يملأ الأرض عْدلاً كما مُلِئتَ جَوْراً، وتأمنُ البهائم والسِّباع وتُلقي الأَرض أَفلاذَ أَكبادِها.

قال: قلت: وما أَفلاذ أَكبادها؟ قال: أَمثال الأسطوانة من الذَّهب والفضة. أخرجه الحاكم في (المستدرك) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وهو من رواية إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن أبيه وإسماعيل ضعيف، وإبراهيم أبوه، وإن خرَّج له مسلم، فالأكثرون على تضعيفه[2].

وعن جعفر عن أبيه عن جدِّه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَبشروا أَبشروا إِنَّما مَثَلُ أُمَّتي مثل الغيث لا يُدرى آخره خيرٌ أَم أَوَّله، أَو كحديقةٍ أَطعم فيها

---

(١) أي: من النبي ﷺ وفي المستدرك (يرعب منه)، ولم يذكر حرف (الواو) قبل الفعل (يرعب).

(٢) أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٥١٤) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: أين منه الصحة وإسماعيل مجمع على ضعفه، وأبوه ليس بذاك.

فوجٌ عاماً ثمَّ أطعم فيها فوج عاماً لعلَّ آخرها فوجاً أنْ يكون أعرضها عرضاً، وأعمقها عمقاً وأحسنها حسناً، كيف تهلِكُ أُمَّة أنا أولها، والمهدي وسطها، وعيسى بن مريم آخرها، ولكن بَيْنَ ذلك فَيْجٌ[١] أعوج ليسوا منِّي ولا أنَّا منهم» أخرجه رَزينٌ وأبو نُعيم[٢].

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيْتم الرَّايات السُّود جاءت من قِبل خُراسان فأتوها ولو حبواً على الثَّلج فإنَّ فيها خليفةَ الله المهديَّ» رواه أحمد والبيهقيُّ في (دلائل النبوة)[٣] وسندُه صحيح، وتقدَّم نحوه عن ثوبان رضي الله عنه مطوَّلاً بروايةِ ابن ماجه[٤].

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكونُ بعدي بُعوثٌ كثيرةٌ، فكونوا في بعث خُراسان» رواه ابنُ عديٍّ وابن عساكر والسيوطي في (الجامع الصغير) وليس فيه ذكر المهدي[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرج من خُراسان راياتٌ سود لا يردُّها شيءٌ حتَّى تُنصب بإيليا» رواه الترمذي[٦].

---

(١) قال ابن الأثير: الفيج والفوج: الجماعة من الناس، جامع الأصول (٩/ ٢٠٣). وفي حلية الأولياء: (نهج أعوج).

(٢) ذكره ابن الأثير في جامع الأصول (٩/ ٢٠٢) وعزاه لرزين، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء من حديث عروة بن رويم مرسلاً (٦/ ١٢٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٧٧)، والبيهقي في دلائل النبوة، جماع أبواب أسئلة اليهود وغيرهم (٦/ ٥١٦).

(٤) تقدم في ص (١٢٢).

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال، ترجمة حسام بن مصك (٢/ ٤٣٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق، باب فضل ذكر مقابر أهل دمشق (٢/ ٤١٣)، وذكره السيوطي في الجامع الصغير (٤٧٧٤).

(٦) أخرجه الترمذي في الفتن، باب (٢٢٦٩)، وقال حديث غريب.

وحمله بعضُ علماء الهند من أهل المشرق على المهديِّ الأوسط، ثمَّ حمله على السيد أحمد البريلوي[١]، لأنَّه جاهد في الناحية الغربية من الهند، وجاءتْ راياته من قِبَل خُراسان، وفي هذا الاستدلال نظرٌ واضحٌ، بل ليس عليه أثارةٌ من علمٍ، والسَّيد قد غَزا واستشهد رحمه الله، ولم يدَّع المهدوية.

قال السَّفاريني: إنَّ الواجب اعتقادُه من ذلك ما دلَّت عليه الأَخبار الصَّحيحة والآثار الصَّريحة من وجود المهدي المنتظر الذي يخرجُ الدَّجال، وينزل عيسى عليه السَّلام في زمانه، وهو المراد حيث أُطلق المهدي، وأَمَّا المذكورون قبله فلم يصح فيهم شيءٌ، والذين من بعده فأُمراء صالحون، لكن ليسوا مثله فهو آخرهم في الوجود وإمامُهم وخيرهم وأَفضلهم في الحقيقة.

والمراد غير عيسى ابن مريم عليه السلام فإنَّه رسولٌ كريم من أُولي العزم، وهو آيةٌ وعلامة وحده.

فيجبُ الإيمان بخروج المهدي ونزوله وخروج الدَّجال اللَّعين، انتهى[٢].

وهذا القول صريحٌ في نفي المهديين قبل المهدي الموعود، وأنَّ من ادَّعى ذلك فإنَّه دعوى لا تصح ولا توافقه الأدلة والله أعلم.

وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه قال: ذكَر رسولُ الله ﷺ «بلاءً يُصيب هذه الأُمَّة حتَّى لا يجد الرَّجل ملجأً يلجأُ إليه من الظُّلم، فيبعث الله رجلاً من عترتي وأَهل بيتي فيملأ به الأرضَ قِسطاً وعدْلاً كما مُلِئت ظُلماً وجوْراً، يرضى عنه ساكن السَّماء وساكن الأَرض، لا تدع السَّماء من قطرها شيئاً إلَّا صبَّتْه، ولا تدعُ الأرض من نباتها شيئاً إلَّا أخرجته حتَّى يتمنَّى الأَحياءُ

---

(١) أحمد بن عرفان الشهيد رحمه الله وقد تقدم ذكره ص (١٣٩).

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ١٢٧).

الأَموات، يعيشُ في ذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين» أخرجه الحاكم في (المستدرك) وصحَّحه[١]، وقد تقدَّم نحوه.

قال القرطبي: ويُروى هذا من غير وجه عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ[٢].

وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «العجب أنَّ أُناساً من أُمَّتي يَؤُمُّون البيت لرجلٍ من قريش قد لجأَ بالبيت، حتَّى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم، فيهم المستبصر والمجبور وابنُ السبيل، يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون[٣] مصادر شتَّى، يبعثهم الله على نيَّاتهم» رواه مسلم وليس في ذلك تصريح بالمهدي[٤].

وعن جابرٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي يقاتلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزلُ عيسى ابنُ مريم فيقولُ أَميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إنَّ بعضَكُم على بعضٍ أُمراء، تكرمَة الله هذه الأُمَّة» رواه مسلم[٥].

وليس فيه أيضاً ذكر المهديِّ، ولكن لا محمل له ولأَمثاله من الأَحاديث إلَّا المهديُّ المنتظر، لما دلَّت على ذلك الأَخبار المتقدمة والآثار الكثيرة.

هذه جملة الأَحاديث التي خرَّجها الأَئمةُ في شأْنِ المهدي، وهي كما رأَيْتَ يُقوي بعضُها بعضاً، وفيه ثمانية وعشرون أثراً عن الصَّحابة الكبار عند أهل العلم بالحديث، ومثله لا يقال بالرأي.

---

(١) أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٤٦٥)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: سنده مظلم.

(٢) التذكرة للقرطبي ص (١٢٠٣).

(٣) أي: يبعثون.

(٤) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (٢٨٨٤).

(٥) أخرجه مسلم في الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم (١٥٦).

وقد امتلأَتْ كُتب المتأخرين من المتصوفة والمشايخ في أَمر الفاطمي المنتظر، ولم يكن المتقدمون منهم يخوضون في شيءٍ من هذا، إنَّما كان كلامهم في المجاهدة بالأَعمال، وما يحصل منها من نتائج المواجد، والأَحوال، حتَّى أكثر القول فيه، وفي شأنه كلُّه:

ابن العربي الحاتمي، في كتاب (عنقاء مغرب).

وابن قسِيّ، في كتاب (خلع النعلين).

وعبد الحق بن سَبْعين وابن أبي واصل تلميذه في شرحه لكتاب (خلع النعلين) وأَغلب كلماتهم في شأنْه ألغازٌ وأَمثال وربَّما يصرَّحون في الأَقلِّ أو يصرِّح مفسروا كلامهم وكأَنَّه كلُّه مبني على أُصول واهية.

وربما يستدلُّ بعضهم بكلام المنجِّمين في القِرانات[1]، وهو من نوع الكلام في الملاحم.

ومذاهب الصُّوفية، وأقوالهم ليست من غرضنا في هذا الكتاب، ولا في غيره، فإنَّا لا نتمسك في الدين إلَّا بالقرآن والحديث ولا ندين الله إلَّا بهما.

وقد بسط القول في ذلك القاضي ابن خلدون في كتابه (العبر) وردَّ عليهم في هذا ردّاً مُشبَعاً، ثمَّ قال: والحقُّ الذي ينبغي أنْ يتقرَّر لديك أنَّه لا يتمُّ دعوة من الدِّين والملك، إلَّا بوجود شوكةٍ عصيبةٍ تظهره وتدافع عنه حتَّى يتمَّ أمرُ الله، وقد قرَّرنا ذلك من قَبْل بالبراهين القطعية التي أريناك هناك، وعصبية الفاطميين، بل وقريش أجمع قد تلاشَت من جميع الآفاق، ووُجِد أُمم آخرون قد استَعْلَت عصبيتهم على عصبية قريش، إلَّا ما بقي بالحجاز في مكة، وينبغ

---

(١) علم القِرانات: علم يبحث عن الأحكام الجارية في العالم بسبب قران النجوم أو الكواكب في درجة واحدة من برج معين. وهو من علوم الأوائل. ينظر كشف الظنون (٢/ ١٣٢٤). أقول: وليس لهذا العلم مستند شرعي من كتاب أو سنة. العلم فيه لا ينفع والجهل لا يضر والله أعلم.

بالمدينة من الطَّالبيين من بني حسن وبني حُسين، وبني جعفر، منتشرون في تلك البلاد، وغالبون عليها، وهم عصائب بدوية متفرِّقون في مواطنهم وإمارتهم وآرائهم، يبلغون آلافاً من الكثرة، فإنْ صح ظهور هذا المهدي، فلا وجه لظهور دعوته إلَّا بأَنْ يكون منهم، ويؤلِّف الله بين قلوبهم في أتباعه حتَّى تتم له شوكةٌ وعصبيةٌ وافيةٌ بإظهار كلمته، وحمل النَّاس عليها، وأمَّا على غير هذا الوجه مثل أَنْ يدعو فاطمي منهم إلى مثل هذا الأمر في أُفق من الآفاق من غير عصبية، ولا شوكة إلَّا مجرد نسبة في أهل البيت، فلا يتمُّ ذلك ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين الصَّحيحة، انتهى[1].

أقول: لا شكَّ في أنَّ المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام لما تواتر من الأخبار في الباب، واتَّفق عليه جمهور الأُمَّة سَلَفاً عن خلف، إلَّا من لا يُعتدُّ بخلافه.

وليس القول بظهوره بناء على أقوال الصُّوفية ومكاشفاتهم، أو أهل التَّنجيم، أو الرأي المجرَّد، بل إنَّما قال به أَهلُ العلم لورود الأَحاديث الجمَّة في ذلك، فقول ابن خلدون: فإنْ صحَّ ظهوره، لا يخلو عن مسامحة ونوع إنكارٍ من خروجه، وتلك الأحاديث واردةٌ عليه، وليست بدونٍ من الأحاديث التي ثبتت بها الأحكام الكثيرة المعمول بها في الإسلام.

وما ذُكر من جرح الرُّواة وتعديلهم يجري في رجال الأَسانيد الأُخرى أيضاً بعينه أو بنحوهِ، فلا معنى للرَّيْب في أمر ذلك الفاطمي الموعود المنتظر المدلول عليه بالأَدلَّة، بل إنكار ذلك جُرأَةٌ عظيمةٌ في مقابلة النُّصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حدِّ التَّواتر.

---

(١) مقدمه ابن خلدون، الفصل الثالث والخمسون في أمر الفاطمي ص (٤٠٨).

وأمَّا أنَّه لا تتم شوكة أحدٍ إلَّا بالعصبية فَنَعم، ولكنَّ الله تعالى قادرٌ على خَرْقِ العادة، ويؤيد دينه كيف يشاء.

وهذا الاحتمال وإنْ كان مطابقاً لما في الخارج فلا يصلُح لأنْ تُردَّ به الأَحاديث النبوية، فهذا زلَّةٌ صدرت من ابن خلدون رَحِمَهُ اللَّهُ، وليست من التَّحقيق في صدر ولا وِرْدٍ فلا تغترَّ به واعتقد ما جاء عن رسول الله ﷺ وفوِّض حقائقه إليه تعالى تكن على بصيرة من أَمر دينك.

قال الشيخ العلامة محمد بن أحمد السَّفاريني الحنبلي في كتابه: (لوامع الأَنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية): وقد رُوي عمَّن ذُكر من الصَّحابة وغير ما ذكر منهم بروايات متعددة، وعن التابعين ومن بعدهم ما يفيد مجموعُهُ العلمَ القَطْعي.

فالإيمان بخروج المهدي واجبٌ كما هو مقرَّرٌ عند أَهل العلم، ومدوَّن في عقائد أَهل السُّنة والجماعة.

ونقل العلامة الشَّيخ مرعي في كتابه (فوائد الفكر) عن محمد بن الحسين أنَّه قال: قد تواترت الأَحاديث واستفاضت بكثرة رواتِها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي وأنَّه من أَهل بيته ﷺ انتهى[1].

وجملة القول في المهدي: أنَّه من ولد فاطمة من أولاد الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ وقيل: من نسل الحسين، وقيل: من ولد عباس، والأول أصح.

وقال بعض حفاظ الأمة وأعيان الأئمة: إنَّ كون المهدي من ذرِّيته ﷺ ممَّا تواتر عنه فلا يسوغ العدول والالتفات إلى غيره[2].

قال ابن حجر: يُمكن الجمع بأنَّ ولادته العظمى من الحسن، أو الحسين

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٨٤ ـ ٨٦).

(٢) نقل السفاريني هذا القول وكذا الأقوال السابقة في لوامع الأنوار البهية (٢/ ٧٣).

وللآخر فيه ولادة من جهة بعض أُمهاته، وكذلك للعباس ولادة أيضاً، ولا مانع من اجتماع ولادات متعددات في شخصٍ واحدٍ من جهات مختلفة.

واسمه محمد أو أحمد، والأوَّل أشهر.

واسم أبيه عبد الله[١].

قال في (اللوامع) ولم نقف على اسم أُمِّ المهدي بعد الفحص والتَّتبع، انتهى[٢].

وكنيته: أبو القاسم أو أبو عبد الله.

وإنَّما سُمي المهدي لأنَّه يُهدى إلى أمرٍ خفي، أو إلى جبل من جبال الشَّام، ويُخرِجُ منها أسفار التوراة والإنجيل يحاجّ بها اليهود والنَّصارى، فيُسْلِم على يده جماعة منهم.

ولقبه: جابر لأنَّه يجبر قلوب أُمَّة محمد ﷺ ويقهر الجبَّارين والظَّالمين ويقصمهم.

ومولده: بالمدينة، وقال القُرطبي: ببلاد المغرب[٣].

ومهاجرُه: بيت المقدس.

ومبايعته: بمكَّة بين الرُّكن والمقام ليلة عاشوراء.

وسيرتُه: العمل بكتاب الله وسنَّة رسوله ولا يُقلِّد أحداً، بل يشتدُّ غضبُه على المقلِّدين.

قال السَّفاريني في (اللَّوامع): يقاتل على السُّنة لا يترك سنة إلَّا أقامها،

---

(١) القول المختصر في علامات المهدي المنتظر لابن حجر الهيثمي ص (٢٣) وما بعدها.
(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٨١).
(٣) التذكرة للقرطبي ص (١٢٠٦).

ولا بدعة إلَّا رفَعها، يقوم بالدِّين آخر الزمان، كما قام به النبيُّ ﷺ أوله. انتهى[١].

وزاد في (الفتوحات): أعداؤه: المقلِّدة[٢].

وأما مُدَّته فاختلفت الرِّوايات فيها، ففي بعضها يملك خمساً أو سبعاً أو ستاً بالتَّرديد، وفي بعضها تسعة عشر سنة وأشهر، وفي بعضها عشرين. وفي بعضها ثلاثين، وفي بعضها أربعين، منها تسع سنين يُهادن الرُّوم فيها.

قال السَّفاريني: ويُمكن الجمع على تقدير صحَّة الكلِّ بأنَّ مُلكه متفاوت الظهور والقوة فيحمل الأكثر باعتبار جميع مدة الملك منذ البيعة، والأقل على غاية الظُّهور، والأوسط على الأوسط، انتهى[٣].

وقوّاه في (الإشاعة)[٤].

وعندي أنَّ الأصَحَّ من ذلك ما ورد في الأحاديث الصحيحة، والله أعلم.

وله أماراتٌ يُعرف بها ذكَرَها في (الإشاعة)[٥]، وعلامات جاءت بها الآثار، ودلَّت عليها الأحاديث والأخبار ذكرها الشيخ مرعي في (فوائد الفكر في ظهور المهدي المنتظر).

❀ ❀ ❀

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٨٣).

(٢) نقله البرزنجي عن الشيخ ابن عربي الطائي في الفتوحات المكية، الباب السادس والستين وثلاثمئة. انظر الإشاعة ص (١٦٧).

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٣).

(٤) الإشاعة لأشراط الساعة البرزنجي ص (١٥٥).

(٥) انظر الإشاعة لأشراط الساعة ص (١٤٣) وما بعدها.

باب في الفتن الواقعة قبل خروجه

منها: حسْرُ الفُرات عن جبلٍ من ذهب.

ومنها: خروج السُّفياني، والأبقع، والأصهب، والأعرج الكندي، والمنصور، والحارث، وهي صفات وألقاب لا أسماء لهم فليُعلم.

ومنها: قتال الخُراسانيّ بالسُّفياني، وخروج رجلٍ من كلب يقال له: كنانة.

والملحمة الكُبرى وذلك بعد هلاك السُّفياني.

ومنها: قتل النَّفْس الزَّكية وهو غير من قُتل في زمن المنصور العباسيّ.

وطلوع الرَّايات السُّود من قِبَل خُراسان.

وقذف الأرض أفلاذَ كبدها من الذَّهب والفضة.

وخسف مَعْدَنٍ في الحجاز.

وخسف قرية بالغوطة غربي دمشق.

وخسفٌ بالبيداء.

وانكساف الشَّمس والقمر في رمضان.

وطلوع القرن ذي السنين.

وطلوع النجم ذي الذَّنب.

وخسوف القمر مرتين.

وخروج نارٍ من قبل المشرق.

ووقعة بالمدينة عظيمة.

والنداء من السماء أنَّ الحق في آل محمد.

وطلوع الكف من السماء.

وإخراج كنز الكعبة وخزائنها.

وكون لخمسين امرأة قيّمٌ واحد.

وفتح القسطنطينية والرُّومية.

وخروج الدجال.

وفي كلٍّ ذلك أخبارٌ وآثار ثابتة ذكرناها في (حجج الكرامة) وذكرها السيد محمد في (الإشاعة) مبسوطةً مفصَّلةً فيها.

طوبى لمن أدرَكه وكان من أنصاره، والويل كلُّ الويل لمن خالفه، وخالف أمره.

وقال الإمامية: إنَّ المهدي، وهو محمَّد بنُ الحسن العَسْكري، وهي دعوى بلا دليل.

وقال السَّفاريني: (ذلك ضربٌ من الجنون والهَذَيان) ثمَّ ردَّها عليهم ردَّاً بالغاً، وقال: فعلى عقولهم العَفَار، وعلى أفهامم البوار، ما أضلَّ علومَهم وأبلد فهومهم، انتهى[1].

وادَّعى (محمد بنُ تومرت) الظَّالم المتغلِّب أنَّه المهديّ، كذا قال في (الإشاعة)[2].

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٥).

(٢) الإشاعة ص (١٨٦).

وذكر الشيخ عليٌّ المتَّقي في رسالته: أنَّ في زمانه خرَج رجلٌ بالهند ادَّعى أنَّه المهدي المنتظر، واتبَّعه خلق كثير، انتهى[١].

قلت: وهذا هو السَّيِّد محمد الجونفوري الذي تقدَّم ذكره.

قال: وظهر بجبال شهروز، بقرية أَزمك رجلٌ يسمى (محمداً) وادَّعى أنَّه المهديّ.

وظهر رجل بجبال عقر، أو العمادية ويُسمى عبد الله وادَّعى المهدوية، انتهى[٢].

قلت: وادَّعى جماعة من المشايخ والصُّوفية أنَّهم المهديون، ثمَّ تابوا عن هذه الدعوى المنتنة.

فهؤلاء الذين ادَّعوا المهدوية بالباطل، واتَّبعهم بعض السُّفهاء، وحصلت منهم فِتَنٌ ومفاسد كثيرةٌ في الدين، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في (حجج الكرامة) فلا نطوِّل بذكرها هنا.

❀ ❀ ❀

(١) نقل كلامه البرزنجي في الإشاعة ص (١٨٧).

(٢) الإشاعة ص (١٨٧).

باب في خروج الدَّجال

وما أدراك ما الدَّجال منبع الكِفر والضَّلال، ويُنبوع الفتن والأَوجال.

والأَحاديث الواردة فيه كثيرةٌ جداً ذكر منها الشَّوكاني في التَّوضيح مئة حديث، وهي في الصِّحاح والسُّنن، والمعاجم والمسانيد.

قال: وليس المراد هنا إلَّا بيان كون أحاديث خروج الدَّجال متواترة، والتَّواتر يحصل ببعض ما سقناه. وقد بقيت أحاديث وآثار عن جماعة من الصَّحابة تركنا ذكرها ووقفنا على هذه المئة التي أشرنا إليها وإلى من خرَّجها، انتهى.

وقال في (الإشاعة): وأَخبار الدَّجال تحتمل مجلدات أَفردَها غيرُ واحدٍ من الأئمة بالتَّأليف، انتهى[١].

قال: والكلام عليه يأتي في مقامات: في اسمه، ونسبه، ومولده، وحليته، وصورته، وفتنه، ومحل خروجه، ووقته، ومدته، وكيفية النجاة منه، ومن يقتله[٢].

ثم بسط في بيان ذلك كما بسطنا في (حجج الكرامة).

قال السَّفاريني: وقد أَنْذَرتْ به الأَنبياءُ قومَها وحذَّرت منه أُممها، ونَعَتَتْهُ

---

(١) الإشاعة ص (١٨٨).

(٢) الإشاعة ص (١٨٩).

بالنُّعوت الظَّاهرة، ووصفته بالأوصاف الباهرة، وحذَّر منه المصطفى وأنذر، ونَعَتَه لأُمَّته نعوتاً لا تخفى على ذي بصرٍ، انتهى[١].

عن عِمْرانَ بنِ حُصَين ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما بينَ خَلْقِ آدَمَ إلى قيامِ السَّاعة أَمرٌ أَكبرُ من الدَّجال» رواه مسلم[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ: «ثلاثٌ إذا خَرَجْن ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]: الدَّجال، والدابَّة، وطلوع الشَّمس من مغربها» رواه الترمذي صحَّحه[٣].

ومن دعواته ﷺ: «اللَّهم إنِّي أَعوذُ بكَ مِنْ فِتنةِ المَسيحِ الدَّجال»[٤].

وعن معاذ بن جبلٍ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «عمْران بيتِ المقدسِ خرابُ يَثْرِب، وخَرابُ يثْرِبَ خروجُ المَلْحَمة، وخروجُ المَلْحَمة فتحُ قُسطنطينيَّة، وفتح قسطنطينيةُ خروجُ الدَّجال» رواه أبو داود[٥].

وعنه في رواية: «وخروجُ الدَّجال في سبعة أشهرٍ» أي بعد فتحها، رواه الترمذي وأبو داود[٦].

وعن عبد الله بن بُسر ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بين المَلْحَمَةِ وفَتْحِ

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٦).

(٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال (٢٩٤٦).

(٣) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن، سورة الأنعام (٣٠٧٢)، وقال حديث حسن صحيح.

(٤) ورد في ذلك أحاديث كثيرة، منها ما أخرجه البخاري في الدعوات، باب التعوذ من فتنة الفقر (٦٣٧٧)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة (٥٨٩)، كلاهما عن عائشة ﷺ.

(٥) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب في أمارات الملاحم (٤٢٩٤).

(٦) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب في تواتر الملاحم (٤٢٩٥)، والترمذي في الفتن، باب علامات خروج الدجال (٢٢٣٤)، وقال حديث حسن غريب.

المدينةِ ستُّ سنين، ويَخْرُج الدَّجال في السَّابعة» رواه أبو داود وقال هذا أصح(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «بَادِروا بالأَعمالِ ستّاً: الدُّخانَ والدَّجالَ، ودَابَّةَ الأَرضِ وطُلوعَ الشَّمس مِنْ مَغْرِبها، وأَمرَ العامَّة، وخويصةَ أَحدكم» رواه مسلم(٢).

وعن عبد الله ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ الله لا يَخْفى عَلَيْكم، إِنَّ الله تعالى ليس بأَعور، وإِنَّ المسيحَ الدَّجال أَعورُ عيْنِ اليُمنى، كأَنَّ عينَهُ عنبةٌ طافيةٌ». منفق عليه(٣).

وعن أنس ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْ نّبيٍّ إِلَّا قَدْ أَنذَر أُمَّتهُ الأَعور الكذَّاب، ألا إِنَّه أَعور، وإِنَّ ربَّكُم ليسَ بأَعورَ، مكتوبٌ بيْنَ عيْنَيْهِ: ك ف ر» أخرجه الشَّيخان(٤).

وعن أبي هُريرة ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أَلَّا أُحدِّثكم حديثاً عن الدَّجالِ ما حدَّث به نبيٌّ قومَه، إِنَّه أَعورُ، وإِنَّه يجيءُ معهُ بمثلِ الجنَّةِ والنَّارِ فالتي يَقولُ إِنَّها الجنَّة هي النَّار، وإِنِّي أُنْذِرُكُم كما أَنْذَر به نوحٌ قومَه» متفقٌ عليه(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب في تواتر الملاحم (٤٢٩٥).

(٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال (٢٩٤٧).

(٣) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ (٣٤٣٩)، ومسلم في الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال (١٦٩)، وكلاهما من حديث عبد الله بن عمر ﷺ، ومعنى طافية: مرتفعة بارزة.

(٤) أخرجه البخاري في الفتن، باب ذكر الدجال (٧١٣١)، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٢٩٣٣).

(٥) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ (٣٣٣٨)، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته (٢٩٣٦).

وعن أنس ﷺ عن رسولِ الله ﷺ قالَ: «يتبعُ الدَّجالَ من يهود أصفهان سبعونَ ألفاً عليهم الطَّيالِسة» رواه مسلم(١).

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يتبعُ الدَّجالَ من أُمَّتي سبعونَ أَلفاً عليهم السِّيجان» رواه البغوي في (شرحِ السُّنَّة).

والسِّيجان: جمع ساج، وهو الطَّيلُسان الأَخضر، وقيل: المنقوش(٢).

وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ بنِ السَّكن، قالتْ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «يمكثُ الدَّجالُ في الأَرضِ أَربعين سنَة، السَّنَةُ كالشَّهر، والشَّهْر كالجُمعة، والجُمُعة كاليوم، واليوم كاضطرام السَّعْفَةِ في النَّار» رواه في (شرحِ السُّنَّة)(٣).

وعن المغيرةِ بنِ شُعبة ﷺ قالَ: ما سأَلَ أَحدٌ رسولَ الله ﷺ عن الدَّجالِ أكثر ممَّا سأَلْتُه، وإنَّه قالَ لي: «ما يضُرك؟» قلت: إنَّهم يقولون إنَّ معه جَبلَ خُبْزٍ ونهرَ ماءٍ؟ قالَ: «هو أَهونُ على الله من ذلِك» أَخرجَه الشَّيخان(٤).

وعن أبي هُريرة ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «يخرجُ الدَّجالُ على حمارٍ أَقمرَ ـ أي شديدُ البياض ـ ما بين أُذنَيْهِ سبعون ذِراعاً» رواه البيهقيُّ في كتاب (البعث والنشور)(٥).

وعن حذيفة ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الدَّجال أَعورُ العينِ اليُسرى، جُفَال الشَّعْرِ، معه جنَّتُه ونارُه فنارُه جَنَّةٌ وجنَّتُه نار» رواه مسلم(٦).

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال (٢٩٤٤).
(٢) أخرجه البغوي في شرح السنة، في الفتن، باب الدجال لعنه الله (٤٢٦٥).
(٣) أخرجه البغوي في شرح السنة، في الفتن، باب الدجال لعنه الله (٤٢٦٤).
(٤) أخرجه البخاري في الفتن، باب ذكر الدجال (٧٢١١)، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب في الدجال وهو أهون على الله ﷻ (٢٩٣٩).
(٥) ذكره الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح، كتاب الفتن، باب علامات بين يدي الساعة (٥٤٩٢)، وعزاه للبيهقي في البعث والنشور، ولم أجده في الكتاب المذكور.
(٦) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة وما معه (٢٩٣٤).

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ قالَ: حدَّثنا رسولُ اللهِ ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدَّجالِ، فكانَ فيما حدَّثنا: «يأتي وهو محرَّمٌ عليه أَنْ يدخلَ نِقابَ المدينة، فينتهي إلى بعضِ السِّباخ التي تلي المدينة، فيخرجُ إليه يومئذٍ رجلٌ هو خيرُ النَّاس، فيقولُ له: أَشهدُ أَنَّك الدَّجالُ الذي حدَّثنا رسولُ الله ﷺ حديثَه، فيقولُ الدَّجالُ: أَرأَيْتُم إنْ قتلتُ هذا ثمَّ أحييتُه أَتشكُّونَ في الأَمر؟ فيقولونَ: لا، قالَ فيقتُله ثمَّ يُحييه فيقولُ الرَّجلُ حين يحييه: واللهِ ما كنتُ فيكَ قطُّ أَشدَّ بصيرةً منِّي الآن، قالَ: فيريدُ الدَّجالُ أَنْ يقتُلَه فلا يُسلَّط عليه» أخرجه الشَّيخان[١].

وفي الباب أخبارٌ صحيحة في الصَّحيح وغيره بألفاظٍ.

قال القرطبيُّ في (تذكرته): يقالُ: إنَّه الخَضِر[٢]، وفيه بُعدٌ بعيد.

وقيل: رجلٌ من أَصحاب الكَهْفِ.

وورد أنَّهم يكونون من أصحاب المهدي.

وقيل رجلٌ من أهل المدينة[٣].

قال السَّفاريني: وورد أنَّه لم يبقَ من النَّاس بلا فتنة من الدَّجالِ إلَّا إثنا عشر أَلف رجلٍ وسبعة آلاف أمرأةٍ، انتهى[٤]. والله أعلم.

وورد في حديث تميم الدَّاري ﷺ قصَّة الدَّجال مفصَّلةً، وهو حديثٌ صحيحٌ طويلٌ أَخرجه: أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وأبو يعلى عن أبي هريرة ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة (١٨٨٢)، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه (٢٩٣٨).

(٢) أي الرجل الذي يقتله الدجال ثم يحييه. ينظر التذكرة للقرطبي ص (١٢٨٩).

(٣) نقل تلك الأقوال البرزنجي في الإشاعة ص (٢٠٤) وما بعدها.

(٤) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٩٤).

وأخرجه أيضاً أبو داود بسندٍ صحيح عن جابرٍ ﷺ.

وأمَّا حديث فاطمة الذي هو عُمدةُ البابَ، وأَشهرُ ما اشتُهر من هذا الحديث، فأَخرجه مسلمٌ في صحيحه، وأبو داود بمعناه، وابن ماجه، وقال الترمذيُّ حسنٌ صحيحٌ(١).

---

(١) التخريجات السابقة نقلها القنوجي من كتاب الإشاعة للبرزنجي ص (٢١٢)، وهو بدوره قد نقلها عن ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٣٢٨) وخبر تميم الداري أخرجه مسلم عن فاطمة بن قيس ﷺ في الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة (٢٩٤٢).
عن فاطمة بن قيس ﷺ أن النبي ﷺ جمع الصحابة وصعد المنبر وقال: «إني، والله! ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم، لأن تميماً الداري، كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني، أنه ركب في سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفؤوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره، من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك! ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم: انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سمَّت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانا، قال: فانطلقنا سراعاً، حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه، بالحديد، قلنا: ويلك! ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر، لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك! ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبروني عن نخل بيسان، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها، هل يثمر؟ قلنا له: نعم، قال: أما أنه يوشك أن لا تثمر، قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية، قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء، قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغر، قالوا: =

والأحاديث في أحوال الدَّجال لا تكاد تَنْحصِر كما أشرنا إلى ذلك.

وهو غير (ابنِ الصَّياد) الذي ولِدَ بالمدينة.

وهو إمَّا شيطانٌ موثَّقٌ في بعض الجزائر من أولاد شقّ الكاهن، أو هو شقُّ نفسه.

ولقبُهُ المسيحُ لأنَّ عينه اليُسرى ممسوحة، أو لأنَّه يمسح الأَرض، أي يقطعها.

قال المجد في (القاموس): اجتمع لنا في سبب تسميته بالمسيح خمسون قولاً، انتهى[1].

= عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة المـاء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيف صنع بهم فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه، قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وأني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطها في أربعين ليلة، غير مكة وطيبة، فهما محرمتان علي، كلتاهما، كل ما أردت أن أدخل واحدة، أو واحداً منهما، استقبلني ملك بيده السيف صلتاً، يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر: «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة» يعني المدينة «ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟» فقال الناس: نعم، «فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق، ما هو، من قبل المشرق، ما هو، من قبل المشرق، ماهو» وأومأ بيده إلى المشرق، قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ.

(١) لم يذكر المجد هذا القول في القاموس المحيط، وإنما حكاه عنه ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٩٤) حيث قال: وحكى شيخنا مجد الدين الشيرازي صاحب القاموس في اللغه أنه اجتمع له من الأقوال في سبب تسمية الدجال المسيح خمسون قولاً.

وصفتُه الدَّجال من الدَّجَل، وهو الخلط واللَّبْس والخَدْع: فهو الخدَّاع المُلَبِّس على النَّاس.

وذكر البغوي أنَّ المراد بالنَّاس في قوله سبحانه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]. الدَّجال، من إطلاق الكلِّ على البعض(١).

وحليتُه أنَّه رجلٌ شابٌّ، وفي رواية: شيخ، قال السَّفاريني: وسندهما صحيح، انتهى(٢).

جسيمٌ أَحمر، أَو أَبيضُ أَمهقُ، وفي رواية آدَم(٣)، قصير، أَفحج(٤)، جعد الرأس، قطط(٥)، أَعور العين اليُمنى كأنَّها عِنَبَةٌ طافية، وفي رواية: مطموس العين(٦)، متباعد ما بين السَّاقين، كأنَّ أَنفه منقارٌ عريض المنخر، تنام عيناه، ولا ينام قلبه.

يخرُج أولاً ويدَّعي الإيمان ويدعو إلى الدين، ثمَّ يدَّعي أنَّه نبيٌّ، ثمَّ يدَّعي الإلهية.

وفتنه كثيرةٌ لا تكاد تنحصر.

---

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي (٧/ ١٥٣).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٧). الرواية التي تدل على أنه شاب أخرجها مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان. والرواية الأخرى التي تدل على أنه شيخ أخرجها ابن ماجه في الفتن، باب فتنة الدجال (٤٠٧٤) من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها.

(٣) هذه الرواية أخرجها أحمد في مسنده عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ (٥/ ٤٣٤).

(٤) الفحج: تباعد ما بين الفخذين.

(٥) القطط: الشديد الجعودة.

(٦) أخرجها أبو داود في الملاحم، باب ذكر خروج الدجال (٤٣٢٠)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

منها: أنَّه يسير معه جبلان أحدهما: فيه أَشجار وثمارٌ وماء. والثاني: فيه دخانٌ ونار. رواه الحاكم عن ابن عمر ﷺ مرفوعاً[١].

وفي (صحيح مسلم) معه جنَّة ونارٌ[٢].

وفي الباب أَخبارٌ كثيرة.

وذكر غير واحدٍ من أَهل العلم أَنَّ الذي معه من الجنَّة والنَّار على طريق التخييل دون الحقيقة، ومنهم ابن حبَّان وتدلُّ له أَحَاديث[٣].

وقال جماعةٌ منهم ابن العربيّ: هي على ظاهره امتحاناً من الله تعالى لعبادِهِ[٤].

وقال في (الإشاعة) كالعلامة الشيخ مرعي: التَّحقيقُ الأَوَّل والله أعلم[٥].

ومنها أَنَّه تُطوى له الأَرض مَنْهلاً مَنْهلاً طيَّ فروة الكبش.

وأَنَّه يسيح الأَرض كلَّها في أَربعين يوماً، وما من بلدٍ إلَّا وسيطؤها إلَّا مكَّة والمدينة. كما وردَ بذلك أَحاديث[٦].

وسرعته في السَّيْرِ كالغيث استدبرته الرِّيح.

---

(١) أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم، (٤/٥٢٨)، قال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: بل منكر.

(٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٢٩٣٤)، من حديث حذيفة ﷺ.

(٣) دل على ذلك كلام ابن حبان في صحيحه في التاريخ، باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن (٦٨٠٠).

(٤) انظر عارضة الأحوذي (٩/ ٨٧ ـ ٨٨).

(٥) الإشاعة ص (١٩٤).

(٦) أخرج ذلك البخاري في فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة (١٨٨١). من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً.

وقال بعضُ النَّاس: كأنَّهُ يسيحُ على هذه العَجَلَة الدُّخانية[١] الحادثة في هذا الزمان.

وهذا القول ليسَ عليه أَثارةٌ من علم، فإنَّ السياحة عليها ليست خارقة للعادة لأنَّها نوعٌ من أنواعِ جرِّ الثقيلِ، وسياحته تكون خَرْقاً للعادة والله أعلم.

ومنها: أنَّه يخرج في خفَّةٍ من الدِّين وإدبارٍ من العلم. رواه أحمد وابنُ خُزيمة وأبو يعلى والحاكم عن جابر ﷺ مرفوعاً[٢].

قال السَّفَّاريني: فينْبَغي لكلِّ عالمٍ ولا سيما في زماننا هذا الذي عمَّت فيه الفتن، وكثُرت فيه المِحَن، واندرست فيه معالم السُّنن، وصارت فيه السُّنَّة كالبدعة، والبدعة شرعاً يُتَّبع ـ ولا حول ولا قوة إلَّا بالله ـ أَنْ يشيع حديثُهُ، ويكثر خبره في الناس، انتهى[٣].

ومنها: «أَنَّ الله يبعثُ له الشياطين من مشارق الأَرض ومغاربها فيقولونَ: استعن بنا على من شئت، فيستعينُ بهم»[٤].

ومنها: «أنَّه يمرُّ بالخربة، فيقول لها: أَخرجي كنوزك، فتتبعُه كنوزها كيعاسيب النحل» رواه مسلم[٥].

---

(١) أي «السيارة» وكانت في زمن المؤلف جديدة الانتشار.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده من حديث جابر بن عبد الله ﷺ (٣/ ٣٦٧) والحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٥٧٥) قال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال: الذهبي على شرط مسلم، ولم أجده في المطبوع من صحيح ابن خزيمة ومسند أبي يعلى.

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٠٦ ـ ١٠٧).

(٤) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن، باب خروج الدجال وسيرته (١٥١٨)، من حديث حذيفة ﷺ، وفيه سويد بن عبد العزيز متروك. كنز العمال (٣٩٦٨٧).

(٥) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته (٢٩٣٧).

ومنها: «أنَّ قبل خروجه ثلاث سنوات شدائد، يُصيب الناس فيها جوعٌ شديد»[١].

إلى غير ذلك مما ذكره في (الإشاعة) وغيرها[٢]، وكلُّ ذلك مستفاد من الأَحاديث الواردة في هذا الباب.

ومحلُّ خروجه المشرق جزماً كما قاله الدميري في (الديباجة) وابن حجر في (الفتح)[٣].

وفي رواية «يخرج من أَصفهان» أخرجه مسلم[٤].

وفي أُخرى من خُراسان[٥].

ووقته بعد فتح القسطنطينية.

ومدَّته أربعون لا شطط ولا كسر ـ كما أَخرج مسلمٌ عن ابنِ عمروِ بنِ العاص ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَخرجُ الدَّجالُ في أُمَّتي فيمكث أَربعين لا أَدري: أَربعين يوماً أَو شهراً أَو عاماً ـ فيبعث الله عيسى ابنَ مريم كأَنَّه عروةُ بنُ مسعودٍ فيطلبهُ فيُهْلِكُه»[٦] الحديث.

وأما كيفيَّة خروجه، فالرِّوايات فيه مختلفة، وأَبسط حديث فيه:

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب فتنة الدجال (٤٠٧٧)، وعزاه في كنز العمال (٣٨٧٤٣)، لابن ماجه وابن خزيمة والحاكم والضياء، من حديث أبي أمامة ﷺ.

(٢) الإشاعة ص (١٩٣) وما بعدها.

(٣) عن أبي بكر الصديق ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها: خراسان». أخرجه الترمذي في الفتن، باب من أين يخرج الدجال (٢٢٣٧)، وقال: حديث حسن غريب. وانظر فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٩١).

(٤) أخرجه مسلم في الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال (٢٩٤٤).

(٥) سبق ذكر الحديث وتخريجه من سنن الترمذي.

(٦) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة: باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض (٢٩٤٠).

حديث النَّواسِ بنِ السَّمْعان ﷺ عند مسلم في صحيحه.

وحديثُ أبي أُمامة عند ابن ماجه، وابن خُزيمة، والحاكم، والضياء.

وحديث أبي سعيدٍ ﷺ عند مُسلم، وعند البخاريِّ معناه[١].

وساق في (الإشاعة) هذه الأحاديث مساقاً واحداً وجمع بين اختلافها بحسب الإمكان فراجِعه.

ولا نجاةَ منه إلَّا بالعلم والعمل.

أما العلم فبأن يَعلم أنَّه يأكلَ ويشربَ ثمَّ إنَّه لخسَّته وعجزه أعور، وهو جسم مرئي وأنَّ الله منزَّه عن ذلك، وهذه كلُّها لا تجوز عليه سبحانه.

وأما العمل فبأنْ يلتجئَ إلى أحد الحرمين أو إلى المسجد الأقصى، أو إلى مسجد طوى، وبأنْ يقرأ عشر آياتٍ من أوَّل سورة (الكهف) أخرجه مسلم[٢]، وبأنْ يتفل في وجهه رواه الطبراني عن أبي أمامة ﷺ مرفوعاً[٣]، وبأنْ يهرب منه في الجبال والبراري، وأنَّه أكثر ما يدخل القُرى وقاتِلُه عيسى عليه السلام كما مرَّ.

قال المحاربي: ينبغي أنْ يدفع حديث الدَّجَّال إلى المؤدِّب حتَّى يعلِّمه الصبيان في الكتاب، انتهى[٤].

وقد ورد أنَّ من علامات خروجه نسيانَ ذكره على المنابر، والله أعلم بالصَّواب[٥].

❀ ❀ ❀

---

(١) وقد سبق ذكر تخريج الأحاديث التي أشار إليها القنوجي.

(٢) عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر أيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (٨٠٩).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، مسند أبي أمامة (٧٦٤٤).

(٤) أخرج ابن ماجه قول المحاربي في الفتن، باب فتنة الدجال (٤٠٧٧).

(٥) انظر الإشاعة ص (٢٠٢) وما بعدها.

باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام وهو من الأَشراط القريبة من خروج المهدي ونزوله ثابتٌ بالكتاب والسنَّة وإجماع الأُمة

أما الكتاب فقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]. أي موت عيسى، وذلك عند نزوله من السَّماء آخر الزمان حتى تكون الملَّة واحدة ملَّة إبراهيم حنيفاً مسلماً.

ونوزع في الاستدلال بهذه الآية الكريمة وإنَّ الضمير في موته لليهودي.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١].

وأما السُّنَّة فعن أَبي هريرة ﷺ أَنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نَفْسي بيدِه ليُوشِكنَّ أَنْ ينزل فيكم ابنُ مريم حَكَماً عدْلاً يكسِرُ الصليب، ويقتلُ الخنزير، ويضعُ الجزية، ويفيض المالُ حتى لا يقبله أَحدٌ، حتَّى تكون السَّجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها». أخرجه الشَّيخان[1].

وعن جابر ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي يُقاتلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزلُ عيسى ابنُ مريم فيقول

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام (٣٤٤٨)، ومسلم في الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ (١٥٥).

أميرُهم: تعالَ صلِّ لنا، فيقول: ألا إنَّ بعضَكُم على بعضٍ أُمراءُ تكرمة الله هذه الأُمَّة» رواه مسلم(١).

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزلُ عيسى ابنُ مريم إلى الأَرض فيتزوَّجُ ويُولَدُ له ويمكثُ خمساً وأَربعين سنة، ثم يموتُ فيُدْفنُ معي في قبرٍ، فأَقومُ أنا وعيسى ابنُ مريم في قبرٍ واحدٍ بين أبي بكرٍ وعمر» رواه ابنُ الجوزي في كتاب (الوفاء)(٢).

وعند أَحمد وابنِ أَبي شَيْبة وأَبي داود وابنِ جَرير وابن حبَّان عن أَبي هريرة ﷺ: «أنَّه يمكُث أَربعين سنة، ثم يُتوفَّى ويُصلِّي عليه المسلمون ويدفنونَه عند نبينا محمد ﷺ»(٣).

وعلى هذا رواية (أربعين) وردت بإلغاء الكسر، وفي رواية «يمكثُ سبعَ سنين»(٤) والأَوَّل هو المرجَّح قاله السَّفاريني(٥).

والأَحاديث في نزولهِ عليه السلام كثيرةٌ، ذكر الشوكانيُّ منها تسعةً وعشرين حديثاً ما بين صحيحٍ وحسنٍ وضعيفٍ مُنْجبرٍ، ثم قال: «منها ما هو مذكورٌ في أَحاديث الدَّجال التي تقدَّم بعضُها، ومنها ما هو مذكورٌ في أَحاديث المنتظر،

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ (١٥٦).

(٢) ذكره ابن الجوزي في الوفا في حقوق المصطفى، وذكره أيضاً في العلل المتناهية، كتاب أشراط الساعة وذكر البعث (٢/ ٩١٥)، وقال: حديث لا يصح، والإفريقي ضعيف بمرة.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٤٣٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه، في الفتن، باب ما ذكر في فتنة الدجال (١٥/ ١٥٩)، وأبو داود في الملاحم، باب ذكر خروج الدجال (٤٣٢٤)، وابن جرير في تفسيره، سورة النساء (١٥٩)، (٩/ ٣٨٨)، وابن حبان في التاريخ، باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن (٦٨٢١).

(٤) أخرجها ابن حبان في التاريخ، باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن (٦٧٥٧)، من حديث أم سلمة ﷺ.

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٩٨).

وتنضمُّ إلى ذلك أيضاً الآثار الواردة عن الصحابة فلها حُكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في ذلك».

ثم ساقها ثم قال: «وجميع ما سُقناه بالغٌ حدّ التواتر كما لايخفى على من له فضل اطِّلاعٍ، فتقرَّر أنَّ الأَحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، والأَحاديث الواردة في الدجال متواترة، والأَحاديث الواردة في نزول عيسى ابنِ مريم متواترة» انتهى.

وأما الإجماع فقال السَّفاريني في (اللوامع): قد اجتمعت الأُمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدةُ ممن لا يعتدُّ بخلافه، وقد انعقد إجماع الأُمَّة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلةٍ عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمةً به، وهو مُتَّصِفٌ بها، انتهى[1].

قال في (الإشاعة): والكلام عليه في مقامات في حِلْيَته، وسيرته ووقت نزوله، ومحلّه، وما يجري على يديه من الملاحم، ومدَّته، وموته.

فاسمه ونسبه ومولده كلُّ ذلك معلوم من القرآن.

وأمَّا حليته: فعند البخاري وغيره أَنَّه أَحمرُ أَجعد عريضُ الصَّدْر من آدم الرِّجال سَبْط الشَّعر، ينطفُ ـ أي: يقطر ـ له لمَّة قَدْ رَجَّلها، مربوع الخَلْق، سَبْطُ الرَّأْس كأَنَّما خرج من ديماس[2].

وأمَّا سيرته: فإِنَّه يدقُّ الصَّليبَ ويقتلُ الخنزيرَ والقِردة، ويضع الجزية، ولا يقبل إلَّا الإسلام، ويتَّحدُ الدِّين فلا يُعبد إلَّا الله، ويَترك الصَّدقة ـ أي:

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٩٤ ـ ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ (٣٣٩٤)، من حديث أبي هريرة ﷺ وفي الفتن باب ذكر الدجال (٧١٢٨) من حديث ابن عمر ﷺ.

الزكاة ـ لعدم من يقبلها، ولا يُرغب في اقتناء المال للعلم بقُرب السَّاعة، ويكون مُقرِّراً للشَّريعة المحمدية، لا رسولاً إلى هذه الأُمَّة.

وتظهر الكنوز في زمنه، وتُرفع الشَّحناء والتَّباغض.

ويَنزع الله سُمَّ كُلِّ ذي سُمَّ حتَّى تلعب الأَولاد بالحيَّات والعقارب فلا تضرُّهم.

ويملأُ الأرضَ سِلماً، وينعدِمُ القتالُ، وتُنبتُ الأرضُ نبتَها كعهد آدم حتَّى يجتمع النَّفرُ على القِطْفِ من العِنَبِ، وكذا الرُّمانة.

وكلُّ ذلك مستفادٌ من الأخبار والآثار المستفيضة المشهورة.

وأمَّا نزولُه: فإنَّه ينزلُ عند المنارة البيضاء شرق دمشق ـ هي موجودة اليوم ـ بين مَهْرُودَتَيْن[١]، واضعاً كفَّيه على أجنحة مَلَكين، إذا طأطأَ[٢] رأسَه قَطر، وإذا رفع رأسه تحدَّر منه جُمان كاللؤلؤ[٣]، فلا يحل لكافرٍ يجد ريحه إلَّا مات، ونفَسُه ينتهي حيث ينتهي طَرْفه. أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان ﷺ[٤].

ويكون نزولُه ـ عليه السَّلام ـ لستِّ ساعاتٍ مَضَيْن من النَّهار حتَّى يأتي مسجد دمشق ويقعد على المنبر، فيدخل المسلمون وكذا النَّصارى واليهود كلُّهم يرجونه، حتَّى لو أُلقي شيءٌ لم يصب إلَّا رأسَ إنسانٍ من كثرتهم، ويأتي مؤذِّنُ المسلمين، وصاحبُ بوقِ اليهود وناقوسِ النَّصارى فيقترعون، فلا يخرج إلَّا سهم المسلمين، وحينئذٍ يؤذِّنُ مؤذِّنُهم، ويخرج اليهود

---

(١) المهرود: الثوب المصبوغ بالزعفران ونحوه.

(٢) طأطأ: خفض.

(٣) ينزل عرقه كحبات اللؤلؤ.

(٤) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته (٢٩٣٧).

والنصارى من المسجد، ويصلِّي بالمسلمين صلاة العصر، ثمَّ يخرج بمن معه من أهل دمشق في طلب الدَّجال، فيقتله بباب لُد، عند بيت المقدس.

و (لُدّ) بوزن مُدّ. بلدٌ مشهور بينه وبين رملة فلسطين مقدارُ فرسخ إلى جهة الشَّمال متَّصل شجرها بشجرها، فيقتله هناك[١].

وعن أنسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدرك عيسى منكم فليُقْرئه مني السَّلام» أخرجه البخاري في (تاريخه) والحاكم[٢].

ومدَّته أربعون أو خمس وأربعون سنة، وفي خلال هذه يخرج يأجوجُ ومأجوجُ.

قال في (الإشاعة): وقع لبعض جهلة الحنفية أنَّه ادَّعى أنَّ كُلاً من عيسى والمهدي، يُقلِّد مذهب الإمام أبي حنيفة.

ووقفت للشيخ عليّ القاري الهروي نزيل مكة المشَرَّفة على تأليفٍ سماه: (المشْرَب الورديّ في مذهب المهدي) نقل فيه هذا القول وردّ عليه ردّاً مُشبعاً وجهَّله، انتهى[٣].

وهذا التأليف موجودٌ عندي، وهذا القول مردودٌ في حقِّ آحاد الأُمَّة المحمدية فكيف في حقِّ النَّبيِّ والإمام، وأنَّ الله تعالى لم يُوجب على أحدٍ من المُسلمين أَنْ يقلِّد دينهُ[٤] أحداً من الأئمة كائناً من كان وأينما كان.

إنَّما أَوجب عليهم العمل بمقتضى الكتاب والسُّنَّة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

---

(١) الإشاعة ص (٢١٨) وما بعدها.

(٢) أخرجه الحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٥٤٥)، وقال: إسماعيل هذا أظنه ابن عياش، ولم يحتجا به، ولم أجده في التاريخ الكبير والصغير للبخاري. وقد ذكر كل من السفاريني والبرزنجي هذا الحديث ولم يذكرا أن البخاري قد أخرجه.

(٣) الإشاعة ص ٢٢٢.

(٤) أي: في دينه، والفعل (قلد) ينصب مفعولين.

وقد صرَّح السُّبكيُّ في تصنيفٍ له أنَّ عيسى عليه السلام يحكمُ بشريعةِ نبيِّنا بالقرآن والسُّنَّة، انتهى.

وما قيل إنَّه يأخذ السُّنَّة بطريق المشافهة أو بطريق الوحي والإلهام، فلم يأتِ في ذلك شيءٌ يُصار إليه.

وقال السَّفاريني: ويكون قد علم أحكام هذه الشَّريعة بأَمْرِ الله تعالى، وهو في السَّماء قبل أنْ ينزل، وهذا أَوْلى من الأَوَّل.

قال: والكلام على المهدي، والدَّجال، وعيسى ابن مريم طويلٌ شهيرٌ أُفردت في ذلك الكُتب المبسوطة والمختصرة، وذكرنا في كتابنا (البحور الزَّاخرة في علوم الآخرة) من ذلك طرفاً صالحاً، يُغني من أَحصاه علماً عن مراجعة أكثر كُتب هذا الباب، انتهى[1].

وفي الحديث المرفوع: «وتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَها»[2] قال السَّخاوي في (القناعة) وابن حجر المكي في (القول المختصر): معنى ذلك لا يبقى لقريش اختصاص بشيء دون مراجعته، فلا يُعارض ذلك خبر «لا يَزالُ هذا الأَمرُ في قُريشٍ ما بُقي منهم اثنان»[3].

قال السَّفاريني: فإنْ قلت: كيف يصحُّ هذا الخبر مع مشاهدتنا انفصال قريش عن الملك منذ أَزمان.

فالجواب استحقاقها لهذا الأَمر، وإن ظلمها ظالمٌ، وأَمَّا عيسى فيُظهر

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١١٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في الفتن، باب فتنة الدجال (٤٠٧٧)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

(٣) القول المختصر في علامات المهدي المنتظر ص (٧٦)، وقد عزا السفاريني هذا القول إلى السخاوي في القناعة. انظر لوامع الأنوار البهية (٢/ ٩٦).
والحديث أخرجه البخاري في المناقب، باب مناقب قريش (٣٥٠١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

كمال العدل، فلا يأخذُ حقَّهم، وربَّما أَنْ يكون بقاءُ الأَمر في قريش ولو مُراجعةً، ولا شكَّ أَنَّ قُريشاً يُراجَعُون على أَنَّ ملوك رماننا يزعمون أَنَّهم إِنَّما يتملَّكون بالنيابة عن قريش، ويعملون صورة نيابة عن نقيب السَّادة الأشراف على أَنَّ لبني هاشم استقلالاً بالأَمر في محلّات كالحجاز واليمن والمغرب وغيرها.

ثمَّ إِنَّه لا يخفى أَنَّه لا يَحسُن أَنْ يُقال: إِنَّ الأَمر في أَيّام عيسى يكون للمهدي مع كون عيسى رسولاً من أُولي العزم معصوماً، والمهدي رجلٌ مجتهد.

نعم يكون المهديّ من خواصّ السَّيد عيسى، بل وزيره والمقرَّب لديه يراجعه في الأُمور وتصدر عنه الشُّورى، وبالله التوفيق، انتهى[1].

فإيّاك والاغترار بمثل هذه التُّرَّهات الباطلة، وعليك باتباع السُّنَّة الغرَّاء، فإِنَّها حِرْزٌ وحِصنٌ من الأَهواء، وجنَّة من الشَّيطان المريد، والآراء. وبالله التَّوفيق، وبيده أزمَّة التَّحقيق.

❀ ❀ ❀

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٩٦).

باب في خروج يأجوج ومأجوج وغيرها وهو من الأشراط العظيمة التي دلَّت عليها نصوص الكتاب والسُّنَّة والإجماع

أمَّا الكتاب:

فقال تعالى: ﴿يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

وأمَّا السُّنَّة: فقال رسول الله ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى تكون عَشْرُ آياتٍ: طلوعُ الشمس مِنْ مغرِبها، والدَّجالُ، والدُّخانُ، والدَّابةُ، ويأجوجُ ومأجوجُ، ونزولُ عيسى ابن مريم، وظهورُ المهديِّ، وثلاثُ خسوفاتٍ، ونارٌ تخرج من قعْرِ عدَن أَبْيَنْ» رواه ابن ماجه، عن حُذيفة بن أَسيد، وهو في مسلم من حديث أَبي الطُّفيل عن حذيفة، ورواه من وجه آخر أيضاً[1].

والأحاديث الواردة فيهم كثيرة.

والكلام عليهم في مقامات: في نسبهم، وحليتهم، وسيرتهم، وخروجهم، وإفسادهم، وهلاكهم.

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (٢٩٠١)، وابن ماجه في الفتن، باب الآيات (٤٠٥٥).

وجملة القول في ذلك: أنَّهم من بني آدم، ثمَّ من بني يافث بن نوح.

وذكر ابن عبد البر الإجماع عليه.

وقيل: من التُّرك.

وقيل: من الدَّيلم.

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): والأوَّل هو المعتمد[١].

وفي خروجهم وفتنتهم حديثُ النَّواس عند مسلم بروايات وألفاظ[٢].

ولم يأت في مدَّة مُكثهم في الأرض وقَدْرِ أعمارِهم شيءٌ، بل ظاهر الأحاديث أنَّهم بمجرَّد أن يتوسَّطوا الأرض ويقربوا بيت المقدس يقتلهم الله بالنَّغْف، أي الدَّود الذي يدخلُ آنافهم.

ثمَّ بعد ذلك يموت عيسى عليه السلام.

وهم من جُملةِ الأشراط التي اشتملَت عليها قصَّةُ عيسى عليه السلام.

ومنها قتال اليهود.

ومطرٌ لا يكنّ منه بيتُ مدَرٍ ولا وبرٍ.

وانقطاع الجهاد.

ورجوع النَّاس حرَّاثين.

ونزول الخلافة الأرض المقدسة.

وكثرة المال وكون رأس الثَّور بالأُوقية.

ونشوف بحيرة طبرية يشربها يأجوج ومأجوج.

ورخص الخيل.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/١٠٦).

(٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته (٢٩٣٧).

ونزول البركات.

ولذلك تفاصيل لا يحتملها هذا المختصر.

ومن الأشراط: خرابُ المدينة قبل يوم القيامة بأربعينَ سنة، وخروج أَهلها منها؛ وفي هذا أحاديث في السُّنن وغيرها، بألفاظ ذكرها في (الإشاعة)[١].

ومنها خروج القحطاني وجهجاه، والهُشيم، والمُقعد، والأَخنس وغيرهم بعد عيسى.

وحديث القحطاني وجهجاه في الصَّحيحين وغيرهما[٢].

ومنها: هدم الكعبة وسَلْب حليّها، وإخراج كنزها على يد ذي السُّويقتين من الحبشة، كما عند الشَّيخين وغيرهما[٣]، وهو في زمن عيسى أو عند قيام السَّاعة على اختلاف الرِّوايات في ذلك، والثاني أرجح.

وقيل: هدمها بعد خروج الدَّابة.

وقيل: بعد الآيات كلِّها وقوَّاه السَّفاريني، وقال: ويؤيد هذا أنَّ زمن عيسى كلّه زمن سِلم وبركةٍ وأمانٍ وخير، وهذا أليق بكرَم الله تعالى، والذي

---

(١) الإشاعة ص (٥٢ ـ ٥٣).

(٢) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه» أخرجه البخاري في الفتن، باب تغير الزمان حتى يعبدوا الأوثان (٧١١٧)، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه (٢٩١٠).

(٣) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يُخرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة» أخرجه البخاري في الحج، باب هدم الكعبة (١٥٩٦)، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه (٢٩٠٩).

تقتضيه الحكمة، فإنَّ البيتَ قبلةُ الإسلام، والحجَّ إليه أحدُ أركان الدِّين ومبانيه، فالحكمة تقتضي بقاءه ببقاء الدِّين، فإذا جاءت الرِّيح الباردة الطيبة، وقبضت المؤمنين، فبعد ذلك يُهدم البيت، ويرتفع القرآن، انتهى[١].

ويستفاد من كلام الشَّيخ مرعي أيضاً في (بهجته) كذلك، فبان أنَّ هدم الكعبة بعد الآيات كلّها وإن كان لا يخلو من تأمُّلٍ[٢].

وقصَّة الهدم ذكرها الأزرقي في (تاريخه)[٣] والحاكم في (المستدرك) وصحّحها[٤]، وفيها تفصيل ذكره السَّفاريني في (اللَّوامع)[٥]، والسيد محمد في (الإشاعة)[٦] وغيرهما في غيرهما.

والذي ورد منه في الصَّحيحين يُغني عن غيرهما.

❀ ❀ ❀

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٢٥).

(٢) كلام الشيخ مرعي نقله السفاريني في لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٢٥).

(٣) أخبار مكة للأزرقي، باب ما جاء في الحبشي الذي يهدم الكعبة (١/ ٢١٨).

(٤) أخرجه الحاكم في المناسك (١/ ٤٤٨).

(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٢٢).

(٦) الإشاعة ص (٢٤٢).

بابُ طلوع الشَّمس من مغربها

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

وقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦].

قال أهل العلم: طلوع الشَّمس من الأُفق الغربي ثابتٌ بالسُّنَّة الصَّحيحة، والأخبار الصَّريحة، بل وبالكتاب المنزَّل على النَّبي المرسل عليه الصلاة والسلام(١).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

أَجمع المفسِّرون أو جمهورهم على أَنَّه طلوع الشَّمس من مغربها(٢).

وقال تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى تطلُعَ الشَّمسُ منْ مَغْرِبها، فإذا طَلَعَتْ ورآها النَّاسُ آمنوا جَميعاً فذلِكَ حينَ لا يَنْفَعُ نفساً إيمانُها». أخرجه الشَّيخان والبيهقيُّ وابن مَرْدويه وأبو الشَّيخ(٣).

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ١٣٣).

(٢) نقل الإجماع السفاريني في اللوامع (٢/ ١٣٣)، وانظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧١).

(٣) أخرجه البخاري في التفسير، سورة الأنعام، باب لا ينفع نفساً إيمانها (٤٦٣٦)، ومسلم في الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (١٧٥)، وذكر السيوطي الحديث في الدر المنثور (٦/ ٢٦٧) وعزاه للبيهقي وأبي الشيخ وابن مردويه وغيرهم.

وأخرج أحمد وابن حميد ومسلم والحاكم وابن مردويه من حديث أبي هريرة ﷺ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستّاً: طلوعَ الشَّمسِ منْ مغرِبِها، والدَّجالَ، والدُّخانَ...» إلخ[١].

وعن ابن عمرو بن العاص ﷺ قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ: «أَوَّل الآياتِ خُرُوجاً طُلوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبها». أخرجه مسلم في صحيحه[٢].

وأخرج الطَّبرانيُّ من حديث مالك بن يخامر عن معاوية، وعبد الرَّحمن بن عوف، وعبدِ اللهِ بن عمرو ﷺ رفعوه: «لا تَزالُ التَّوبة مقبولة حتَّى تطلع الشَّمس من مغربها، فإذا طَلَعت طبع الله على كلِّ قلبٍ بما فيه، وكُفِي النَّاس العمل»[٣] والأحاديث في الباب كثيرة لا يتَّسع المقام لذكرها.

قال الحافظ ابن حجر في (الفتح): الذي دلَّت عليه الأحاديث الثَّابتة الصِّحاح والحسان أنَّ قبول التَّوبة مُغَيّاً لطلوع الشَّمس من مغربها، ومفهومها أنَّ بعد ذلك لا تُقبل، بل في بعض الرِّوايات التَّصريح بعدم القبول كما عند أحمد والطبراني وغيرهما.

ثمَّ ذكر أخباراً وآثاراً، وقال: هذه آثار يشدُّ بعضُها بعضاً متَّفقة على أنَّ الشَّمس إذا طلعت من المغرب أُغلق باب التوبة ولم يُفتح بعد ذلك، ولا يختص ذلك بيوم طلوعها، بل يمتد إلى يوم القيامة، انتهى[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال (٢٩٤٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٠٧)، وذكر السيوطي الحديث في الدر المنثور (٦/ ٢٧٦)، وعزاه لأحمد ومسلم وابن حميد والحاكم وابن مردويه.

(٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض (٢٩٤١).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه أحمد (٥٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٥٥).

وورد في بعض الرِّوايات أنَّ أوَّل الآيات (خروج الدَّجال)، وفي بعضها أنَّ أولها (طلوع الشَّمس من مغربها).

وفي بعضها (الدَّابة).

وفي بعضها (نارٌ تَحشر النَّاس إلى محشرهم).

وطريق الجمع، كما قال الحافظ: إنَّ الذي يترجَّح من مجموع الأخبار أنَّ خروج الدَّجال أول الآيات العظام المؤذِنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، فلا ينافي تقدُّم المهدي عليه.

وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، ومَنْ بَعْدَه من القحطاني وغيره، وأن طلوع الشَّمس من المغرب هو أول الآيات المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام السَّاعة، والدَّابة معها فهي والشَّمس كشيءٍ واحد، وأنَّ النَّار أوَّل الآيات المؤذنة بقيام السَّاعة، انتهى[١].

قال في (الإشاعة) وهذا جمعٌ حسنٌ، ويدلُّ على ذلك ما في بعض الرِّوايات «وآخر ذلك ـ يعني الآيات ـ نارٌ تحشرُ النَّاسَ إلى محشرهم» انتهى[٢].

وقال الشَّيخ مرعي: وهذا كلام في غاية التَّحقيق، انتهى[٣].

وقال السَّفاريني: والذي يظهر والله أعلم أنَّ أوَّل الآيات خروج المهدي، ثمَّ الدَّجال، ثمَّ نزول عيسى، ثمَّ خروج يأجوجَ ومأجوجَ، ثمَّ هدم الكعبة، ثمَّ الدُّخان، ثمَّ ارتفاع القرآن، ثمَّ طلوع الشَّمس من مغربها.

ويحتمل أنَّ طلوع الشمس متقدِّم على رفع القرآن، وخروج الدَّابة عقب طلوع الشَّمس من مغربها في يومها أو قريباً منها.

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٥٣).

(٢) الإشاعة ص (٢٥٥).

(٣) نقله السفاريني في اللوامع (٢/ ١٤٢).

وهذا هو النَّسق الذي مشينا عليه واخترناه، انتهى[١].

والحاصل أنَّ الأوَّلية إضافية لا حقيقية.

وقال الحافظ العلامة عبد الرحمن بن عبد القادر الهاشمي رَحِمَهُ اللَّهُ في جوابِ سؤالٍ عنه مالفظه (الآياتُ التي بين يدي السَّاعة أوَّلها على الحقيقة، كما جاء في حديث الحاكم والبيهقي وأفتى به الحافظ ابن حجرٍ العسقلاني، وتبعه الحافظ السخاوي وغيره خروج الدَّجال، ثمَّ نزول عيسى ابن مريم، ثمَّ خروج يأجوجَ ومأجوجَ، ثمَّ تطلع الشَّمس من مغربها، ولا تزال طالعة ذلك اليوم إلى أن تصل إلى كبد السَّماء، ثمَّ تزول وتعود إلى المغرب، أي من مطلعها وتطلع بعد ذلك اليوم من المشرق كعادتها، ثمَّ تخرج الدَّابة ـ كما قال الحاكم ـ ويكون خروجها ضحىً. وكما في (صحيح مسلم) قال الحافظ ابن حجرٍ العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ، ـ وتبعه السخاوي ـ: والحكمة في ذلك أنَّ بطلوعها من المغرب يُغلق باب التَّوبة، فتخرج الدَّابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التَّوبة.

وفي طلوعها من المغرب ردٌ على أهل الهيئة، ومن وافقهم أنَّ الشمس وغيرها من الفلكيات بسيطة لا تختلف مقتضياتها، ولا يتطرَّق إليها تغيير عما هي عليه[٢].

قال الكرمانيُّ: وقواعدهم منقوضةٌ ومقدّماتهم ممنوعةٌ، وعلى تقدير تسليمها فلا امتناع من انطباق منطقة البروج على المعدَّل بحيث يصيرُ المشرقُ مغرباً والمغربُ مشرقاً، انتهى[٣].

وقال الحَليمي: إنَّ أول الآيات الدجال، ثمَّ نزول عيسى لأنَّ طلوع

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ١٤٢).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦).

(٣) شرح الكرماني على البخاري (٢٣/ ٢٤ ـ ٢٥).

الشمس من مغربها لو كان قبل نزول عيسى لم ينفع الكفار إيمانهم في زمانه، ولكنَّه ينفعهم إذ لو لم ينفعهم لما صار الدِّين واحداً بإسلام من أسلم منهم[١].

قال البيهقي: وهو كلام صحيح لو لم يعارضه الحديث «إنَّ أوَّل الآيات طلوع الشَّمس من المغرب» وفي حديث ابن عمرو «طلوعُ الشَّمس وخروج الدَّابة». وفي حديث أبي حازمٍ عن أبي هريرة ﷺ الجزمُ بهما وبالدَّجال في عدم نفع الإيمان.

قال البيهقي: إن صحَّ في علم الله أنَّ طلوع الشَّمس يكون سابقاً احتمل أنْ يكون المراد نفع أنفسِ أهل القرن الذين شاهدوا ذلك فإذا انقرضوا وتطاول الزَّمان وعاد بعضهم على الكفر عاد تكليف الإيمان بالغيب، وإن كان في علم الله طلوع الشَّمس بعد نزول عيسى احتمل أن يكون المراد بالآيات في حديث ابن عمرو آياتٍ أُخرى غير خروج الدَّجال، ونزول عيسى، إذ ليس في الخبر نصٌّ أنه يتقدَّم عيسى[٢].

قال الحافظ ابن حجر: وهذا الثاني هو المعتمد والأخبار الصَّحيحة لا تخالفه.

وعند مسلم عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «من تاب قبل أَنْ تطلُعَ الشَّمسُ من مغربها تاب الله عليه»[٣] ومفهومُه أنَّ من تاب بعد ذلك لا تُقبل توبته.

ولأبي داود والنسائي: «لا تزال تُقْبَلُ التَّوبة حتَّى تطلع الشَّمس من مغربها» وسنده جيد، وهو من حديث معاوية ﷺ مرفوعاً[٤].

❀ ❀ ❀

---

(١) نقل ابن حجر كلام الحليمي في فتح الباري (١١/ ٣٠٤).

(٢) نقل ابن حجر كلام البيهقي في فتح الباري (١١/ ٣٥٤).

(٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب الاستغفار والاستكار منه (٢٧٠٣).

(٤) فتح الباري (١١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥). والحديث أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت (٢٤٧٩)، والنسائي في السنن الكبرى، في السير، باب متى تنقطع الهجرة (٨٧١١).

باب في دابة الأرض

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢].

أي تكلمّ المؤمن والكافر، وجزم البيضاوي أنَّها الجسَّاسة[١]، وقيل غيرها.

والكلام في حِليتها، وسيرتها، وخروجها، ذكرناه في (حجج الكرامة) وذكره في (الإشاعة) أيضاً[٢] وكلهُ مستفادٌ من الأحاديث والآثار.

وخروج الدَّابة قيل: من مدينة قوم لوط.

وقيل: من بعض أودية تهامة خارج مكة.

وقيل: من مكَّة، وهو المشهور.

ثمَّ اختُلف فقيل: من صدعٍ بالصَّفاء.

وقيل: بالمروة.

وقيل: من شُعب أجياد.

ويُجمع بين هذه الأقوال بما جاء في الأحاديث المرفوعة، والموقوفة ـ كما قال الحافظ السَّخاوي، وغيرُه ـ من أنها تخرج ثلاث خرجات:

الأولى من أقصى البادية، ولا يدخل ذكرها القرية، يعني مكة.

---

(١) تفسير البيضاوي (٤/ ٢٧٨).

(٢) الإشاعة (٢/ ٢٦٢) وما بعدها.

ثمَّ تمكث زماناً طويلاً، ثمَّ تخرج مرَّة أخرى دون تلك أي من بادية قريبة من تلك البادية فيعلو ذكرها في أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية، يعني مكة.

الثالثة: خروجها العام من مكة فتسم المؤمن فيبيض وجهه ويكتب بين عينيه مؤمن، وتسم الكافر ويكتب بين عينيه: كافر، فيسودُّ وجهه، وتطوف الأرض كلَّها[1].

❀ ❀ ❀

(١) انظر التذكرة للقرطبي ص (٧٨٤)، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ١٤٤) وما بعدها.

باب ومن أَشراط السَّاعة الدُّخان

وهو بعد دابَّة الأرض، ويمكث في الأرض أربعين يوماً، كما في الحديث المرفوع من رواية حُذيفة بن أَسيد عند مسلم والترمذي وابن ماجه[١].

ويأْخذُ بأَنفاسِ الكفَّار، ويأْخُذ المؤمنين كهيئة الزُّكام ويكون قبل الرِّيح لأنَّ بعد الرِّيح لا يبقى مؤمنٌ، وإنَّما يكون قريباً من قيام الساعة[٢].

---

(١) حديث حذيفة أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (٢٩٠١)، والترمذي في الفتن، باب الخسف (٢١٨٣)، وابن ماجه في الفتن، باب أشراط الساعة (٤٠٤١).

(٢) ذهب ابن مسعود ﷺ إلى أن الدخان قد مضى، فقد أخرج مسلم في صفات المنافقين، باب الدخان (٢٧٩٨) عن مسروق قال: وكنا عند عبد الله جلوساً، وهو مُضْطَجِعٌ بيننا، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن! إن قاصاً عند أبواب كندة يقص ويزعم، أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام، فقال عبد الله، وجلس وهو غضبان: يا أيها الناس! اتقوا الله، من علم منكم شيئاً، فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم، فليقل: الله أعلم، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول، لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله ﷻ قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]. إن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إدباراً، فقال «اللهم! سبع كسبع يوسف» قال: فأخذتهم سنة حصت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع، وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد! إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم، قال الله ﷻ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ٤٤]. =

قال العلماء: آية الدُّخان ثابتة بالكتاب والسُّنَّة.

أمَّا الكتاب فقوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠].

قال ابن عباس، وابن عمر، وزيد بن عليٍّ وغيرهم: (هو دخان قبل قيام السَّاعة يدخل في أسماع الكفَّار والمنافقين)[١].

وأمَّا السُّنَّة فكثيرة، منها ما أشرنا إليه، ومنها حديث حذيفة ﷺ عند الطبراني، وفيه أنَّ (من أَشراطِ السَّاعة دُخاناً يمر ما بين المشرق والمغرب، يمكثُ في الأرض أربعين يوماً، أمَّا المؤمنُ فيصيبه منه شبه الزُّكام، وأمَّا الكافر فيكون بمنزلة السَّكران يخرج الدُّخان من فيه ومَنْخريه وعينيه وأذنيه ودبره)[٢].

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في الصَّحيح وغيره.

❀ ❀ ❀

= قال: أفيكشف عذاب الآخرة ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]. فالبطشة يوم بدر، وقد مضت آية الدخان، والبطشة، واللزام وآية الروم.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٤٩).

(٢) لم أجد هذا الحديث عند الطبراني، بل وجدته عند الطبري في تفسير (٢١/ ٢٠).

باب ومنها ريح طيبة

تقبضُ روحَ كلِّ مؤمنٍ في قلبهِ مثقالُ حبَّةٍ من إيمان، ويبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم.

وتأتي من قبل الشَّام، أو من اليمن.

وقيل: هما ريحان شامية ويمانية.

ثمَّ يبقى شرار الناس حتَّى لا يقال في الأرض، (لا إله إلَّا الله) وعليهم تقوم السَّاعة.

❀ ❀ ❀

باب ومنها أَنْ يُرفع القرآن من المصاحف والصدور

وهو من أَشدِّ معضلات الأُمور.

قال في (البهجة): قرر الأَئمةُ أَنَّه يُرفع أَولاً من المصاحف، وذلك أَنَّهم يبيتون فيصبحون وليس فيها حرفٌ مكتوبٌ، ثمَّ يُرفع من الصُّدور عقب ذلك، انتهى[1].

وفي الباب أخبارٌ وآثارٌ.

ومنها: أن تهدم الكعبة، ويتقارب الزَّمانُ، وتقصر الأيام بحيث تكون السَّنَة كالشَّهر كما في حديث أبي هريرة عند مسلم[2].

❀ ❀ ❀

(١) نقل هذا القول السفاريني في اللوامع (٢/ ١٣١).

(٢) أخرجه مسلم في العلم، باب رفع العلم وقبضه (١٥٧)، وليس في الحديث كون السنة كالشهر، وإنما ذلك في حديث أنس ﷺ مرفوعاً الذي أخرجه الترمذي في الزهد، باب تقارب الزمان (٢٣٣٢)، وقال: حديث غريب من هذا الوجه.

باب وآخر الآيات العظام نارٌ

تخرج من قعر بئر عدن، تحشر النَّاس إلى محشرهم كما في حديث أنس ﷺ عند أحمد والبخاري[١].

وعن ابن عمر ﷺ «ستخرج نارٌ من حضرموت، أو من بحر حضرموت قبل يوم القيامة تحشر النَّاس» قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال «عليكم بالشَّام» أخرجه أحمد والترمذي، وقال حسن صحيح[٢].

وقيل: من وادي برهوت تسير سير بطيئة الإبل، تسير بالنَّهار، وتقيم باللَّيل تغدو وتروح، وقيل: من حِبْس سَيْل.

ووجه الجمع أنَّها تخرج أولاً من برهوت ـ ويقال له: وادي النَّار ـ وهو في قعر عدن، وعدن على ساحل البحر، فالعبارات مآلها واحد وتمرُّ بحِبْس سيل أيضاً والخطاب لأهل المدينة، وحِبْسُ سيل قريبٌ من المدينة، فوصول النار إليه يكون قبل وصولها إلى المدينة فصحَّ أن يقال لهم: إنَّها تخرج من حبس سيل[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ (٤٤٨٠)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٠٨).

(٢) أخرجه الترمذي في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز (٢٢١٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٣).

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٥١).

وقال في (الفتح) ابتداءُ خروجها من عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلِّها، انتهى[١].

وتدور الدُّنيا كلَّها في ثمانية أيام أي تنتشر في هذه الأيام، ثمَّ تسير على سير النَّاس بعد ذلك.

والحاصل أنَّ لها حالات، فتارةً هكذا، وتارةً هكذا، وإن ثبت تعدُّدُ النَّار زال أَصلُ الاستنكار.

وهذا الحشر ـ أي: حشر النَّار النَّاس أحياء إلى الشَّام ـ يكون قبل يوم القيامة، قاله القرطبي والخطابي وصوَّبه القاضي عياض[٢].

وأمَّا الحشر من القبور على ما في حديث ابن عبَّاس مرفوعاً كما في الصَّحيحين وغيرهما: (تحشرونَ حفاةً عُراةً غُرلاً)[٣] هو يوم القيامة، قاله الحكيم الترمذي والغزالي والحافظ ابن حجر والتور بشتي[٤].

قال الطيبي: وهو الحق الذي لا محيد عنه[٥].

وقال في (الإشاعة): فثبت أنَّ الحقَّ أنَّ النَّار قبل يوم القيامة[٦].

قال السَّفاريني: قلت: وهو كما قال، انتهى[٧].

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٧٨).

(٢) التذكرة للقرطبي ص (٢٢٥).

(٣) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ (٣٤٤٧)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر (٢٨٦٠).

(٤) التذكرة للقرطبي ص (٢٢٥)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٨٢).

(٥) نقله ابن حجر في الباري (١١/ ٣٨٢).

(٦) الإشاعة ص (٢٧٩).

(٧) ذكر السفاريني الأقوال المتقدمة جميعها. لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٥٥ ـ ١٥٧).

ثمَّ ينفخ في الصور النَّفخة الأُولى فيموت كلُّ الخلق ويمكثون أربعين عاماً كما في الصحيحين[١].

ثمَّ يُنفخ في الصُّور النَّفخةَ الثَّانية، فيقوم الخلق للعرض والحساب.

ثمَّ يقال: يا أيُّها النَّاس هلمّوا إلى ربكم ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدَّارين.

هذا زبدة ما مخَّضَه المتقدِّمون وثمرة ما غرسه المتأخِّرون، وقد عزونا كلَّ قولٍ لقائله، وكلَّ حديثٍ لناقله غالباً ليُعْلم من أمعن النَّظر وأنعم الفكر فيما حرَّرته أنَّه ماثبت في هذا الباب، ونطقت به نصوص السُّنَّة، وأدلة الكتاب.

❀ ❀ ❀

(١) جاء في الحديث: «أربعون» دون تحديد بالعام، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قالوا: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت. أخرجه البخاري في التفسير، باب قوله ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ (٤٨١٤)، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين (٢٩٥٥). وقوله: أبيت، أي: أبيت أن أجزم.

خاتمة

فيما اشتهر بين النَّاس أنَّ مقدار الدُّنيا سبعة آلاف سنة

اعلم أنَّ مقدار الدُّنيا لا يعلمه إلَّا الله ﷻ، ولم يرِد نصٌ من كتابٍ ولا سنَّةٍ في بيان ذلك، ووردت أخبار وآثار، وما يحصل بها جزم بأنَّه قدر معين، ونذكر ما قاله أئمة العلم من ذلك.

فنقول: أخرج ابن جرير في مقدِّمة تاريخه، عن ابن عباس ﷺ أنَّه قال: الدُّنيا جُمعة من جُمع الآخرة سبعة آلاف سنة، وقد مضى ستة آلاف ومئة سنة.

وأخرج عن كعب الأحبار: (الدُّنيا ستة آلاف سنة).

وعن وهب بن منبه مثله.

وأراد الذي مضى منها خمسة آلاف وستمئة.

ثمَّ زيَّف الطبريُّ ذلك، ورجَّح ما رُوي عن ابن عباس ﷺ أنها سبعة آلاف، ثمَّ أورد حديث ابن عمر ﷺ في الصَّحيحين مرفوعاً: (أجلكم في أجل من كان قبلكم من صلاة العصر إلى مغرب الشَّمس).

وعنه أيضاً مرفوعاً: (ما بقيَ لأُمَّتي من الدُّنيا إلَّا بمقدار ما إذا صلَّيْت العصر).

وعنه أيضاً: كنَّا عند النَّبيِّ ﷺ والشَّمس على قَيْقُعان مرتفعةً بعد العصر،

فقال: «ما أعماركم في أعمارِ مَنْ مضى إلَّا كما بقي من هذا النَّهار ممَّا مضى منه» وهو عند أحمد بسندٍ حسن[١].

وأخرج من حديث أنس ﷺ: كنَّا عند النَّبيِّ ﷺ يوماً ـ وقد كادت الشَّمس أن تغيب ـ فذكر نحو حديث عمر الأول.

وأخرج من حديث أبي سعيد ﷺ أنه ﷺ قال عند غروب الشَّمس: «مثل ما بقي من الدُّنيا في ما مضى منها كبقية يومكم هذا فيما مضى».

ثمَّ إنَّ ابن جرير جمع بين هذه الأحاديث بما حاصله: أنَّه حمل قوله: «بعد صلاة العصر» على ما إذا صليت وسط وقتها[٢].

وتعقَّبه الحافظ ابن حجر بقوله: قلت: هو بعيد من لفظ حديث أنس وأبي سعيد.

ثمَّ قال: إنَّ حديث ابن عباس المذكور فيه يحيى بن يعقوب أبو طالب القاضي الأنصاري. قال البخاري: منكر الحديث، وشيخه حماد بن أبي سلمان: فقيه أهل الكوفة، فيه مقال.

وحديث أبي سعيد فيه علي بن زيد بن جُدعان، وهو ضعيف.

وحديث أنس فيه موسى بن خلف، انتهى[٣].

وأيَّد ابن جرير حديث ابن عبَّاس ﷺ بحديث أبي ثعلبة مرفوعاً ﷺ «والله لا تعجز هذه الأُمَّة عن نصف يوم» أخرجه أبو داود، والحاكم وصحَّحه[٤]،

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢/ ١١٥)، وقال ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٥٠): سنده حسن.

(٢) تاريخ الطبري (١/ ١٥) وما بعدها.

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٥٠).

(٤) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب قيام الساعة (٤٣٤٩)، وأخرجه الحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٤٢٤)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

لكن قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: البخاري وقَفَه[١].

وأخرج أبو داود من حديث سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه مرفوعاً: «إنِّي لأرجو أن لا تعجز أُمَّتي عند ربِّها أَنْ يؤخرَّها نصف يوم».

قيل لسعد رضي الله عنه: كم نصف يوم؟ قال: خمسمئة سنة[٢].

قال الحافظ ابن حجر: رواته موثقون إلَّا أَنَّه منقطع[٣].

قال ابن جرير: ونصف يوم خمسمئة، أخذاً من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، فإذا انضمَّ إلى قول ابن عبَّاس أنَّ الدُّنيا سبعة آلاف سنة، كان الباقي خمسمئة سنة تقريباً، انتهى كلام ابن جرير[٤].

وأيَّده المحقِّق السَّهيلي، ولكنَّه استشعر أنَّ حديث خمسمئة ينافي حديث ابن عباس، لإنَّه قاض ببقائها تسعمئة سنة.

قال: وليس في حديث «نصف يوم» ما ينفي الزِّيادة على خمسمئة.

قال: وقد جاء بيان ذلك فيما رواه جعفر بن عبد الواحد بلفظ (إنْ أحسنَت أُمَّتي فبقاؤها يوم من أيام الأخرة ألفُ سنة، وإن أساءَت فنصف يوم»[٥] وأيد كلام الطبريِّ أيضاً بحديث مستورد رضي الله عنه مرفوعاً: «الدُّنيا سبعة آلاف سنة بعثت أنا في أخرها»[٦].

---

(١) ذكر ابن حجر حديث أبي ثعلبة الذي أخرجه أبو داود ثم قال: ورواته ثقات، ولكن رجح البخاري وقفه. فتح الباري (١١/ ٣٥١).

(٢) أخرجه أبو داود في الملاحم، باب قيام الساعة (٤٣٥٠).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٥١).

(٤) تاريخ الطبري (١/ ١٨).

(٥) قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص (٦٩٣): لا أصل له.

(٦) الروض الأنف للسهيلي (٢/ ٢٩٥).

لكن قال الحافظ ابن حجر: إنَّه أخرجه ابن السَّكن، وسنده ضعيف جداً، انتهى[١].

وأيَّد ابنُ جرير ماذهب إليه حديثَ سهلِ بن سعدٍ ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «بُعثت أنا والسَّاعة كهاتين» يشير بأُصبعيه يمدهما، انتهى[٢].

وجاء في أحاديث عديدة بيان الأُصبعين، أنَّهما السَّبابة والوُسطى.

قلت: وهذا بُني على أنَّه ﷺ أراد بالتَّشبيه قدر ما بينهما، وهو الذي يؤيّده رواية «كفضل أحدهما على الأُخرى»[٣].

قال عياض القاضي: حاول بعضهم في تأويله أنَّ نسبة ما بين الأُصبعين كنسبة ما بقي من الدُّنيا بالنسبة إلى ما مضى، وأنَّ جملتها سبعة آلاف.

واستند إلى أخبار لا تصحّ، وذكر ما أخرجه أبو داود في تأخير هذه الأُمَّة نصف يوم، وفسَّره بخمسمئة سنة.

فيؤخذ من ذلك أنَّ الذي بقي نصف سبع، وهو قريب مما بين السَّبابة والوسطى في الطُّول[٤].

قال: وقد ظهر عدم صحَّة ذلك لوقوع خلافه، ومجاوزة هذا المقدار، ولو كان ثابتاً لم يقع خلافه، انتهى[٥].

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٥١).

(٢) تاريخ الطبري (١/ ١٦)، والحديث أخرجه البخاري في الرقائق، باب قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، (٦٥٠٣).

(٣) أخرج مسلم الحديث من طريق شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، ثم قال شعبة: وسمعت قتادة يقول: في قصصه (كفضل إحداهما على الأخرى) فلا أدري أذكره عن أنس أو قاله قتادة. أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة (٢٩٥١).

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٥٠٧).

(٥) هذه الفقرة لم أجدها في إكمال المعلم، ولكن عزاها ابن حجر للقاضي عياض، فتح الباري (١١/ ٣٥٠).

قال السَّيد العلَّامة محمد بن إسماعيل الأمير: يريد القاضي أنَّ نصف السبع خمسمئة سنة، وقد مضت إلى عصر القاضي عياض، فإنَّه توفي سنة أربع وأربعين وخمسمئة، كما قاله ابنُ خلِّكان[١].

وقال الحافظ ابن حجر: قلتُ وقد انضاف إلى ذلك منذُ عهد القاضي إلى هذا الحين ثلاثمئة سنة، انتهى[٢].

وقد انضاف إلى ذلك منذ عهد الحافظ ابن حجر ثلاثمئة وثلاث عشرة سنة، فإنَّا الآن في سنة سبع وستين بعد المئة والألف، وهو القرن الثَّاني عشر، وذلك أنَّ وفاة ابن حجر في سنة ثنتين وخمسين وثمانمئة، انتهى.

قلت: وأنا الآن حين كتابة هذه الرِّسالة في سنة أربع وتسعين ومئتين وألف وهو القرن الثَّالث عشر.

قال السَّيد الإمام المذكور رَحِمَهُ اللَّهُ: فلا يخفى أنَّ هذا قادحٌ في الأخبار الدَّالة على أنَّ مدَّة الدُّنيا سبعة آلاف سنة، مع جعل القاضي ستة آلاف ومئة سنة، وإذا علمت أنَّه قد بطل حمل حديث: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعة» على ماذكر تعين حمله على ما قاله القاضي عياض أنَّه على اختلاف ألفاظه إشارة إلى قلَّة المدَّة بينه ﷺ وبين السَّاعة[٣].

ومثله ما قاله القرطبيُّ في (المفهم شرح صحيح مسلم)[٤].

هذا وقد أيَّد السُّهيليُّ كلام ابن جرير بشيءٍ آخر فقال: يجوز أنَّ في عدد

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان، ترجمة القاضي عياض بن موسى (٣/ ٤٨٥).
(٢) فتح الباري (١١/ ٣٥٠).
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣/ ٢٦٨).
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٢/ ٥٠٦).

حروف أوائل السُّور، مع حذف المكرر ما يؤيد ذلك، وذلك أنَّ عدتها تسعمئة وثلاثة، انتهى[١].

قال السَّيد العلَّامة: هذا ما وعِدنا به، وإنَّه دخل اصطلاح اليهود على العلماء حتَّى حملوا كلام الله تعالى عليه، على أنَّ هذا الذي ذكره السُّهيلي على فرض جوازه غير صحيح.

فإنَّه تعقَّبه الحافظ ابن حجر بأنْ عدَّها وأسقط المكرر.

ثم قال: إنَّها بإسقاطه إذا حُسِبت بالجمَّلِ المغربي بلغت ألفين وستمئة وأربعة وعشرين.

وأمَّا الجمَّل المشرقي فتبلغ ألفاً وسبعمئة وأربعة وخمسين.

ثمَّ قال: ولم أذكر ذلك ليعتمد عليه، بل لأبيِّن أنَّ الذي جنح إليه السُّهيلي، لا ينبغي أن يُعتمد عليه، لشدَّة المخالفة فيه، انتهى[٢].

قلت: لما تقارب انخرام القرن التاسع، ذكر الحافظ السُّيوطي: أنَّه وصل إليه رجلٌ في سنة ثمان وتسعين وثمانمئة في شهر ربيع الأول، ومعه ورقة حاصل ما فيها الاعتماد على حديث «إنَّه لا يلبث النَّبيِّ ﷺ في قبره ألف سنة» وأنَّه أفتى بعضُ العلماء اعتماداً على هذا الحديث بأنَّ في المئة العاشرة خروج المهدي، والدَّجال، ونزول عيسى، وسائر الآيات من أشراط الساعة.

ثمَّ قال السُّيوطي: على أنَّ هذا الحديث باطل، وأطال الكلام في صدر رسالته التي سماها (الكشف في مجاوزة هذه الأُمَّة الألف).

ثمَّ ذكر أنَّ الذي دلَّت عليه الآثار أنَّ هذه الأُمَّة تزيد مدة بقائها في الدُّنيا

---

(١) الروض الأنف للسهيلي (٢/ ٢٩٥).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٥٢).

على ألف سنة، وأنَّها لا تبلغ الزيادة خمسمئة سنة، ثمَّ اعتمد ما ذكره ابن جرير أنَّ مدة الدُّنيا سبعة آلاف سنة.

قال: وذلك لأنَّه ورد من طُرُقٍ أنَّ مدَّة الدُّنيا من لدن آدم عليه السلام إلى قيام الساعة سبعة آلاف سنة، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ بعث في آخر الألف السَّادس، وساق ما قدَّمناه من أدلة ابن جرير، بل قال: وصحح ابن جرير هذا الأصل، وعقده باباً، انتهى[1].

قال السَّيد الأمير قلت: وما كان للسيوطي أن يُعْرِض عن تعقُّبات الحافظ ابن حجر، بل كان يتعيَّن عليه ذكرُها وإقرارُها أو ردُّها، فإنَّ تركه لها يوهم النَّاظر في كلامه وسكوته على تصحيح ابن جرير، وليس كذلك كما عرفت.

ثمَّ استند السُّيوطي في جزمه ببقاء الأُمة بعد الألف أقل من خمسمئة سنة إلى آثار ذكرها، منها: ما أخرجه ابن أبي شيبة، عن ابن عمرو رضي الله عنهما، قال: «يبقى النَّاس بعد طلوعِ الشَّمس من مغربها مئة وعشرين سنة»[2].

وإلى أنَّه يلبث عيسى عليه السَّلام أربعين سنة بعد قَتْلِهِ الدَّجال ثم يخلف رجلٌ من تميم يبقى ثلاث سنين.

وإلى أنَّه يبقى النَّاس بعد إرسال الله ريحاً تقبض روح كلِّ مؤمنٍ مئة سنةٍ لا يعرفون ديناً من الأَدْيان.

وإلى أنَّ بين النَّفختين أَربعين عاماً.

وإلى أنَّه ينزل عيسى على رأس مئة سنة[3].

فهذه مئتا سنة وثلاثة وستون سنة.

---

(١) الحاوي للفتاوى للسيوطي، رسالة بعنوان: الكشف عن مجاورة هذه الأمة الألف (٢/ ٨١) وما بعدها.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفتن، باب ما ذكر في فتنة الدجال (١٥/ ١٧٩).

(٣) الحاوي للفتاوى (٢/ ٨٥).

ونحن الآن في القرن الثَّاني عشر، ويضاف إليه مئتان وثلاثة وستون سنة، فيكون الجميع أربعة عشرة مئة وثلاثة وستين.

وعلى قوله: إنه لا يبلغ خمسمئة سنة بعد الألف يكون منتهى بقاء الأُمة بعد الألف أربعمئة سنة وثلاثة وستين سنة، ويتخرج منه أنَّ خروج الدَّجال ـ أعاذنا الله من فتنته ـ قبل انخرام هذه المئة التي نحن فيها، وهي المئة الثانية عشر من الهجرة النبوية، انتهى.

أقول: وقد مضى إلى الآن على الألف نحو من ثلاثمئة سنة، ولم يظهر المهدي، ولم ينزل عيسى، ولم يخرج الدَّجال، فدلَّ على أنَّ هذا الحساب ليس بصحيح.

ثمَّ قال السَّيد العلّامة: قلت وقد أخرج مسلم والحاكم عن ابن عمرو مرفوعاً: «يخرجُ الدَّجال فيمكثُ في أُمَّتي أربعين»[1] انتهى.

هكذا لم يتميز العدد بشيء لا بالأيام ولا بالشهور ولا بالسنين، فلو كانت سنين لكان ظهوره من رأس ستين من هذا القرن، إلَّا أنَّه قد ثبت عند أحمد وابن خزيمة وأبي يعلى، والحاكم: تعيين الأربعين بليلة فهي أربعون يوماً.

وقال ﷺ: يوم منها كالسَّنة، ويوم كالشَّهر، ويوم كالجمعة، وسائر أيامه كأيامكم[2].

وعلى هذا يكون خروجه في سنة تسعٍ وتسعين من هذا القرن الذي نحن فيه، وإنَّما قلنا ذلك ليتمَّ نزول عيسى في رأسها، ويبقى عيسى من القرن

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض (٢٩٤٠)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٥٥٠).

(٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته (٢٩٣٧)، من حديث النواس بن سمعان ﷺ، والإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٨١)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٤٩٢)، وذكره التقي الهندي في كنز العمال (٣٨٧٤٠).

الثالث عشر أربعين سنة وخليفته ثلاث سنين، ثمَّ تطلع الشَّمس من مغربها، ويبقى النَّاس مئة وعشرين بعد طلوعها، ويحتمل أنَّ المئة التي تبقى الناس فيها لا يعرفون ديناً، هي من هذه المئة والعشرين. هذا خلاصة كلام السُّيوطي في (رسالة الكشف) وفيه ما عرفت.

واستدل على ما ذكره بآثار عن السَّلف كأنَّه يقول: إنَّها لا تقال من قبَلِ الرَّأي، فلها حكم الرَّفع[١].

وقد تعقَّب الحافظ ابن حجر أثر ابن عمرو ﷺ في أنَّه يبقى النَّاس بعد طلوع الشَّمس من مغربها مئة وعشرين سنة، بقوله: رفع هذا لا يصح[٢].

وقد أخرج عبد بن حميد في (تفسيره) بسندٍ جيدٍ عن ابن عمرو ﷺ يرفعه: «الآيات كخرزاتٍ منظوماتٍ في سلك، إذا انقطع السّلك تبع بعضه بعضاً»[٣].

وعند ابن عساكر من حديث حُذيفة بن أسيد ﷺ يرفعه: «بين يدي السَّاعة عشر آيات كالنَّظم في الخيط إذا سقط منها واحدة توالت»[٤].

وعن أبي العالية: «بين أوَّل الآيات وآخرِها ستة أشهرٍ يتتابعن كتتابع الخرزات في النظام»[٥].

وأخرج ابن مَرْدُوْيَه من حديث ابن عباس ﷺ وفيه: «أنها إذا طلعت الشَّمس من مغربها فإنَّه لو نتج للرجل مهرٌ لم يركبه حتَّى تقوم السَّاعة» انتهى[٦].

---

(١) الحاوي للفتاوى للسيوطي (٢/ ٨١) وما بعدها.

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٥٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٢١٩)، وانظر فتح الباري (١١/ ٣٥٤).

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، ترجمة عبد الله بن زياد (٢٨/ ٢٦٦).

(٥) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٥٤).

(٦) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن، باب طلوع الشمس من المغرب (١٨٤٤)، وانظر فتح الباري (١١/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥).

قال القاضي عياض: إن حديث: «إن يعش هذا الغلام فعسى أن لا يُدركه الهرم حتَّى تقوم السَّاعة» يفسِّره الحديث الذي قبله.

كانت الأعراب إذا قدموا على رسول ﷺ يسألونه عن السَّاعة متى السَّاعة؟ فينظر إلى أحدث إنسان منهم فيقول: «إن يعش هذا الغلام لم يدركه الهرم حتَّى قامت عليكم ساعتكم»[١] فهذا يدل على أنَّ ساعتكم موتكم. ويكون هذا مثل الحديث الآخر «أرأيتكم ليلتكم هذه فإنَّ على رأس مئة عام لا يبقى ممَّن هو على وجه الأرض اليوم أحدٌ» انتهى[٢].

وبيانه ما قال الراغب أنَّ السَّاعة تطلق على ثلاثة أشياء:

الأول: السَّاعة الكبرى، وهي بعث النَّاس للمحاسبة.

والثاني: السَّاعة الوسطى، وهو موت أهل القرن الواحد، وعليه حملوا ما روي أنَّه ﷺ: «رأى عبد بن أُنيس فقال: إنْ يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتَّى تقوم السَّاعة»[٣] فقيل: إنَّه آخرُ من مات من الصَّحابة.

والثالث: وهي الصغرى موت الإنسان، فساعة كلّ إنسان موته، ومنه قوله ﷺ عند هبوب الرِّيح تَخَوَّفْتُ السَّاعةَ، أي موته، انتهى[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة (٢٩٥٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٥٠٨). والحديث أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة، (٦٠١)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في الأدب، باب ما جاء في قول الرجل: ويلك (٦١٦٧)، من حديث أنس رضي الله عنه، ولم يذكر أنس اسم الغلام.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (ساعة). وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الريح قد اشتدت تغير وجهه. مسند أحمد (٦/ ١٢١).

إلَّا أنَّه قال الحافظ ابن حجر: إن ما ذكره من ابن أُنيس لم أقف عليه، ولا هو آخر من مات من الصَّحابة هرماً، انتهى[١].

قال السَّيد العلامة ﷺ: وعلى هذا فجوابه ﷺ عن سؤال الأَعراب من باب الأُسلوب الحكيم، وإجابة السائل بخلاف ما يترقب، ووجهه أنَّهم سألوه عن السَّاعة بالمعنى الأول، وهي السَّاعة الكُبرى فأجابهم بالسَّاعة الوسطى إشارة إلى أنَّ الأهم هو ذلك، وإعلاماً بأنَّ السَّاعة الكبرى قد طوى ﷻ تعيينَها، وأنَّه لا يعلمها إلَّا هو، ولا يجلّيها لوقتها غيره، انتهى.

قلت: وفي الحديث «منْ ماتَ فقدْ قامَتْ قيامَتُه»[٢] أي ساعته الوسطى دون الكُبرى.

قال السَّيد العلّامة: وإذا أحطت علماً بجميع ما سُقْناه، علمت بأنَّ القول بتعيين مدَّةِ الدُّنيا من أولها إلى آخرها بأنَّه سبعة آلاف سنة لم يثبت فيه نصٌّ يُعتمد عليه.

وغاية ما فيه آثارٌ عن السَّلف، وإنْ كانت لا تُقال إلَّا عن توقيف فلعلّها مأْخوذةٌ عن أَهل الكتاب، وفي أَسانيدها مقال، وقد عُلم تغييرهم لما لديهم عن الله تعالى، وعن رسوله ﷺ وأهل الكتاب هم القائلون ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

ونقل عنهم المفسِّرون أنَّهم قالوا: إنَّ مدَّة الدُّنيا سبعة آلاف سنة، وإنَّهم يعذَّبون بكلِّ ألفِ عامٍ يوماً من الأَيام، فإنَّه أَخرج ابنُ جرير وابنُ المنذر وابن أبي حاتم والطبرانيُّ والواحدي عن ابن عباس أنَّ يهوداً، كانوا يقولون: مدَّة الدُّنيا سبعة آلاف سنة، وإنَّما نعذَّب بكلِّ ألفٍ من أيام الدُّنيا يوماً واحداً في

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، ترجمة زياد بن عبد الله النميري (٦/ ٢٦٨)، من قول زياد، ثم قال أبو نعيم: أسند عن أنس بن مالك ﷺ.

النار، وإنَّما هي سبعة أيام معدودة، ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله تعالى: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ إلى قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠ـ ٨٢]، انتهى[١]، وكذَّبهم الله فيما قالوا.

ولعلَّ هذا الذي نقله عن السَّلف من الآثار التي سقناها، وساقها ابن جرير والسُّيوطي في (رسالة الكشف) مأخوذة من أهل الكتاب إذ لم يثبت بنصٍّ نبويٍّ عنه ﷺ بأنَّ مدَّة الدُّنيا كذا على أنَّ تلك الآثار القاضية بأنَّ مدَّتها سبعة آلاف سنة معارِضَةٌ لما أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حمُيد عن مجاهد، وعكرمة في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. قالا: هي الدُّنيا أولها إلى آخرها يوم مقداره خمسون ألف سنة، يوم القيامة، انتهى[٢].

فهذه الآثار مُتعارضة، كما ترى، وإنَّما ثبت عنه ﷺ بعثته من آي قيام السَّاعة انتهى كلام السَّيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله ـ

وقد قال الشيخ مرعي في (بهجة النَّاظرين) بعد ذكر قول السُّيوطي في (رسالة الكشف) ما نصه وهذا مردود، لأنَّ كلَّ من يتكلَّم بشيءٍ من ذلك فهو ظنٌّ وحسبان، لا يقوم عليه برهان، انتهى[٣].

وقال في (الإشاعة) بعد ذكر قول السُّيوطي: الذي فهم من الأحاديث أنَّ المهدي يمكثُ في الأرض أربعين سنة، وأنَّ عيسى يمكث بعد الدَّجال أربعين سنة، كما رواه الحاكم عن ابن مسعود[٤]، فإنَّه ظاهر في الأربعين بعد

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (١/ ٤٤٦).

(٢) الدر المنثور للسيوطي (١٤/ ٦٨٨).

(٣) نقله السفاريني في لوامع الأنوار البهية (٢/ ٦٦).

(٤) كذا في النسخة الهندية، وفي الإشاعة أيضاً، ولم أجد الحديث، فلعل المقصود (ابن عمرو) وقد سبق تخريج حديثه من المستدرك للحاكم في الفتن والملاحم (٤/ ٥٤٣).

الدَّجال وأنَّ بعد عيسى يتولَّى أُمراء منهم القحطانيُّ يتولى إحدى وعشرين سنة، وليُفرض لبقيَّتهم إلى طلوع الشمس من المغرب عشرون سنة أيضاً إن لم يكن أكثر فهذه مئة وعشرون سنة.

ومرَّ أنَّ الدجال يمكث أربعين، فإن لم تكن سنين فلا أقلَّ من مقدار سنتين، لأنَّ أيامه طوال، وإنَّ بعد طلوع الشمس من مغربها يمكث النَّاس مئة وعشرين سنة.

وفي رواية: إنَّ الشِّرار بعد الخيار عشرون ومئة سنة.

ورد أيضاً أنَّ المؤمنين يتمتعون بعد طلوعها أربعين سنة، ثمَّ يسرع فيهم الموت، فهذه ثلاثمئة وعشرون سنة.

وقد مضى بعد الألف قريب من ثمانين فهذه أربعمئة. وإلى تمام هذه المئة تبلغ أربعمئة وثلاثين، وقد مرَّ عن السَّيوطي أنَّه لا تبلغ خمسمئة، بل أخذ بعضهم من قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ [محمد: ١٨] وقوله: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]. إنَّ السَّاعة تقوم سنة سبع بعد أربعمئة، فإنَّ عدد حروف (بغتة) ألف وأربعمئة وسبع، والعلم عند الله.

فيحتمل خروج المهدي على رأس هذه المئة، ويحتمل أنْ يتأخرَّ للمئة الثانية، ولا يفوتها قطعاً، وإذا تأخَّر فلا بدَّ أنْ يبعث الله على رأس هذه المئة من يحيى للأُمَّة أمر دينها، كما ورد في حديثٍ مشهور[1].

وقال: وهذه كلُّها مظنونات، وردَ بها آحاد الأَخبار، بعضها صحاح، وبعضها حسان، وبعضها ضعاف مع شواهد، وبعضها بغير شواهد.

---

(١) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها» أخرجه أبو داود في الملاحم، باب ما يذكر في قرن المئة (٤٢٩١). وانظر الإشاعة ص (٢٨٢ ـ ٢٨٣).

وغاية ما ثبت بالأخبار الصَّحيحة الصَّريحة الكثيرة الشَّهيرة التي بلغت التواتُر المعنوي وجود الآيات العظام التي أوَّلها خروج المهدي، وأنَّه يأتي في آخر الزَّمان من ولد فاطمة يملأُ الأَرض عدلاً، كما مُلِئَت جوراً، وأنَّه يقاتل الرُّوم في الملحمة، ويفتح القسطنطينية ويخرجُ الدَّجال في زمنه، وينزل عيسى ويصلِّي خلفه، وما سوى ذلك كلُّه أُمورٌ مظنونة أو مشكوكة، والله أعلم، انتهى[1].

قلت: وتمام الكلام في ذلك ذكرناه في كتابنا (حجج الكرامة) وبحثنا عن مدَّة الدُّنيا ماضيها وباقيها في كتاب (لقطة العجلان) فليرجع إليهما.

والحقَّ الذي يحقُّ للاتباع أنَّ أمر السَّاعة مما استأثر بعلمه ﷻ، ولم يُعْلِمْها أحداً من خلْقِه، وهو الأُمور الخمسة التي لا يعلمها أحدٌ إلَّا الله تعالى.

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف: ٦٦].

وقال: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

إلى غير ذلك من الآيات.

وأمَّا الأحاديث فلا تكاد تَنْحصر، وقد تقدَّم بعضها.

نعم جاءت الأشراط كلُّها ولم يبق منها إلَّا الكبرى التي أوَّلها خروج المهدي، ثمَّ تتبع ذلك بقيتها، وتأذن للدُّنيا بالفناء، وإلى الله ترجع الأُمور.

وقد أحاطت هذا الزمان وأهله فتنٌ كثيرةٌ لا تُحصى، خصوصاً ذهاب

---

(١) الإشاعة ص (٢٨٤).

دولة الإسلام، وحكومة الإيمان، وغربة الدين، وفُشُوُّ البدع والمضلِّين، وقلّة العلم، وكثرة الجهل، وإيثار الخلْق على الحقّ، والعاجلة على الآجلة، وترك الغزو، والقنوع بما في أيدي النَّاس، والانهماك في أمر المعاش، والإعراض عن المعاد، وكثرة التَّحاسد والمفاسد التي أَسرت أَفراح القلوب، وشقت قلوب المؤمنين قبل الجيوب.

فأَصبحوا في حال يعدّون المنايا أَمانيا، ويرون ـ لضعف الدِّين ووهن اليقين ـ الموت طبيباً شافياً إذ عثرت خيول الفتن والنقم، وولَّت جنود الدَّعة والنِّعم، وصار الدُّنيا كلّها آفات، وبلايا، وكم في الزَّوايا من رزايا.

وللسَّيد يحيى القُرطبيّ رحمه الله قصيدة نعى بها الإسلام، ونادى ملوك الروم، وعلماءها الأعلام، وذلك في عهد السُّلطان (سليمان) الذي دخل في خبر كان، فلم يجد بها صفياً يقول له:

لقد أسمعت لو ناديت حيّاً.

فاستحسنت ختم هذا الكتاب بإنشاد ذلك الخطاب، فقيه عبرة لمن اعتبر وخبرة بالمبتدأ والخبر، وهي هذه:

لكلِّ شيءٍ إذا ما تمَّ نقصان ... فلا يُغَرَّ بطيب العيش إنسان

هي الأُمور كما شاهدتها دولٌ ... من سرَّه زمن ساءَته أَزمانُ

وعالمُ الكون لا تبقى محاسنه ... ولا يدوم على حالٍ لها شان

يمزِّق الدَّهر منها كلَّ سابغة ... إذا نبتْ مَشْرفيَّاتٌ وخِرصانُ

ويُنتضى كلُّ سيف للفناء ولو ... كان ابن ذي يزن والغِمْد غُمدان

أين الملوك ذوو التيجان من يمنٍ ... وأين منهم أَكاليل وتيجان؟

وأين ما شادَه شَدّاد من إرم ... وأين ماساسه في الفُرس ساسان؟

وأين ما حازه قارون من ذهبٍ ... وأين عاد وشَدّاد وقحطان؟

أتى على الكلِّ أَمرٌ لا مَرَدَّ له ... حتى قضوا فكأَن الكلَّ ما كانوا

وصار ما كان من مُلك ومن مَلِك ... كما حكى عن خيال الطيف وَسْنان
دار الزمان على دارا وقاتله ... وأمَّ كسرى فما آواه إيوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب ... يوماً ولم يملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوَّعة ... وللزمان مَسَرَّات وأحزان
وللمصائبِ سلوان يهوِّنها ... وما لما حل بالإسلام سُلوان
دهى الجزيرةَ خطبٌ لا عزاء له ... هوى له أُحدٌ وانْهدَّ ثهلان
أصابها العين في الإسلام فامتحنت ... حتى خلت منه أقطار وبلدان
فسل بلنسيةً ما شأنُ مرسيةٍ ... وأين قرطبةٌ أم أين جيان؟
وأين حمصٌ وما تحويه من نُزَهٍ ... ونهرُها العذب فياض وملآن؟
كذا طُليطلةٌ دار العلوم فكم ... من فاضل قد سما فيها له شان
وأين غرناطةٌ دار الجهاد وكم ... أُسْدٍ بها وهم في الحرب عقبان؟
وأين حمراؤها العليا وزخرفها ... كأنها من جنان الخلد عدنان؟
قواعدٌ كُنَّ أركانَ البلاد فما ... عسى البكاء إذا لم تبق أركان
والماء يجري بساحات القصور بها ... قد حف جدولها زهر وريحان
ونهرها العذب يحكى في تسلسله ... سيوف هند لها في الجو لمعان
وأين جامعها المشهور كم تُلِيَت ... في كل وقت به آيٌ وفرقان
وعالم كان فيه للجهول هدى ... مدرس وله في العلم تبيان
وعابد خاضع لله مبتهل ... والدمع منه على الخدين طُوفان
وأين مالقة مرسى المراكب كم ... أرست بساحتها فُلك وغِرْبان؟
وكم بداخلها من شاعر فطن ... وذي فنون له حذق وتبيان
وكم بخارجها من منزه فَرِجٍ ... وجنة حولها نهر وبستان
وأين جارتُها الزهرا وقبَّتُها ... وأين ياقوم أبطال وفرسان؟
وأين بسطة دار الزعفران فهل ... رأى شبيهاً لها في الحسن إنسان؟

وكم شجاع زعيم في الوغى بطل ... بَدا لَهُ في العِدا فتكٌ وإمعان
كم جندلت يده من كافر فغدا ... تبكيه من أرضه أهل وولدان
ووادياً من غدت بالكفر عامرةً ... ورُدَّ توحيدها شركٌ وطغيان
كذا المرية دار الصالحين فكم ... قطبٍ بها عَلَمٍ غوث ماله شان
تبكي الحنيفية البيضاء من أسفٍ ... كما بكى لفراق الإلف هيمان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر تبكي وهي عيدان
على ديار من الإسلام خاليةٍ ... قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد أمست كنائس ما ... بهن إلا نواقيس وصلبان
يا غافلاً وله في الدهر موعظةٌ ... إن كنت في سِنة فالدهر يقظان
وماشياً مرحاً يُلهيه موطنه ... أَبَعْدَ حِمصٍ تَغُرُّ المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ما تقدمها ... وما لها مع طويل الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة ... كأنها في ظلام الليل نيران
وراتعين وراء النهر من دَعَة ... لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطان
أعندكم نبأ من أمر أندلسٍ ... فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث صناديد الرجال وهم ... أسرى وقتلى فلا يهتز إنسان
ما هذا التقاطع في الإسلام بينكم ... وأنتم يا عباد الله إخوان؟
ألا نفوسٌ أبياتٌ لها هممٌ ... أمَا على الخير أنصار وأعوان
يا من لنصرة قوم قُسِّموا فِرقاً ... سطا عليهم بها كفرٌ وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم ... واليوم هم في قيود الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم ... عليهم من ثياب الذل ألوان
فلو رأيت بكاهم عند بيعهم ... لَهَالَكَ الأمر واستهوتك أحزان
يارُبَّ طفلٍ وأم حيلَ بينهما ... كما تُفرَّق أرواحٌ وأبدان

وغادةٍ ما رأتها الشمس بارزةً ... كأنما هي ياقوتٌ ومرجان
يقودها العلج عند السبي صاغرةً ... والعين باكيةٌ والقلبُ حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كَمَدٍ ... إن كان في القلب إسلامٌ وإيمان
هل للجهاد بها من طالبٍ فلقد ... تزخرفت جنة المأوى لها شان
وأشرف الحور والولدان من غُرَف ... فازت لعَمْري بهذا الخير شجعان
ثم الصلاة على المختار من مضر ... ما هبَّ ريحُ الصَّبا واهتز أغصان

هذا آخر القصيدة المبكية على ذهاب شوكة الإسلام المبينة عن تغير أحوال الشهور والأعوام، ولمَّا كان فيها التحريض على الغزو وحماية الدين ألفنا في ذلك كتاباً مختصراً جامعاً لفضائله وأحكامه وسميناه بـ (العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة) وقضينا وطر الإبلاغ والتبليغ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. والجهاد باللسان أحد الأقسام.

ونسأل الله تعالى قبول الأعمال، وحسن الختام.

قرب الرحيل إلى ديار الآخره ... فاجعل إلهي خير عمري آخره
فلئن رحمت فأنت أكرم راحم ... وبحار جودك يا إلهي زاخره
آنس مبيتي في القبور ووحدتي ... وارحم عظامي حين تبقى ناخره
فأنا المسيكين الذي أيامه ... وَلَّت بأوزار غدت متواتره
وتولَّه باللطف عند مآله ... يا مالك الدُّنيا وربَّ الآخره

❀ ❀ ❀

المحتوى

مقدمة التحقيق ٥
ترجمة المؤلف ٧
نسبه ٧
مولده ونشأته ٧
علمه وشيوخه ٧
مؤلفاته ٨
وفاته ٩
الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة ١١
مقدمة ١٣
المقدمة في معنى الفتنة ٢٠
باب في اقتراب الساعة ومجيئها ٢٢
بابٌ في فتنٍ تكون في هذه الأُمّة وهي أنواعٌ سَرَدْتُ أحاديثَها سرْداً واحداً .. ٢٧
باب في الفتن التي ظَهرتْ وانقَرَضَت وهي كثيرةٌ لا تكاد تنحصر
في هذا المختصر ٧٨
باب الفتن المتوسطة التي ظهرت ولم تنقص بل تتزايد إلى أن تتكامل
وتتصل بالقسم الثالث وهي أمور تكون بين يدي الساعة ١١٠
باب في الفتن العظام والمحن التي تعقبها الساعة وهي أيضاً كثيرة جداً ١٢٤
باب في الفتن الواقعة قبل خروجه ١٦٤

باب في خروج الدَّجال ١٦٧
باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام وهو من الأشراط القريبة
من خروج المهدي ونزوله ثابتٌ بالكتاب والسنَّة وإجماع الأُمة ١٧٩
باب في خروج يأجوج ومأجوج وغيرها وهو من الأَشراط العظيمة
التي دلَّت عليها نصوص الكتاب والسُّنَّة والإجماع ١٨٦
بابُ طلوع الشَّمس من مغربها ١٩٠
باب في دابة الأرض ١٩٥
باب ومن أَشراط السَّاعة الدُّخان ١٩٧
باب ومنها ريح طيبة ١٩٩
باب ومنها أَنْ يُرفع القرآن من المصاحف والصدور ٢٠٠
باب وآخر الآيات العظام نارٌ ٢٠١
خاتمة فيما اشتهر بين النَّاس أنَّ مقدار الدُّنيا سبة آلاف سنة ٢٠٤
المحتوى ٢٢٣